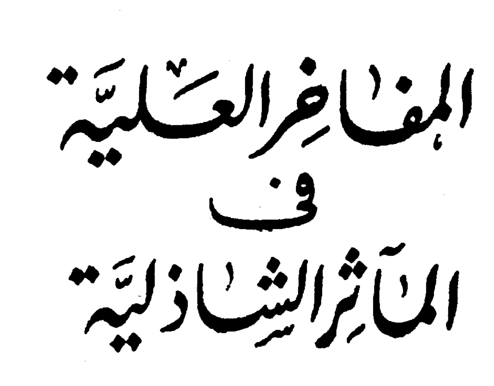


تأليف

أحمد بن محمد بن عباد المحلى الشافعي
المتوفى بعد سنة ١١٥٣ هـ

طبعة جديدة ومراجعة
معتنى بإخراجها
أصح الطبعات - وأكثرها شمولا

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٨٥٣٦
I.S.B.Nالترقيم الدولى :
977-315-071-2

﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى من اعتصم به نجاه، ومن أطاعه بفضله كفاه، ومن سأله من بره أعطاه، ومن دعاه سمع نداءه ولباه، ومن علت همته إليه جعله على القدر بين أوليائه واجتباه، ومن أفرده بالعبادة والمحبة قربه إليه وأدناه، وأفرده وتولاه. والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى أحبه واصطفاه، أفضل من دعا على بصيرة إلى الله، وعلى آله وصحبه الذين مهدوا الطريق لكل من سلك إلى مولاه.

(أما بعد):

فيقول العبد الفقير إلى الله الكريم الجواد «أحمد بن محمد بن عباد» المحلى الشافعى مذهبا محب السادة الشاذلية، غفر الله له ذنوبه، وستر فى الدارين عيوبه ومشايخه ووالديه وإخوانه ومحبيه، آمين: لما كان كل من انتسب إلى شيخ من مشايخ الطريقة، وأعلام الحقيقة، ينبغى له أن يعرف مبنى طريقة شيخه، ويعرف أذكار شيخه وأوراده وكراماته، ومناقبه ونسله وسلسلته ونسبته وصفته لتزيد فيه رغبته، وتتأكد محبته، ولتتضح له طريقته، فيقتفى أثره فيها، ويستعمل ما وصل إليه من أذكاره وأوراده وأحزابه، أو ما تيسر له وقدر عليه ليكون داخلا معه، بقدر ما عرفه منه وأخذ عنه، وأن من انتسب إلى أحد أئمة الشريعة أو الطريقة، من غير معرفة كلامه فيها، فليس له من تلك النسبة إلا اسمها فقط. سألنى بعض المحبين المنتسبين لسيدنا العارف المحقق، القطب الغوث الفرد الجامع، السيد «أبى الحسن الشاذلى» رضى الله عنه، الراغبين فى طريقته، لأن طريقته من أوضح الطرق وأشهرها، وأنورها وأقربها وأيسرها كما سترى وصفها، أن أجمع له فى هذا الكتاب وصف الشيخ رضى الله عنه، ونسبته وبلدته التى ولد بها، ورحلته واجتماعه بأشياخه وسلسلته،

وبعض كراماته ومناقبه ووفاته، ومحل دفنه، ومبنى طريقته، وما فيها من كلامه، ومن كلام أصحابه، وأحزابه، وأوراده وأذكاره، وما كان يعلمه لتلاميذه فى المهمات ودائرته، فأجبته إلى ذلك مع قصر الباع وقلة الاطلاع، واستعنت بالله وأخذت ألتقط ذلك من كتب السادة الشاذلية: ككتاب (درة الأسرار) للأستاذ ابن الصباغ، وكتاب (لطائف المنن) للأستاذ تاج الدين ابن عطاء الله السكندرى وغيرهما، فرأيت كتاب (درة الأسرار) قد جمع غالب المقصود، ومنه أخذت أكثر ما فى هذا الكتاب إلا أنى زدت من غيره ما يوفى بالسائل مما ليس موجوداً فى (درة الأسرار) فأخذت ذلك من الكتب المعتمدة، ورتبته على خمسة أبواب :

(الباب الأول) فى مولده وبلدته، وصفته ونسبته ونقلته، وسلسلته فى طريق التصوف.

(الباب الثانى) فى بعض مناقبه وكراماته.

(الباب الثالث) فى وفاته وتاريخها، وقدر سنِّه، وموضع مزاره.

(الباب الرابع) فى مبنى طريقته، وكلامه فى الطريق، وكلام بعض أصحابه فيها.

(الباب الخامس) فى أحزابه ودعواته وأذكاره وأوراده وما كان يعلمه لأصحابه فى المهمات، وذكر دائرته التى فيها أسراره المسماة بسيف الشاذلية ليكون فى هذا الكتاب نوع من تعريف السلوك إلى الله، وهو المقصد الأعلى ونوع مما يحصل به المرغوب، ويدفع به المرهوب، من أمور الآخرة والدنيا، فيكون جامعا للمطالب كافيا للطالب، وسميته:

(المفاخر العلية، فى المآثر الشاذلية) أعاد الله علينا من بركاتهم.

هذا وأنى مقصر عن السير على آثارهم، لكننى متوثق بحبل حبهم، متطفل على أبواب فضلهم، أرجو منهم المددِ والقبول، والقرب والوصول، كما قيل :

لى سادة من عزهم	أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلى	فى حبهم عز وجاه

البـــاب الأول

فيما جاء فى وصف الشيخ رضى الله عنه نثرا ونظما وفى صفته ونسبته وسلسلته وموضع مولده ورحلته

فأما وصفه، فقد قال المحقق سيدى داود بن باخلا فى شرح (حزب البحر) : القول الأول فى شىء من ذكر بعض أوصاف صاحب هذا الدعاء، وجلالة مقداره، وفخامة منزلته، وظهور أنواره.

فهو السيد الأجل الكبير، القطب الربانى، العارف الوارث المحقق بالعلم الصمدانى، صاحب الإشارات العلية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية والأسرار الربانية، والمنازلات العرشية، الحامل فى زمانه لواء العارفين، والمقيم فيه دولة علوم المحققين، كهف الواصلين، وجلاء قلوب الغافلين، منشئ معالم الطريقة، ومظهر أسرارها، ومبدى علوم الحقيقة بعد خفاء أنوارها، ومظهر عوارف المعارف بعد خفائها واستتارها، الدال على الله وعلى سبيل جنته، والداعى على علم وبصيرة إلى جنابه وحضرته، أوحد أهل زمانه علما وحالا، ومعرفة ومقالا، الشريف الحسيب النسيب، ذو النسبتين الطاهرتين الروحية والجسمية، والسلالتين الطيبتين الغيبية والشاهدية، والوراثتين الكريمتين الملكية والملكوتية المحمدى العلوى الحَسنى الفاطمى، الصحيح النسبتين الكريم العنصرين فحل الفحول، إمام السالكين، ومعراج الوارثين، الذى تغنيك سمعته عن مدح أو قول منتحل، الأستاذ المربى الكامل أبو الحسن على الشاذلى، جاء فى طريق الله بالأسلوب العجيب، والمنهج الغريب والمسلك الغزير القريب، وجمع فى ذلك بين العلم والحال، والهمة والمقال، اشتملت طريقته على الجذب والمجاهدة والعناية، واحتوت على الأدب والقرب والتسليم والرعاية، وشيدت بالعلمين الظاهر والباطن من سائر أطرافها، وقرنت بصفات الكمال شريعة وحقيقة من جميع أكنافها، تيامنت عن سكر يؤدى إلى تعدى الأدب. وتياسرت عن صحو يفضى إلى الحجاب عن أولى الألباب، ودلت على حقائق

التوحيد وأسرار المجاهدات وتسامت عن انقباض يوقع في الانكماش وسوء الظن، ويحجب عن روح الرجاء ولذاذة الشوق والطلب وتناءت عن انبساط ينزل بصاحبه عن مقام الاحتشام والحياء، ويئول به إلى سوء الأدب، فاستوت بتوفيق الله تعالى في نقطة الاعتدال، وظفرت بهداية الله دون كثير من الطرق بوصف التوسط والكمال.

ثم قال: وأما جلالة هذا السيد الكبير سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه، فهو قد ظهر وانتشر، وشاع فى البدو والحضر، وهو أستاذ هذه الطريقة، أس طريقهم، وحامل لواء جيشهم، وعلى يده بسقت أغصانها، وأينعت ثمارها، وبعناية الله تعالى وعظيم همته رسخت أصولها، وفاحت أزهارها، وبما أودع الله فيه وخصه من النور المحمدى هتف حمائمها، وانهزم جيش ظلام غواياتها، وطلعت فى نهار شهودها شموس معارفها، وفى ليل رجوعها إلى خدورها أقمارها، ظهر رضى الله عنه ونشر أنوار أشياخه المتقدمين، وأسس القواعد لأتباعه المتأخرين، أجمع على إثبات ولايته وعظم خصوصيته من كان فى زمانه من أولياء الله العارفين، واعترف بعلو منزلته من عاصره من أكابر علماء الدين.

وقال الشيخ العارف بالله شهاب الدين أحمد ابن الشيخ فخر الدين بن أبى بكر اليمنى القرشى فى ترجمة أستاذه واحد الزمان العارف بالله سيدى على بن عمر القرشى الشاذلى ما نصه : وأول أقطاب هذه الأمة سيدنا الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه، ثم واحد بعد واحد إلى أن وصل هذا المقام إلى الشيخ الإمام، القطب الغوث الفرد الجامع، سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه، فتصرف بأمر الله وتحرك بإذنه، وحكم فى خلقه بحقه، فولى وعزل، وهدى وخذل، وأحيا وقتل، وأمرض وشفى، ومنع وأعطى، ووصل وقطع، وحمى ودفع، وصلب وحجب، وأعطى المحب ما طلب، وفعل بأمر الله ولا عجب، ثم من بعده حكم الإله بإخفاء المقام وعزته، وصونه وفيضه على الدوام، وإخفائه جل وعلا عن الحق لحكمة من الله الملك الحق ثم

من بعده ظهر هذا الولي الكبير، ذو النور الكثير، القطب الشهير صاحب المنهل العذب الشريف، الحسنى الفاطمى المحمدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، فظهر بالخلافة الكبرى، والولاية الكثرى، والقطبية العظمى والغوثية الفردانية، وخصه الله تعالى بعلوم الأسماء، ومَنَّ عليه بأعلى مقامات الأولياء وأخص خصوصيات الأصفياء، وانفرد فى زمنه بالمقام الأكبر، والمدد الأكثر، والعطاء الأنفع، والنوال الأوسع، وتصرف فى أحكام الأولياء ومددها بالإذن والتمكين وانفرد بسؤددها حق اليقين، وأمد الأولياء أجمعين وأمَّ بالصديقين، ونال مقام الفردانية الذى لا تجوز فيه المشاركة بين اثنين، وأجمع على ذلك من عاصره من العلماء العارفين والأولياء المقربين، وخواص الصديقين، وشهد بقطبانيته وفردانيته الجم الغفير، وأمر أن يقول بحضرة أكابرهم: قدمى هذه على جبهة كل ولى لله، فقال ذلك ممتثلا للأمر، معظما للقدر، ومقرا بالعبودية ولا فخر كان الشيخ أبو سعيد القبلوى يقول عن سيدى أبى الحسن الشاذلى قدمى هذه على جبهة كل ولى لله، قالها بأمر لا شك فيه وهو لسان القطبية.

قال: ومن الأقطاب فى كل زمن من يؤمر بالسكوت فلا يسعه إلا السكوت، ومنهم من يؤمر بالقول فلا يسعه إلا القول، وهو الأكمل فى مقام القطبية.

وكان على بن مسافر يقول: لما قال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه: قدمى على رقبة كل ولى لله، إنما وضعت الأولياء كلهم رؤوسهم لمكان الأمر، ألا ترى إلى الملائكة عليهم السلام لم يسجدوا لآدم عليه السلام إلا لورود الأمر عليهم – انتهى.

ولما قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لبعض الأولياء: إنه لينزل على المدد فأرى سريانه فى الحوت فى الماء، والطير فى الهواء، فقال له ذلك الولى فأنت إذن القطب قال أنا عبد الله أنا عبد الله، وما نازعه أحد من أولياء عصره وعلماء زمانه، لظهوره بالحق المبين، غير ابن البراء قاضى القضاة بالمغرب فى

بدايته، وستأتى قصة ابن البراء مع الشيخ وما حصل له من الإهانة.

وقال القرشى : إذا ذكرت سيدي أبا الحسن الشاذلى فقد ذكرت سيدى عبد القادر الجيلانى، وإذا ذكرت سيدى عبد القادر الجيلانى فقد ذكرت سيدى أبا الحسن الشاذلى، لتوحد المقام فيهما، ولأن سرهما واحد وهما لا يفترقان.

وممن ذكره من الأولياء والعلماء فى زمانه ومن بعده الشيخ صفى الدين بن أبى منصور الشاذلى فى رسالته، وأثنى عليه الثناء العظيم على حسب معرفته، والشيخ عبد الله بن النعمان وشهد له بالقطبانية، والشيخ قطب الدين القسطلانى فى جملة من المشايخ، والشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى فى لطائف المنن، والشيخ سراج الدين بن الملقن فى طبقات الأولياء والشيخ جلال الدين السيوطى فى حسن المحاضرة، وسيدى عبد الوهاب الشعرانى فى طبقاته، والمناوى فى الكواكب الدرية، وذكره غير هؤلاء من المشايخ، كل واحد منهم يثنى عليه ويصفه بما عرف من قدره، وما نازعه أحد من أولياء عصره وعلماء زمانه.

وأما ما جاء فى مدحه نظما، فمنه ما قال الشيخ شرف الدين البوصيرى صاحب البردة والهمزية فى قصيدة مدح بها سيدى أبا العباس المرسى وشيخه أبا الحسن فقال :

أما الإمام الشاذلى طريقه ... فى الفضل واضحة لعين المهتدى
فانقل ولو قدما على آثاره ... فإذا فعلت فذاك أخذ باليد
أفدى عليا بالوجود وكلنا ... بوجوده من كل سوء نفتدى
قطب الزمان وغوثه وإمامه ... عين الوجود لسان سر الموجدى
ساد الرجال فقصرت عن شأوه ... همم المآرب للعلى والسودد
فتلقى ما يلقى إليك فنطقه ... نطق بروح القدس نعم مؤيدى
وإذا مررت على مكان ضريحه ... وشممت ريح النّد من ترب ندى

ورأيت أرضا فى الفلاة بحضرة ... مختصة منها بقاع الفرقدى
والوحش آمنة لديه كأنها ... حشرت إلى حرم بأول مسجدى
ووجدت تعظيما بقلبك لو سرى ... فى جلمد سجد الورى للجلمد
فقل السلام عليك يابحر الندى الطا ... مى وبحر العلم بل والمرشدى

وقال الشيخ إبراهيم بن محمد بن ناصر الدين بن المليق :

ولو قيل لى من فى الرجال مكمل ... لقلت إمامى الشاذلى أبو الحسن
لقد كان بحرا فى الشرائع راسخا ... ولا سيما علم الفرائض والسُّنن
ومن منهل التوحيد قد عب وارتوى ... فلله كم روَّى قلوبا بها محن
وحاز علوما ليس تحصى لكاتب ... وهل تحصر الكتاب ما حاز من فنن
فكن شاذلى الوقت تحظى بسره ... وفى سائر الأوقات مستغنيا بعن
فإنى له عبد وعبد لعبده ... فيا حبذا عبد لعبد أبى الحسن
إذا لم أكن عبدا لشيخى وقدوتى ... إمامى وذخرى الشاذلى أكن لمن
فيارب بالسر الذى قد وهبته ... تمن علينا بالمواهب والفطن

وما أحسن قول العارف سيدى على بن عمر القرشى بن الميلق :

أنا شاذلى إن حييت فإن أمت ... فمشورتى فى الناس أن يتشذلوا

وقال بعضهم :

تمسك بحب الشاذلى ولا ترد ... سواه من الأشياخ إن كنت ذا لب
فأصحابه كالشمس زاد ضياؤها ... على النجم والبدر المنير من الحب

وقال آخر :

تمسك بحب الشاذلى فإنه ... له طرق التسليك فى السر والجهر
أبو الحسن السامى على أهل عصره ... كراماته جلت عن الحد والحصر

وقال آخر :

تمسك بحب الشاذلى فتلق ما ... تروم وحقق ذا المناط وحصلا
توسل فى كل حال تريده ... فما خاب من يأتى به متوسلا

وسيأتى زيادة على ذلك فى ذكر وصف الشاذلية على العموم وما خصوا به وفى مناقبه أيضاً .

وأما نسبه، فهو الأستاذ الشريف السيد الحسيب النسيب إلى الحبيب المقصد لمن له يقصد ، الملى بالعلوم الربانية ، والأسرار اللدنية ، الذى هو منها ممتلئ ، سيدى أبو الحسن الشاذلى الحَسنى بن عبد الله ، بن عبد الجبار ، بن تميم ، بن هرمز ، بن حاتم ، بن قصى ، بين يوسف ، بن يوشع ، بن ورد بن أبى بطال ، على بن أحمد ، بن محمد ، بن عيسى ، بن إدريس ، بن عمر ، بن إدريس ، المبايع له ببلاد المغرب ، ابن عبد الله بن الحسن المثنى ، ابن سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية . أبى على محمد الحسن ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وهذا هو النسب الصحيح لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، صاحب الطريق ، ومظهر لواء التحقيق .

وأما حليته رضى الله عنه، فقال الشيخ الولى محمد بن القاسم الحميرى ، عرف بابن الصباغ ، صاحب درة الأسرار : سمعت الشيخ أبا العزائم ماضى يقول : كانت صفته رضى الله عنه آدم اللون ، نحيف الجسم ، طويل القامة ، خفيف العارضين ، طويل أصابع اليدين ، كأنه حجازى : وكان فصيح اللسان عذب الكلام : كان يقول إذا استغرق فى الكلام : ألا رجل من الأخيار ، يعقل عنا هذه الأسرار ، هلموا إلى رجل صيره الله بحر الأنوار . وكان يقول أخذت ميراثى من رسول الله ﷺ فمكنت من خزائن الأسماء ، فلو أن الجن والإنس يكتبون عنى إلى يوم القيامة لكلوا وملوا .

وأما موضع مولده رضى الله عنه، فإنه ولد بقرية غمارة من أفريقية قريبة من سبتة، وهى من المغرب الأقصى. ولد فى نحو ثلاث وتسعين وخمسمائة من الهجرة.

وأما سلسلته، فإنه رضى الله عنه كما قال بعضهم لبس خرقة التصوف من الشيخين الإمامين المالكيين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ أبى الحسن على المعروف بابن حرازم ومن أبى عبد الله عبد السلام بن بشيش. فأما الشيخ أبو عبد الله محمد بن حرازم فلبس من الشيخ أبى محمد صالح بن بنصار بن غفيان الدكالى المالكى، وهو من أبى مدين شعيب الأندلسى الأشبيلى الأنصارى، وهو عن شيخ العارفين القطب الغوث أبى يعز أدار بن ميمون الهزميرى الهسكورى، وهو عن أبى شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الأمورى، وهو عن الشيخ الكبير الولى أبى محمد تنور، وهو عن الشيخ الإمام أبى محمد عبد الجليل بن ويحلان، وهو عن الشيخ الجليل أبى الفضل عبد الله ابن أبى بشر وهو عن والده أبى بشر الحسن الجوهرى، وهو عن الشيخ أبى على، وقيل أبى الحسن على النورى، وهو عن السرى السقطى.

وأيضا أبو مدين عن الشاشى، عن أبى سعيد المغربى، عن أبى يعقوب النهرجورى، عن الجنيد، عن السرى السقطى، عن معروف الكرخى، عن داود الطائى، عن حبيب العجمى، وهو عن أبى بكر محمد بن سيرين، وهو عن أنس بن مالك، وهو عن رسول الله ﷺ.

وأيضاً معروف الكرخى أخذ عن السيد على بن موسى الرضى، وهو عن أبيه موسى الكاظم، وهو عن أبيه جعفر الصادق، وهو عن أبيه محمد الباقر وهو عن أبيه على زين العابدين، وهو عن أبيه الحسين، وهو عن أبيه الإمام على كرم الله وجهه، وهو عن سيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

وأيضا أخذ الإمام جعفر الصادق علم الباطن عن قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وهو أخذ عن سلمان الفارسى رضى الله عنه، وهو أخذ عن

سيد المرسلين سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ولسيدى أبى مدين طرق فى السند لسنا بصددها.

وأما أبو عبد الله السيد عبد السلام بن بشيش وهو أجل مشايخ الشيخ أبى الحسن الشاذلى وعلى يديه كان فتحه وإليه كان ينتسب إذا سئل عن شيخه وهو سيدى عبد السلام بن بشيش، واشتهر فى الغرب بمشيش وهو من إبدال الحرف بأخيه، فقد قال الشيخ محيى الدين عبد القادر بن الحسينى بن على الشاذلى فى كتابه (الكواكب الزاهرة فى اجتماع الأولياء بسيد الدنيا والآخرة) ابن بشيش بالباء الموحدة ابن منصور بن إبراهيم الحسنى ثم الإدريسى، من ولد إدريس عن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين، ومقامه بالمغرب كالشافعى بمصر، وهو أخذ عن القطب الشريف السيد عبد الرحمن الحسنى المدنى العطار الزيات، والمدنى نسبة لمدينته ﷺ والزيات نسبة لحارة الزياتين، واشتهر بالزيات ولم يقتد بغيره، وهو صحب واقتدى بشيخه القطب الربانى الشيخ تقى الدين الفقير الصوفى، الذى لقب نفسه بتُقَى الدين الفُقَيْر بالتصغير فيهما تواضعا، وهو بأرض العراق، وهو صحب واقتدى بسيدى القطب فخر الدين عن سيدى القطب نور الدين أبى الحسن على، وهو بسيدى القطب تاج الدين، وهو صحب واقتدى بسيدى القطب شمس الدين محمد بأرض الترك، وهو بالقطب الشيخ زين الدين القزوينى، وهو بالقطب أبى إسحق إبراهيم البصرى وهو بالقطب أبى القاسم أحمد المروانى، وهو بالشيخ سعيد، وهو بالقطب سعد وهو بالقطب أبى محمد فتح السعود، وهو بالقطب القزوانى، وهو بالقطب أبى محمد جابر عن أول الأقطاب السيد الشريف الحسيب النسيب الصحابى الشهيد المسموم السبط السيد أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وهو صحب واقتدى بجده سيدنا محمد سيد الكونين رسول الله ﷺ.

وأما رحلته رضى الله عنه واجتماعه بالمشايخ، فإنه انتقل إلى مدينة تونس

وهو صبى صغير، وتوجه إلى بلاد المشرق وحج حجات كثيرة ودخل العراق.

وقال رضى الله عنه : لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبى الفتح الواسطى، فما رأيت بالعراق مثله، وكان بالعراق شيوخ كثيرة وكنت أطلب على القطب فقال لى الشيخ أبو الفتح تطلب على القطب بالعراق وهو فى بلادك ارجع إلى بلادك تجده، فرجعت إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمعت بأستاذى الشيخ الولى العارف الصديق القطب الغوث أبى محمد عبد السلام ابن بشيش الشريف الحسنى.

قال رضى الله عنه: لما قدمت عليه وهو ساكن مغارة برباطه فى رأس الجبل اغتسلت فى عين فى أسفل الجبل وخرجت عن علمى وعملى وطلعت عليه فقيرا وإذا به هابط على، فلما رآنى قال مرحبا بعلى بن عبد الله بن عبد الجبار، وذكر لى نسبى إلى رسول الله ﷺ، ثم قال لى : يا على طلعت إلينا فقيرا عن علمك وعملك أخذت منا غنى الدنيا والآخرة، فأخذنى منه الدهش، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله على بصيرتى ورأيت له خرق عادات من كرامات وغيرها.

قال: وكنت يوما جالسا بين يديه وفى حجره ولد صغير، فخطر ببالى أن أسأله عن اسم الله الأعظم؟ فقام الولد إلى ورمى يده إلى أطواقى وقال: يا أبا الحسن أردت أن تسأل الشيخ عن الاسم الأعظم، إنما الشأن أن تكون أنت هو الاسم، يعنى سر الله مودع فى قلبك، قال فتبسم الشيخ وقال أجابك فلان عنا، وكان ذا ذاك قطب الزمان، ثم قال لى : يا على ارتحل إلى أفريقية واسكن بها بلداً تسمى شاذلة فإن الله يسميك الشاذلى، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق وترث فيها القطبانية، فقلت له: يا سيدى أوصنى، فقال: الله الله، والناس تنزه لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثيل من قبلهم وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عليك، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله

عليك وقد تم ورعك، وقل: اللهم ارحمني من ذكرهم، ومن العوارض من قبلهم، ونجني من شرهم، وأغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم، إنك على كل شيء قدير.

وقال رضي الله عنه: لما دخلت مدينة تونس وأنا شاب صغير، فوجدت بها مجاعة شديدة، ووجدت الناس يموتون في الأسواق فقلت في نفسي لو كان عندي ما أشتري به خبزا لهؤلاء الجياع لفعلت، فألقى في سري خذ ما في جيبك فحركت جيبي فإذا فيه دراهم، فأتيت إلى خباز بباب المغارة، فقلت له عد خبزك فعده على فناولته للناس فتناهبوه ثم أخرجت الدراهم فناولتها الخباز، فقال هذه مفارقة، وأنتم معاشر المغاربة تستعملون الكيمياء. قال الشيخ فأعطيته برنسي وكرزيتي من على رأسي رهنا في ثمن الخبز وتوجهت إلى جهة الباب، وإذا برجل واقفا عند الباب فقال: يا علي أين الدراهم فأعطيتها له فهزها في يده وردها إلي وقال ادفعها إلى الخباز فإنها طيبة، فرجعت إلى الخباز وأعطيتها له، فقال نعم هذه طيبة وأعطاني برنسي وكرزيتي ثم طلبت الرجل فلم أجده، فبقيت متحيرا في نفسي إلى أن دخلت الجامع يوم الجمعة وجلست عند المقصورة في الركن الشرقي فركعت تحية المسجد وسلمت وإذا بالرجل عن يميني فسلمت عليه، فتبسم وقال لي: يا علي أنت تقول لو كان عندي ما تطعم به هؤلاء الجياع لفعلت تتكرم على الله الكريم في خلقه ولو شاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم؟ فقلت له: يا سيدي بالله من أنت؟ قال: أنا أحمد الخضر، كنت بالصين وقيل لي أدرك وليي عليا بتونس، فأتيت مبادرا إليك، فلما صليت الجمعة نظرت إليه فلم أجده.

وحكى عنه الشيخ أبو فارس عبد العزيز أبو الفتوح في فضائل سيدي الشيخ أبي سعيد الباجي رحمه الله تعالى ورضي عنه أنه قال: لما دخلت تونس في ابتداء أمري قصدت بها جملة من المشايخ، وكان عندي شيء أحب أن أطلع عليه من يبين لي فيه خبرا فما فيهم من شرح لي حالا حتى دخلت على الشيخ أبي سعيد الباجي رحمه الله تعالى، فأخبرني بحالي قبل أن أبديه وتكلم على

سرى، فعلت أنه ولى لله تعالى، فلازمته وانتفعت به كثيرا. قال وسمعت ذلك منه مرارا.

وقال رضى الله عنه: كنت فى ابتداء أمرى أطلب الكيمياء وأسأل الله فيها فقيل لى الكيمياء فى بولك، اجعل فيه ما شئت يعود كما شئت، فحميت فأسا ثم طفيته فى بولى فعاد ذهبا، فرجعت إلى شاهد عقلى فقلت يارب سألتك عن شيء لم أصل إليه إلا بالقذارة ومحاولة النجاسة، فقيل لى: يا على الدنيا قذرة، فإن أردت القذرة فلن تصل إليها إلا بالقذارة، فقلت يارب أقلنى منها فقيل أحمى الفأس يعود حديدا.

وقال رضى الله عنه: كنت فى سياحتى فبت ليلة فى موضع كثير السباع فجعلت السباع تهمهم على فجلست على ربوة عالية وقلت والله لأصلين على رسول الله ﷺ فإنه قال: «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرا فإذا صلى الله على عشرا أبيت فى أمن الله» قال ففعلت ذلك، فلم أخف شيئاً، فلما كان عند السحر توجهت إلى غدير ماء لأتوضأ لصلاة الصبح وكان بذاك الغدير حجل فطار ولأجنحتهن خفقان عظيم، فأدركنى الدهش فرجعت إلى خلفى فخوطبت فى سرى على لما بت البارحة آمنا بالله لم تخف همهمة السباع، ولما قمت اليوم بنفسك خفت من ريش الحجل.

وقال رضى الله عنه: كنت فى سياحتى فأتيت ليلة إلى الغار لأبيت فيه، فسمعت فيه حس رجل فقلت والله لا أشوش عليه فى هذه الليلة، فبت على فم الغار، فلما كان عند السحر سمعته يقول: اللهم إن أقواما سألوك إقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم، واللهم إنى أسألك إعراضهم عنى واعوجاجهم على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك، قال ثم خرج فإذا هو أستاذى، فقلت له يا سيدى إنى سمعتك البارحة تقول كذا وكذا فقال لى: يا على إنما خير لك أن تقول كن لى ولا تقول سخر لى قلوب خلقك أى عبادك، فإذا كان لك كان لك كل شيء - والله أعلم.

الباب الثانى

فى مناقبـه وكراماتـه

فمن مناقبه ماحكى الشيخ تاج الدين فى لطائف المنن قال : دخل الشيخ مسلم السلمى على الشيخ أبى الحسن الشاذلى وهو بقلعة إسكندرية فقال : يا سيدى دلونى عليك أنك تدل الخلق على الله ، فقال ذلك لعامة الأولياء ، بل الرجل الكامل أن يقول ها أنت وربك .

قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى : بلغنا أن الشيخ الكامل أبا الحسن الشاذلى لما فنى اختياره مع الله مكث نحو ستة أشهر لا يتجرأ أن يسأل الله شيئا فى حصول شيء ، ثم نودى فى سره : اسألنا عبودية لا ترجيح فيها للعطاء عن المنع ، قال فسألت الله ورجوته امتثالا لا تحجيرا عليه ، فإنه يخلق ما يشاء ويختار ، وليس معه اختيار .

قال المناوى فى الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية : وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه إذا ركب تمشى أكابر الفقراء وأكابر الدنيا حوله ، وتنشر الأعلام على رأسه ، وتضرب الكاسات بين يديه ، ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب فعليه بالشاذلى .

فائدة فى تعريف القطب

أخبر الشيخ الصالح الورع الزاهد المحقق المدقق شمس الدين بن كتيلة رحمه الله تعالى ونفع به آمين قال : كنت يوما جالسا بين يدى سيدى فخطر ببالى أن أسأله عن القطب فقلت له : يا سيدى ما معنى القطب ؟ فقال لى الأقطاب كثيرة ، فإن كل مقدم قوم هو قطبهم . وأما قطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد ، وتفسير ذلك أن النقباء ثلثمائة ، وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ، ولهم عشرة أعمال : أربعة ظاهرة ، وستة باطنة ، فالأربعة الظاهرة .

كثرة العبادة، والتحقق بالزيادة، والتجرد عن الإرادة، وقوة المجاهدة. وأما الباطنة: فهى التوبة والإنابة والمحاسبة والتفكر والاعتصام والرياضة، فهذه الثلثمائة لهم إمام منهم يأخذون عنه ويقتدون به فهو قطبهم.

ثم النجباء أربعون، وقيل سبعون، وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا ينظرون ألا فى حق الغير، ولهم ثمانية أعمال: أربعة باطنة، وأربعة ظاهرة، فالظاهرة: الفتوة والتواضع والأدب وكثرة العبادة، وأما الباطنة فالصبر والرضا والشكر والحياء وهم أهل مكارم الأخلاق.

وأما الأبدال، فهم سبعة رجال، أهل كمال واستقامة واعتدال، قد تخلصوا من الوهم والخيال، ولهم أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة فالصمت والسهر والجوع والعزلة، ولكل من هذه الأربعة ظاهر وباطن. أما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله تعالى، وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والأخبار، وأما السهر فظاهره عدم النوم وباطنه عدم الغفلة، وأما الجوع فعلى قسمين: جوع الأبرار لكمال السلوك وجوع المقربين لموائد الأنس. وأما العزلة فظاهرها ترك المخالطة بالناس وباطنها ترك الأنس بهم. وللأبدال أربعة أعمال: باطنة وهى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد.

ومن خواص الأبدال من سافر من القوم من موضعه وترك جسدا على صورته فذاك هو البدل لا غير، والبدل على قلب إبراهيم عليه السلام، وهؤلاء الأبدال لهم إمام مقدم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به، وهو قطبهم لأنه مقدمهم، وقيل الأبدال أربعون وسبعة هم الأخيار، وكل منهم لهم إمام منهم هو قطبهم، ثم الأوتاد، وهم عبارة عن أربعة رجال، منازلهم منازل الأربعة أركان من العالم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ومقام كل واحد منهم تلك، ولهم ثمانية أعمال أربعة ظاهرة وأربعة باطنة، فالظاهرة: كثرة الصيام، وقيام الليل والناس نيام، وكثرة الإيثار، والاستغفار بالأسحار، وأما الباطنة: فالتوكل والتفويض والثقة والتسليم، ولهم واحد منهم هو قطبهم.

وأما الإمامان فهما شخصان أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله فالذى عن يمينه ينظر فى الملكوت وهو أعلى من صاحبه، والذى عن شماله ينظر فى الملك، وصاحب اليمين هو الذى يخلف القطب، ولهما أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة: فالزهد والورع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وأما الباطنة: فالصدق والإخلاص والحياء والمراقبة.

والغوث: عبارة عن رجل عظيم وسيد كريم تحتاج إليه الناس عند الاضطرار فى تبين ما خفى من العلوم المهمة والأسرار، ويطلب منه الدعاء لأنه مستجاب الدعاء لو أقسم على الله لأبر نفسه مثل أويس القرنى فى زمن رسول الله ﷺ، ولا يكون القطب قطبا حتى تجتمع فيه هذه الصفات التى اجتمعت فى هؤلاء الجماعة الذين تقدم ذكرهم انتهى من مناقب سيدى شمس الدين الحنفى.

وقال القاشانى فى اصطلاحات الصوفية: الإمامان هما الشخصان اللذان أحدهما عن يمين القطب ونظره فى الملكوت، والآخر عن يساره ونظره فى الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو يخلف القطب، قلت وبينه وبين ما قبله مغايرة فليتأمل.

قال: والأفراد هم الرجال الخارجون عن نظر القطب.

الأمناء: وهم الملامتية، وهم الذين لم يظهر مما فى بواطنهم أثر على ظواهرهم وتلامذتهم فى مقامات أهل الفتوة.

وفى اصطلاحات شيخ الإسلام زكريا الأنصارى: النقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلثمائة.

النجباء: هم المشغولون بحمل أثقال الخلق وهم أربعون ا.هـ.

ولنرجع إلى مناقب الأستاذ قال رضى الله عنه: أعطيت سجلا مد البصر فيه أصحابى وأصحاب أصحابى إلى يوم القيامة عتقا لهم من النار.

وقال: لقد جئت فى هذه الطريق بما لم يأت به أحد، وقد اشتهر عنه رضى الله عنه أنه قال: لولا لجام الشريعة على لسانى لأخبرتكم بما يكون فى غد وبعد غد إلى يوم القيامة. وقد أخبر رضى الله عنه بسيدى شمس الدين الحنفى من بعده، فقال سيظهر بمصر رجل يعرف بمحمد الحنفى يكون فاتحا لهذا البيت، ويشتهر فى زمانه ويكون له شأن.

وقال أيضاً: يظهر بمصر شاب يعرف بالشاب التائب، حنفى المذهب، اسمه محمد بن الحسن وعلى خده الأيمن خال وهو أبيض اللون مشرب بحمرة وبعينه حور، ويتربى يتيما فقيرا، ويكون خامس خليفة من بعدى، ويشتهر فى زمانه ويكون له شأن عظيم، وقد كان ذلك.

وقال سيدى شمس الدين الحنفى رضى الله تعالى عنه: إن الله قد أطلعنى على مقام سيدى عبد القادر الجيلانى وعلى مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنهما، فوجدت مقام سيدى أبا الحسن الشاذلى أعلى من مقام سيدى عبد القادر، وقال ذلك لأن سيدى عبد القادر سئل يوما، فقيل له يا سيدى من شيخك؟ فقال: أما فيما مضى فكان شيخى سيدى حماد الدباس، وأما الآن فأنا أستقى من بحرين بحر النبوة وبحر الفتوة، يعنى ببحر النبوة النبى ﷺ وبحر الفتوة هو على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: وسئل سيدى أبو الحسن الشاذلى فقيل من شيخك؟ فقال: أما فيما مضى فكان سيدى عبد السلام بن مشيش، وأما الآن فأستقى من عشرة أبحر: خمسة سماوية وخمسة أرضية، وأما السماوية: فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح، وأما الأرضية النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى.

وقال الشيخ أبو العباس المرسى: جلت فى ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين، فقلت له ما علومك وما مقامك؟ فقال: أما علومى فأحد وسبعون علما، وأما مقامى فرابع الخلفاء،

ورأس السبعة الأبدال . قلت : فما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي؟ قال زاد عليَّ بأربعين علما هو البحر الذي لا يحاط به اهـ.

وكان كلامه في العقل الأكبر، والروح الأنور، والقلم الأعلى، والقدس الأبهى، والاسم الأعظم، والكبريت الأحمر، والياقوت الأزهر، والأسماء والحروف والدوائر، وهو المتكلم بنور البصيرة على السرائر، وكان عالما عارفا بالعلوم الظاهرة جامعا لدقائق فنونها ومفتضا لأبكار المعاني وعيونها من حديث وتفسير وفقه وأصول ونحو وتصريف ولغة ومعقول وحكمة وآداب .

وأما علوم المعارف فقطب رحاها وشمس ضحاها ثم جاءه بعد ذلك العطاء الكبير والفضل الغزير وقُصد بالزيارات، من جميع الجهات، وهو صاحب الإشارات العلية، والعبارات السنية، جاء في طريق القوم، بالأسلوب العجيب والمنهج الغريب الذي جمع بين العلم والحال والهمة والمقال وتخرج بصحبته جماعة من الأكابر مثل أبي العباس المرسي وأبي العزائم ماضي وغيرهم، وتُلمذ له كثير من أعيان أهل الله تعالى.

قال ابن مغيزل : إن الشيخ رضي الله عنه لما قدم من المغرب الأقصى إلى مصر صار يدعو الخلق إلى الله تعالى، فتصاغر وخضع لدعوته أهل المشرق والمغرب قاطبة، وكان يحضر مجلسه أكابر العلماء من أهل عصره، مثل سيدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ عبد العظيم المنذري، وابن الصلاح وابن الحاجب، والشيخ جمال الدين عصفور، والشيخ نبيه الدين بن عوف. وهؤلاء سلاطين علماء الدين شرقا وغربا في عصرهم. وأيضاً الشيخ محيي الدين بن سراقة. والعلم ياسين تلميذ ابن العربي رضي الله عنهم، فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية بالقاهرة لازمين الأدب مصيخين له متلمذين بين يديه، وأن الشيخ الإمام قاضي القضاه بدر الدين بن جماعة الولي ابن الولي ابن الولي رحمهم الله كان يرى

أنه في بركة الشيخ أبو الحسن في مصر، وكان يفتخر بصحبته وبحضور جنازته والصلاة عليه بحضرتي.

وقال الشيخ مكين الدين الأسمر: مكثت أربعين سنة يشكل على الأمر في طريق القوم. فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل عنه إشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه. فأزال كل شيء أشكل علي.

وكان الشيخ يقرأ ابن عطية والشفا للقاضي عياض.

وقال: قيل لي يا علي ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الزكي بن عبد العظيم المنذري، وما على وجه الأرض مجلس في الحقائق أبهى من مجلسك.

وقال ابن عطاء الله: وطريقه رضي الله عنه طريق الفناء الأكبر، والتوصل العظيم حتى كان يقول ليس الشيخ من يدلك على تعبك إنما الشيخ من دلك على راحتك.

وقال: والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته.

وقال: والله لو حجب عني رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، وقال له رجل من أصحابه يا سيدي هل رأيت جبل ق قال نعم وجبل ص.

ومن مكاتبات أبي العباس المرسي من الإسكندرية لبعض أصحابه بتونس قال في آخره: فإني صحبت رأسا من رؤوس الصديقين وأخذت منه سرا لا يكون إلا لواحد بعد واحد والشرح يطول. وبه أفتخر وإليه أنسب رضي الله عنه. وهو أبو الحسن الشاذلي. وكان لا يصحبه أحد إلا فتح له في يومين أو ثلاثة فإن لم يجد شيئا بعد ثلاثة أيام فهو كذاب أو يكون صادقا ولكنه أخطأ الطريق ودليله من كتاب الله عز وجل ﴿قال ربي اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾.

وكان يقول : إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بى، فكنت والله لا أذكره فى شدة إلا انفرجت ولا أمر صعب إلا هان، وأنت يا أخى إذا كنت فى شدة فأقسم على الله به. وقد نصحتك والله يعلم ذلك والسلام.

وقال الشيخ أبو عبد الله الشاطبى : كنت أترضى عن الشيخ فى كل ليلة كذا كذا مرة وأسأل الله به فى جميع حوائجى فأجد القبول فى ذلك معجلا فرأيت رسول الله ﷺ. فقلت له يا سيدى يا رسول الله إنى أترضى عن الشيخ أبى الحسن فى كل ليلة بعد صلاتى عليك، وأسأل الله تعالى به فى حوائجى أفترى على فى ذلك شيئا إذا تعديت؟ فقال لى : أبو الحسن ولدى حسا ومعنى والولد جزء من الوالد. فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل، وإذا سألت الله بأبى الحسن فقد سألته بى ﷺ.

وقد ذكر ابن الصباغ فى درة الأسرار جملة من كراماته رواها عن أصحابه فلنأت بها هنا كما هى ومن هنا إلى آخره ذكر وفاة الأستاذ كله رواية ابن الصباغ رحمه الله ألا ما أعينه لغيره.

قال : لما وصل الشيخ إلى أفريقية وأراد التوجه إلى شاذلة كما أمره شيخه رضى الله عنه ووصل إلى مصلى العيدين. فلقى حطابا من أهل شاذلة فخرج معه متوجها فنسى الحطاب حاجة فى السوق فرجع إليها وترك الحمار. فلما توجه قال فى نفسه هذا رجل غريب وأخاف أن يهرب بالحمار فأبقى فى عدمه. فناداه الشيخ فرجع إليه. فقال له يا بنى خذ حمارك معك وأنا أنتظرك حتى تعود لئلا يهرب لك بالحمار على زعمك وتبقى فى عدمه. قال فبكى الحطاب وقال ما اطلع على هذا إلا الله تعالى. فعلم بولايته فجعل يقبل يديه ورجليه ويرغب فى دعائه ثم انصرف حيث حاجته وعاد إليه وحلف له أن يركب الحمار فركب وأردفه خلفه، قال الحطاب والله ما كان الحمار يردفنى إلا بعد جهد وذلك لضعفه وقلة علفه، قال فمشينا نحو الميل وإذا بالشيخ نزل، فإذا نحن بالساقية ونظرت إلى شاذلة، قال فذهلت ودهشت ثم هجمت عليه

وقلت له: ياسيدى أنا مبتل بالفاقة احتطب الحطب فأبيعه، فما أصل إلى القوت إلا بعد جهد وكان فى طرفى شعير اشتريته برسم قوت العيال وعلف الحمار، فقال لى هات ذلك الشعير فحل طرفى فأدخل يده فيه، وقال لى اجعل ذلك الشعير فى قفة وأغلق عليه وأدخل يدك وأخرجها وكلوا منه، وما بقيت تشكو الفاقة أبدا، أسأل الله أن يغنيك ويغنى ذريتك، فلم ير من ذريته فقير إلى الآن، قال: فجعلت أدخل يدى وأخرجها وأتصرف وحرثت على الحمار وزرعت منه فوجدت إصابة كثيرة وحللت عليه وكافه فوجدته على نحو ما كان، فلما دخلت عليه قال: لو لم تكله لأكلتم منه ما دام عندكم، وكان أول من صحبه بشاذلة سيدنا الشيخ الصالح الولى المكاشف أبو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبى من أهل شاذلة، كان يدخل مدينة تونس ويحضر مجلس سيدنا الشيخ الصالح العارف الفاضل أبى حفص الجاسوس وهو مشتمل فى خولى، فيقول الشيخ رضى الله عنه: العوالى فى الخوالى، قال فأخذت يده يوما وقلت له يا سيدى اتخذتك شيخى، فقال: لا يا بنى ارتقب شيخك حتى يصل من المغرب شريف حسنى من أكابر الأولياء هو أستاذك وإليه تنتسب فكان يرتقبه وكل من يراه من الفقراء والمغاربة يصحبه حتى قدم الشيخ إلى شاذلة، فاجتمع به وكان ذلك إكراما به وسابقة خير له، فصحبه ولازمه حتى توجه معه إلى جبل بزعفران وتعبد معه وجاهد معه زمناً طويلا، وروى عنه كرامات كثيرة، قال فما حكى عنه: قال قرأ يوما على جبل زعفران سورة الأنعام إلى أن بلغ قوله تعالى: ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ أصابه حال عظيم وجعل يكررها ويتحرك، وكلما مال إلى جهة مال الجبل نحوها حتى سكن فسكن الجبل.

وحدثنا الشيخ الصالح أبو الحسن على الأبرقى المعروف بالحطاب، قال: قلت يوما لسيدى أبى محمد عبد الله الحبيبى أخبرنى عن بعض ما رأيت لسيدى أبى الحسن، قال رأيت له أشياء كثيرة، وسأحدثكم عن بعض ذلك: أقمت معه بجبل زعفران أربعين يوما أفطر على العشب وورق الدقلا حتى

تقرحت أشداقي، فقال لي يا عبد الله كأنك اشتهيت الطعام، فقلت له يا سيدى نظرى إليك يغنينى عنه، فقال غدا إن شاء الله فهبط إلى شاذلة وتلقانا فى الطريق كرامة، قال فهبطنا فلما صرنا فى وطاء الأرض قال لى: يا عبد الله إذا خرجت عن الطريق فلا تتبعني، قال فأصابه حال عظيم وخرج عن الطريق حتى بعد عني، فرأيت طيورا أربعة على قدر البراريج نزلوا من السماء وصاروا على رأسه صفا ثم جاء إليه كل واحد منهم وحدثه، ورأيت معهم طيورا على قدر الخطاطيف وهم يحفون به من الأرض إلى عنان السماء ويطوفون حوله ثم غابوا عنى، ثم رجع إلى، وقال لى: يا عبد الله هل رأيت شيئا؟ فقلت نعم، وأخبرته بما رأيت، فقال لى: أما الطيور الأربعة فهم من ملائكة السماء الرابعة أتوا ليسألونى عن علم فجاوبتهم عليه، وأما الطيور الصغار الذين هم على شكل الخطاطيف فهم أرواح الأولياء أتوا إلينا ليتبركوا بقدومنا، قال فأقمنا بجبل زعفران زمانا طويلا وأنبع الله علينا عينا تجرى بالماء العذب، وله هناك مغارة كان يسكنها ويُسمع الآن فيها الأذان من أسفل الجبل فيصعدون إليها فلا يجدون أحدا يعمرها وذلك فى أوقات الصلاة.

وقال أيضا رضى الله عنه قيل لى يا على اهبط إلى الناس ينتفعوا بك، فقلت يا رب أقلنى من الناس فلا طاقة لى بمخالفتهم، فقيل لى انزل فقد أصحبناك السلامة، ورفعنا عنك الملامة، فقلت يا رب تكلنى إلى الناس آكل من دريهماتهم فقيل لى، أنفق يا على وأنا الملئ. إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب. قال فدخل تونس وسكن بمسجد البلاط دارا تفتح للقبلة صحبه بها جماعة من الفضلاء. منهم الشيخ أبو الحسن على بن مخلوف الصقلى، وأبو عبد الله الصابونى وأبو محمد عبد العزيز الزيتونى وخديمه أبو العزائم ماضى من المسروقين وأبو عبد الله اليجائى الخياط وأبو عبد الله الخارجى الخياط، وكل هؤلاء أصحاب كرامات وبركات، وأقام بها مدة إلى أن اجتمع إليه خلق كثير، فسمع به الفقيه أبو القاسم بن البراء وكان فى ذلك الوقت قاضى الجماعة فأصابه منهم حسد كثير، فوجه إليه ليناظره فلم يقدر على التمكن

منه، فقال للسلطان وهو الأمير أبو زكريا أن ههنا رجلا من أهل شاذلة سواق الحمير يدعى الشرف، وقد اجتمع إليه خلق كثير، ويدعى أنه الفاطمى ويشوش عليك فى بلادك.

قال الشيخ رضى الله عنه قلت: يارب لم سميتنى الشاذلى ولست بشاذلة، فقيل لى يا على ما سميتك بالشاذلى، وإنما أنت الشاذلى - بتشديد الذال المعجمة - يعنى المفرد لخدمتى ومحبتى.

وكان السلطان أبو زكريا رحمه الله قد اجتمع بابن البراء وجماعة من الفقهاء فى القضية. وجلس السلطان خلف حجاب، وحضر الشيخ رضى الله عنه وسألوه عن نسبه مرارا والشيخ يجيبهم عليه، والسلطان يسمع، وتحدثوا معه فى العلوم كلها فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها، فما استطاعوا أن يجاوبوه عنها من العلوم الموهوبة، والشيخ يتكلم معهم بالعلوم المكتسبة، ويشاركهم فيها، فقال السلطان لابن البراء هذا رجل من أكابر الأولياء وما لكم به طاقة، فقال له: والله لئن خرج فى هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجوك من بين أظهرهم، فإنهم مجتمعون على بابك، قال فخرج الفقهاء وأمر الشيخ بالجلوس فقال الشيخ لعلى أن يدخل على بعض أصحابى، فدخل عليه أصحابه، فقال له يا سيدى الناس يتحدثون فى أمرك ويقولون يفعل به كذا وكذا من أنواع الأدب وبكى بين يديه، فتبسم وقال: والله لولا أنى أتأدب مع الشرع لخرجت من ههنا ومن ههنا وأشار بيده، فمهما أشار إلى جهة انشق الحائط ثم قال له ائتنى بإبريق وسجادتى وسلم على أصحابى وقل لهم ما نغيب عنكم إلا اليوم خاصة وما نصلى المغرب إلا معكم إن شاء الله تعالى، فأتاه بما أمره فتوضأ وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى.

قال رضى الله عنه فهممت بالدعاء على السلطان، فقيل لى إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق، فألهمت أن أقول: يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم، أسألك الإيمان

بحفظك إيمانا يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق، وأقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك، ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك عن نار عدوه، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء، كلا إني أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني، إنك على كل شيء قدير.

قال: وكان عند السلطان جارية من أعز جواريه عليه فأصابها في ذلك اليوم جمع فماتت في ساعتها، وأصيب السلطان بسببها وغسلت في بيت سكناها، وبخروا أكفانها، واشتغلوا بدفنها ونسوا المجمرة في القبة، فاحترق جميع مافي القبة من الفرش والملابس والذخائر والأموال وذلك لا يحصى ولا يعد، فعلم السلطان أنه أصيب من أجل هذا الولي، فسمع بذلك أخو الملك أبو عبد الله اللحياني وكان ذلك اليوم في جنانه بخارج المدينة، فأتى مبادرا للشيخ وكان كثير الزيارة والاعتقاد في الشيخ رضى الله عنه، فقال لأخيه: ما هذا الذي أوقعك فيه ابن البراء، أوقعك والله في الهلاك أنت ومن معك، قم بنا إليه فقام معه الملك ودخلا على الشيخ رضى الله عنه وجعل الشيخ أبو عبد الله اللحياني يقول يا سيدي أخي والله غير عارف مقدارك، وجعل يقبل يديه ورجليه ويسأله الصفح عنه فقال له الشيخ: والله إن أخاك لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، كان ذلك في الكتاب مستورا. قال: وخرج الشيخ أبو عبد الله اللحياني بصحبة الشيخ رضى الله عنه حتى وصل إلى داره ثم رجع فأقام الشيخ بتونس أياما ثم باع ربعه الذي بمسجد البلاط وهي الدار القبلية لباب القيسرية التي فرقها، وأمر أصحابه إلى بلاد المشرق، ووجه إلى ابن البراء: أتراني أوسع لك مدينة تونس.

قال: وحدثني الشيخ الصالح أبو العزائم ماضي ابن سلطان خديم الشيخ قال: كنا يوما ماشين مع الشيخ، وإذا بابن البراء فسلم الشيخ عليه فأعرض عنه ولم يرد عليه السلام، وإذا بالفقيه أبي عبد الله بن أبي الحسن حاجب

السلطان فلما رآه ترجل عن بغلته وبادر إلى الشيخ يقبل يديه ويطلب منه الدعاء فدعا له وانصرف، فلما دخل الدار قال: خوطبت الآن فى هؤلاء الاثنين، قيل لى يا على وسم عبد بالشقاوة علم الحق وتعامى عنه ولو علم ما علم، ووسيم عبد بالسعادة علم الحق وأتى إليه ولو عمل ما عمل قال: وما سمعنا الشيخ دعا إليه ولا ذكره بشىء حتى كنا بعرفة إذ قال: يا فقراء أمنوا على دعائى، فالآن أمرت أن أدعو على ابن البراء ثم بسط كفه فقال: اللهم طول عمره ولا تنفعه بعلمه، وافتنه فى ماله وولده، واجعله فى آخر عمره خادما للظلمة، واختم له بسوء العاقبة: فأما طول عمره فقد بان للناس وأما علمه، فقد كان وعى علما كثيرا فكل ما نقله أو كتبه قلما يعبأ به من بعده، ولا يقال قال ابن البراء، فمضى علمه ضياعا.

وأما ولده فكان يسكن فى علو داره فوق رأسه وكان يلهو بالمغانى والخمور والمعاصى وما لا يحل ويستظهر بذلك، وقد يدخل عليه الفقراء للدفع أو لشىء فيسمعون ذلك، فيقول لهم ولدى محمد مسكين مبتل باللعب وأما فى آخر عمره فكان زمام الروم بيده يصبح كل يوم الروم على بابه يقولون له أنعم صباحا يا سنيور، فنسأل الله العافية، وأن لا يبتلينا بكراهة أوليائه والإنكار عليهم، فقد قيل إن الله عز وجل يقول: «من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة».

قال: ولما توجه رضى الله عنه للمشرق سمع السلطان بخروجه، فتغير لذلك وقال أى شىء يسمع عن إقليمنا أنه أتاه ولى من أولياء الله فضاق عليه حتى خرج فارا بنفسه، فأمر من يرده فلما وصل إليه قال له السلطان آمرك بالرجوع، قال الشيخ: ما خرجت إلا بنية الحج ولكن إذا قضى الله حاجتى أعود إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ أبو العزائم ماضى: لما دخلنا الإسكندرية عمل ابن البراء عقدا بالشهادة أن هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا وكذلك بفعل فى بلادكم،

فأمر السلطان أن يعقل بالإسكندرية، فأقمنا أياما ولم يكن عندنا خبر بذلك وكان الملك قد رمى رميه على أشياخ بلد يقال لها القبائل، فلما سمعوا بورود الشيخ أتوا إليه يطلبونه في الدعاء، فقال لهم إن شاء الله تعالى نسافر القاهرة ونتحدث مع السلطان فيكم قال فسافرنا وخرجنا من باب السدرة وفيه الجنادرة والوالي لا يخرج أحد حتى يفتشوه، فخرجنا ولم يرنا أحد ولا علم بنا، فلما وصلنا القاهرة وأتينا القلعة استؤذن علينا السلطان. فقال وكيف أمرنا أن يعقل بالإسكندرية، فأذن لنا بالدخول فدخلنا على السلطان والقضاة والأشراف، فجلس معهم ونحن ننظر إليه: فقال له الملك ما تقول أيها الشيخ، فقال جئت أشفع في القبائل، قال له الملك اشفع في نفسك قبل، فإن هذا عقد مشهود فيك وجهه ابن البراء من تونس وعلامته فيه وناوله العقد، فقال الشيخ أنا وأنت والقبائل في قبضة الله وقام الشيخ رضي الله عنه، فلما مشى قدر العشرين خطوة كلم السلطان القضاة فلم يتكلم وحركوه فلم يتحرك ولم ينطق بشيء فبادروا إلى الشيخ رضي الله عنه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه، وهم يرغبونه في الرجوع إليه، فرجع إليه وحركه بيده المباركة فتحرك، ثم نزل عن كرسيه وجعل يستحله ويقبل يديه ويسأله الدعاء، ثم كتب إلي الوالي بالإسكندرية، أن يرفع الطلب عن القبائل، وترك لهم جميع ما أخذ منهم وأقمنا عنده في القلعة أياما، واهتزت بنا الديار المصرية إلى أن طلعنا إلى الحج، ووجهنا إلى مدينة تونس وسكن الشيخ بها دارا بداخل باب الحديد ببطحاء السعرية تفتح للجوفي فأقام بها وقتا إلى أن قدم الشيخ السيد الوالي أبو العباس المرسي الذي أخذ مقامه في الولاية والقطبانية وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وقال رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي يا علي، قلت لبيك يا رسول الله قال لي انتقل إلى الديار المصرية تربي بها أربعين صديقا وكان ذلك في زمن الصيف وشدة الحر فقلت يا حبيبي أخاف العطش، فقال لي إن السماء تمطركم في كل يوم أمامكم، قال ووعدني في طريقي بسبعين كرامة، قال فأمر أصحابه بالحركة وسار متوجها إلى المشرق، وكان ممن صحبه في سفره الشيخ الصالح الولي أبو علي يونس بن السماط، قال

وحدثنى الصالح أبو عبد الله الناسخ، قال : توجهت فى خدمة الشيخ أبى على بن السماط وهو فى صحبة الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين، فلما وصلنا طرابلس قال الشيخ نتوجه على الطريق الوسطى، واختار الشيخ ابن السماط طريق الساحل، فرأى الشيخ أبو على النبى ﷺ وقال له يا يونس أنت ولى الله وأبو الحسن ولى الله ولن يجعل الله لولى على ولى من سبيل، امض على طريقتك التى اخترت ويمضى على طريقته التى اختار، فافترقنا إلى أن اجتمعنا بمقربة من الإسكندرية، قال فلما صلينا الصبح توجه الشيخ أبو على السماط إلى خبأة الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم أجمعين ونحن فى صحبته، فدخل عليه وجلس بين يديه، وتأدب معه بكلام ما فهمنا منه شيئا، فلما أراد الانصراف قال له يا سيدى هات يدك أقبلها فأعطاه يده فقبلها وانصرف وهو يبكى، فعجبنا منه فى ذلك اليوم، فلما كان فى أثناء الطريق التفت إلى أصحابه وقال لهم : رأيت البارحة النبى ﷺ وقال لى يا يونس كان أبو الحجاج الأقصرى بالديار المصرية وكان قطب الزمان فمات البارحة وأخلفه الله تعالى بأبى الحسن الشاذلى فأتيت إليه حتى بايعته بيعة القطبانية، فلما وصلنا الإسكندرية وخرج الناس يتلقون الركب رأيت الشيخ أبا على السماط يضرب بيده على مقدم الرحل وهو يبكى ويقول يا أهل هذه البلدة لو علمتم من قدم عليكم فى هذا القفل لقبلتم أخفاف بعيره قدمت والله عليكم البركات.

قال : وحدثنى أيضا أبو عبد الله الناسخ قال كنت أمشى خلف الشيخ أبى الحسن الشاذلى وهو راكب فى محارة فرأيت رجلين يمشيان تحت ظل رحله فقال أحدهما للآخر يا فلان رأيت فلانا يسىء معك العشرة وأنت له محسن فقال له هو من بلدى وأقول كما قال مجنون ليلى :

رأى المجنون فى البيداء كلبا ... فجر له من الإحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا كم أنلت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة إن عينى ... رأته مرة فى حى ليلى

قال : فأخرج الشيخ أبو الحسن رأسه من المحارة وقال أعد يا بنى ما قلت فأعاد مقالته فتحرك الشيخ فى المحارة وقال :

دعـــوا الملامـــة إن عينـــى رأتـــه مـــرة فى حـــى ليـــلى

وجعل يكررها مرارا ورمى له غفارة زبيبة اللون وقال له خذها يا بنى والبسها فأنت أولى بها منى، جزاك الله يا بنى على حسن عهدك خيرا، قال فأشرت إليه وقلت له ناولنى إياها فناولنيها فأخذتها وقبلتها وأخذت جملة دراهم وناولتها له فقال لى والله لو أعطيتنى ملأها ما بعتها به، هذه والله ذخيرة حصلت عندى لأجعلنها فى كفنى وما أنا أمشى تحت هذه المحارة ألا لعل الله يرحمنى بما أسمع من ذكره.

واعلم أن الرحمة تنصب عليه فلعلى أنال منها شيئا، فعلمت أنه أعرف بالشيخ منى.

وقال رضى الله عنه: لما قدمت على بلاد المشرق قيل لى يا على ذهبت أيام المحن، وأقبلت أيام المنن عشر بعشر، اقتد بجدك ﷺ. وحدثنى من أثق به قال: كان فى العام الذى قدم فيه الشيخ برسم الحج تحرك الثغر على ملك القاهرة، فاشتغل الملك بالحركة عليهم، فلم يجهز الجيش إلى المحمل، وأخرج الشيخ خباءه إلى البركة واتبعه الناس، قال فاجتمع الناس بالفقيه القاضى عز الدين ابن عبد السلام وسألوه عن السفر؟ فقال لا يجوز السفر على الغرور وعدم الجيش، فأخبر الشيخ بذلك فقال اجمعونى به، فاجتمع به فى الجامع يوم الجمعة، فقال له: يا فقيه أرأيت لو أن رجلا جعلت له الدنيا خطوة واحدة أيباح له السفر فى المخاوف أم لا؟ فقال له من كان بهذا الحال فخارج عن الفتوى فقال الشيخ: أنا بالله الذى لا إله إلا هو ممن جعلت له الدنيا خطوة واحدة فإذا رأيت ما يخوف الناس أتخطى بهم حيث آمن ولابد لك من المقام بين يدى الله عز وجل، وتسألنى عن حقيقة ما قلت.

وسافر رضى الله عنه فظهر له فى الطريق كرامات: فمنها أن اللصوص كانوا يأتون إلى الركب بالليل، فإذا دخلوا وسط الركب يجدون عليه سورا

مبنيا ولا يستطيعون الخروج كأنها مدينة مبنية، وإذا أصبحوا يأتون الشيخ ويتوبون إلى الله تعالى. قال فلما رجع وخرج المشاة إلى القاهرة خرج الفقيه القاضى إلى لقائهم بالبركة، فحدثه الناس بما رأوا من مواهب الله تعالى، فلما دخلوا أتى الشيخ عز الدين القاضى لزيارة الشيخ، فقال له: يا فقيه والله لولا تأدبى مع جدى رسول الله ﷺ لأخذت الركب يوم عرفة وتخطيت بهم إلى عرفات، فقال المفتى آمنت بالله فقال الشيخ رضى الله عنه يا فقيه عز الدين انظر إلى حقيقة ذلك وأشار بيده المباركة إلى القبلة، فنظر كل من حضر فى تلك الساعة إلى الكعبة الشريفة حتى ضج الناس، فحط القاضى رأسه بين يديه وقال له يا سيدى أنت شيخى من هذه الساعة، فقال له الشيخ أنت أخى إن شاء الله تعالى رضى الله عنهم أجمعين.

قال: وحدثنى الشيخ أبو العزائم ماضى قال: تحدث الشيخ يوما فى الحقيقة مع أصحابه فقال أنه تكون يده عليهم تحفظهم أينما كانوا غائبين أو حاضرين، قال الشيخ أبو العزائم: فاعترضت عليه ذلك فى نفسى وقلت لا يكون ذللك إلا لله عز وجل، ففى حضرته يمكن وأما فى الغيبة فلا ينبغى إلا لله عز وجل، فلما أصبح الله بخير الصباح أخذتنى ضيقة فى نفسى فخرجت بخارج الإسكندرية وجلست على ساحل البحر النهار كله فلما صليت العصر أدخلت رأسى فى طوقى وجلست، فبينما أنا كذلك وإذا بيد تحركنى فظننت أنه بعض الفقراء يمازحنى، فأخرجت رأسى فوجدت امرأة حسناء عليها لباس حسن وحلى فقلت لها ما تريدين؟ قالت أنت، فقلت أعوذ بالله منك، فقالت والله مالى عنك براح، فدافعتها عن نفسى فأخذتنى فى حضنها ولعبت بي كما يلعب العصفور، وما ملكت من نفسى شيئا، ورمتنى بين فخذيها فخنت نفسى إليها، وإذا بيد أخذتنى من أطواقى فإذا هو الشيخ رضى الله عنه فقال لى : يا ماضى ما هذا الذى تقع فيه ورمانى عنها، فظننت لما بعد أنى خررت من السماء فقمت ورفعت نفسى فما وجدت الشيخ ولا وجدت المرأة فعجبت من ذلك وعلمت ذنبى مع الشيخ وأننى أصبت باعتراضى عليه بالأمس،

فاستغفرت الله وتوضأت وصليت المغرب وأقبلت إلى الباب الأخضر وقد غلقت أبواب البلد كلها، فلما دنوت من الباب انفتح لى فدخلت المدينة ثم غلق الباب خلفى، والباب الأخضر لا يفتح إلا يوم الجمعة يخرج منه الأمير والناس بين يديه إلى الساحل ثم يغلق إلى الجمعة الأخرى، فأتيت القلعة ودخلت بيتى مختفيا من الفقراء، فلما صلى الشيخ العتمة صرف الناس وكان له فى كل ليلة مجلس يأتى الناس إليه من البلد يسمعون لكلامه، فدخل الخلوة وقال أين ماضى؟ فقالوا يا سيدى ما رأيناه اليوم، قال اطلبوه فى بيته، قال فأتوه فقال إنى مريض وكان كذلك، وكان الشيخ ماضى ورد عليه حال كبير وما أتى إلا فى حال عظيم فرجعوا إلى الشيخ فأخبروه فقال احملوه بينكم، قال فحملونى إليه وأمرهم بالانصراف فخرجوا وجلست بين يديه، فقال لى يا ماضى قلت نعم، قال ما قلت أنا بالأمس كذا وكذا فاعترضت على وأين كانت يدى منك اليوم لما أردت أن تقع فى المعصية يا ماضى من لم يكن كذلك فليس بشيخ.

وحدثنى أبو العزائم ماضى قال: كنا بدمنهور الوحش مسيرة يوم للفارس من اسكندرية، فلما صلينا العصر أعطانى الشيخ كتابا للفقيه فخر الدين الفايزى بالإسكندرية برسم حاجة عرضت له، فقلت يا سيدى إن كان غدا إن شاء الله تعالى نخرج بكرة فقال لى الساعة تسافر وتعود إن شاء الله تعالى، قال فتقلدت نمشة كانت عندى وخرجت متوجها فوصلت إلى الإسكندرية فى أقرب وقت، فأعطيته الكتاب وعدت قبل اصفرار الشمس وكنت مررت بجبال الحاجر فى طريقى فأسمع بها دويا عظيما وأحس المشى خلفى، فأظن أنها اللصوص تتعرض فى طريق النهار فأسل النمشة وأبقى منتظرا لما يرد على فلم أر أحدا فلما رجعت إلى الشيخ وجلست بين يديه تبسم إلى وقال يا ماضى تجيد نمشتك تلقى بها اللصوص إنما الدوى كنت تسمع دوى الملائكة يحفظونك حتى وصلت إلى وذلك بأمر الله تعالى.

وحدثنى أيضاً أبو العزائم ماضى قال: بعثنى الشيخ رضى الله عنه

إلى دمياط فى بعض حوائجه وعندنا رجل من أهل دمياط، فأراد السفر معى، استأذن الشيخ فأذن له، فلما توجهنا لباب السدرة أخرج الرجل دراهم ليشترى بها خبزا وإداما، فقلت له ما تحتاج إلى شىء فقال له نجد دكان فلان فى الصحراء وهذا الدكان الذى ذكر الرجل هى دكان حلوانى كان بالإسكندرية فقلت له أحسن إن شاء الله تعالى، وكنت إذا سافرت لا أحمل معى زادا، وإذا أصابنى الجوع أسمع كلاما من خلفى يقول لى يا ماضى ارجع عن يمينك تجد ما تأكل، وكذلك إذا عطشت أجد طعاما طيبا وماء عذبا، قال فخرجنا ومشينا وجد بنا السير، فلما تعالى النهار قال يا ماضى أطعمنى قد جعت وإذا بكلام الشيخ على العادة: يا ماضى جاع ضيفك اخرج عن يمينك تجد ما تطعمه، فخرجت عن يمين الطريق فوجدت مخفية مملوءة كنافة سكرية مخلطة بالمسك وماء الورد فأكلنا حتى ملينا، فبقى الرجل متعجبا مما رأى من العجب فقلت له أيما أطيب هذا الطعام أو ما أشرت إليه فى دكان الحلوانى فلان؟ فقال والله ما رأيت قط ولا سمعت بهذا ولا يصنع مثله فى قصر ملك، فأراد أن يرفع بقيته فمنعته وتركها على حالها، ومشينا يسيرا فعطشنا وإذا بكلام الشيخ يقول: يا ماضى اخرج عن يمينك فخذ الماء فخرجت له فوجدنا غدير ماء عذب فى الرمل فشربنا واضطجعنا ساعة وقمنا فما وجدنا قطرة من الماء، فقال الرجل أين الماء الذى كان هنا، فقلت لا علم لى به فقال والله لقد تمكن هذا الشيخ تمكينا عظيما والله لا أرجع إلى أهلى حتى أنال ما نال هذا الشيخ أو أموت فى الله، فخلى فروته عندى ومشى فى البرية وهو يقول الله الله، قال فلما قضيت سفرتى ورجعت للشيخ قال: يا ماضى ودرت ضيفك، فقلت أنت ودرته، أنت الذى أطعمته الكنافة السكرية فى البرية وأسقيته الماء فى الرمل، فقال لى يا ماضى مر فى الذاهبين إلى الله.

وحدثنى أيضا أبو العزائم ماضى قال: حججت سنة من السنين عن إذنه، فلما قضيت مناسكى وأتيت أطوف طواف الوداع قام أهل مكة على من بقى فى الحرم من الحجاج ونهبوهم وكان عندى أمانات للناس، فدخلت الحجر

ووقفت تحت الميزاب وقلت : إن خرجت نهبوني ، وإن أقمت أقمت بأموال الناس عندي ، فبكيت حائرا لا أدرى ما أصنع ، فناديت بالشيخ وإذا به واقف بباب الندوة وهو يشير إليّ وبادرته ، فولى خارجا فاتبعته ولم أقدر على اللحوق به والوصول إليه ، فلم أزل كذلك حتى دخلت الركب فلما دخلت الركب طلبته فلم أجده فلما وصلت إلى إسكندرية أتيت إليه وسلمت عليه فسألني عن حالي وقال لي : يا ماضي لما اشتد الحال عليك وناديت بنا أتينا إليك وخلصناك مما كنت فيه .

وحدثني أيضاً قال : حججت سنة من السنين ، فلما وصلنا المدينة المكرمة ودخلنا مسجد رسول الله ﷺ كشف الشيخ عن رأسه وجعل يقول صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سمواته وأرضه عليك يا سيدى يا رسول الله وعلى أصحابك أجمعين ، وجعل يكرر ذلك مرارا وهو فى حال عظيم إلى أن سكن عنه ذلك الحال وجلس فى الحرم ، وقال له : يا ماضي لما كنت أسلم عليه فيرد على السلام بسبابته وأنا أنظر إليه ، قال ودخل علينا فى تلك الساعة أبو محمد عبد العزيز الزينوني وكان ناظرا على طعام الفقراء ، فقال له يا سيدى مات بعيرى وبقى حمله فى الأرض ، فقال له والله ما عندى فى هذه الساعة لا صفراء ولا بيضاء وأمره بالجلوس ونحن فى حلقة دائرين عليه ، فأدخل رأسه فى طوقه ساعة ثم أخرج رأسه وقال يا عبد العزيز ادن منى فدنا منه ، فقال له أدخل يدك فى جيبي وخذ ما فيه فأدخلها وأخرجها مملوءة ذهبا وقال انظروا إليه والله ما ضربه ضارب ولا صاغه صائغ ، وإنما قيل لى يا على خذ ما فى جيبك ، ثم قال له اشتر جملا وما تحتاج إليه من الزاد للفقراء ، وكان أبو محمد الزيتوني من كبار أصحابه ، فدعا الشيخ يوما بعرفة واختص الشيخ أبا محمد الزيتوني بالتأمين عليه قال له : أمن على دعائي ، فلما فرغ من دعائه قال : والله لقد دعا بدل وخليفة ، فقال له سيدى عبد العزيز ، يا سيدى من البدل ومن الخليفة؟ فقال له أنا الخليفة وأنت البدل .

قال : وحدثني الشيخ الصالح المفتي جمال الدين القرشي العراقي بمدينة

القاهرة سنة خمس عشرة وستمائة قال : سمعت الشيخ أبا العباس المرسى نفعنا الله ببركته يقول : صلينا الصبح ذات يوم وراء أبى الحسن الشاذلى فقرأ سورة شورى، فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعَل من يشاء عقيما ﴾ وقع فى نفسى شىء من ذلك المعنى، فلما سلم الشيخ فى الصلاة التفت إلى وقال لى : يا أبا العباس : يهب لمن يشاء إناثا العبادات والمعاملات، ويهب لمن يشاء الذكور الأحوال والعلوم والمقامات، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يجمع ذلك، فيمن يشاء من عباده ويجعل من يشاء عقيما بلا علم ولا عمل فتعجبت من ذلك فقال الشيخ والله ما وقع فى خاطر أحد شىء وإلا أطلعنى الله عليه فى تلك الصلاة أو غيرها.

حدثنى الشيخ أبو العزائم ماضى قال : كان للشيخ ولد اسمه على فلقيه يوما بالإسكندرية سكران بالخمر، فأتيت به إلى الدار وضربته ضربا وجيعا فتعلق بأمه فجذبته جذبة شديدة وهو واثق بأمه فخرج بخيوط رأسه فى يده فبكت وجاء الشيخ رضى الله عنه، فقال لها ما يبكيك فأخبرته بالقصة ولم تخبره بالخمر وسكر ولدها فتغير الشيخ ودخل الزاوية وقال لى يا ماضى فعلت كذا وكذا فقلت له ياسيدى إنى وجدته سكران بالخمر، والله لو تعلق بك لجلدته الحد، فسكت الشيخ ودخل الزاوية وهو متغير الوجه، فمكث ساعة ثم استدعانى فدخلت عليه فوجدته فرحا مسرورا، فقال لى يا ماضى لما دخلت إلىّ إلى هذا المكان أردت أن أدعو عليه فقيل لى يا على مالك ولولى دعه حتى ينفذ ما قدرته عليه، فلم يمض إلا مدة يسيرة حتى خرج فى السياحة وظهر فى أرض المغرب وظهرت ولايته.

حدثنى أيضا الشيخ الجليل أبو العزائم ماضى قال : لما بلغ ولده أبو العباس المدعو بشهاب الدين الحلم أتته والدته فقالت له : يا سيدى ولدك بلغ مبلغ الرجال، فقال لها ائتنى به حتى أوصيه وأعلمه ما يجب عليه من حقوق الله سبحانه، قال فاستدعته أمه وجلس بين يديه، فجعل ينظر فيه ساعة ويتفرس

فيه ثم يلتفت عنه، ثم قال له قم يا بنى أرشدك الله ودعا له بدعاء كثير ثم انصرف، فقالت أم الولد يا سيدى ما سمعتك أوصيته بشىء ولا خاطبته، فقال لها لما جلس بين يدى أطلعنى الله تعالى على عواقبه، فما وجدت فى عمله شيئا أوصيه عليه، فاستحييت من الله أن أكلمه.

وحدثنى حفيده ابن بنته رقية قال: لما تزوجت والدتى الشيخ رضى الله عنه دخل والدى رحمه الله وهو على الدمنهورى على الشيخ ليهنيه بها وكان شيخا كبيرا فهنأه بها. فقال له الشيخ رضى الله عنه إنها زوجتك قال: وأنا فى هذه السن؟ قال نعم ويتزايد لك منها فلان وفلان وعد أولادا ثم قال له: إن الله أطلعنى على ذلك فكان زوجها وولدت منه ما أخبره به الشيخ رضى الله عنه.

وقال أيضا اجتمعت بابنته الصالحة الفاضلة عريفة الخير وتكنى بالوجيهة وهى إذ ذاك مكفوفة البصر، فسألتها عن اسمها ولم سميت ياسمين؟ قالت لما ولدت كان أبى فى القاهرة فكتب وهو يقول: كنت متوجها فى خلوة فعرفت أنه تزايدت لى ابنة وأمرت أن أسميها عريفة الخير، فلما وصل الإسكندرية قال لوالدتى أين البنت التى تزايدت لك؟ فرفعتنى إليه رضى الله عنه فوضعنى فى حجره وهو يقبل فى فمى وقال: مرحبا بالوجيهة أى التى عرف بها فى توجيهه وكانت هذه المرأة من أولياء الله تعالى ممن كان الناس يجوّدون القرآن عليها بالسبع وهى من خلف الستر وكانت سيدة فاضلة.

وحدثنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد ابن سيدى الشيخ الولى ابن عبد الله بن سلطان قال: حدثنى من أثق به فى مدينة الإسكندرية قال: حضرت فى دفن الحرة الفاضلة عريفة الخير رحمها الله تعالى، لما حصلت فى قبرها نزل بعض قراباتها ليلحدها، قال فالتفتت، إلىّ ثم ضحكت، فقلت لها ما هذا؟ قالت: لما رأيت من فضل الله تعالى علىّ، وأعرفك أنك تلحقنى بعد ثلاثة أيام. قال: فتوفى رحمه الله بعد ثلاثة أيام. قال: ولما توفيت نادى مناد من قبل الله تعالى بالإسكندرية هلموا إلى الصلاة على الحرة الصالحة عريفة

الخير التي خرجت في عمرها للدنيا ثلاث مرات خرجت أولا من بطن أمها وخرجت إلى بعلها وخرجت إلى قبرها، قال: وكان ممن صحبه بتونس سيدنا الشيخ الصالح أبو علي سالم التباسي وكان مسكنه بالمصرين. قال الشيخ أبو العزائم ماضي: كان له ولد اسمه علي، فوقعت شوشية بالمصرين بين أهل البلد وبين جماعة من البرابر من سكان الخيام وكانوا قاطنين عليهم، فأتوا أبا الحسن ابن الشيخ يحجز بينهم، فجاء في عين رجل من البرابر عكاز كان في يده، فطارت عينه فاجتمعوا عليه وأرادوا قتله، فخرج الشيخ والده إليهم وقال لهم: إذا كان صبيحة غد إن شاء الله تعالى يأتي أخي أبو الحسن يحكم بينكم وبينه، فلما أصبح الله تعالى بخير الصباح أتى الشيخ رضي الله تعالى عنه ففرشوا له خلالة على باب غرفة فجلس عليها، فخرج عليه الشيخ أبو النجاة سالم التباسي، فسلم على الشيخ رضي الله عنه، فقال له إني أتيت بسبب ولدك علي، قال فاجتمعوا بين يديه فقال لهم الشيخ أبو الحسن: اختاروا إما أخي سالم تأخذوه في دية عين صاحبكم، وإما أن تأخذوا خمسمائة دينار، فقالوا نأخذ الخمسمائة دينار على أن لا ننصرف إلا بقبضها، فقال لهم الشيخ رضي الله عنه وكأنكم تعجزون الفقراء عن المال، وأدخل يده تحت الخلالة التي فرشوها له وجلس عليها وهم ينظرون إليه، فجعل يدخل يده ويخرجها لهم مملوءة وهم يعدون حتى استوفوا الخمسمائة دينار وانصرفوا ثم التفت الشيخ إلى سيدي سالم وقال له يا أخي باعوك بالقراريط، فلو أخذوك لأخذوا غنى الدنيا والآخرة فوالله ما يأتي باقي هذا الشهر حتى ما يبقى لهم منها شيء وتذهب كلها من أيديهم ويحتاجون إلى الفقراء. قال: فارتحلوا بعد أيام قليلة عن المصرين فانتهبوا وأخذ لهم جميع ما عندهم ورجعوا إليها محتاجين يطلبون ما يستترون به من زاوية الشيخ أبي النجاة سالم التباسي، ومن أهل البلد وكثير من يسخر بهم ويقول صدق الشيخ رضي الله عنه فإنه أخبرنا بهذا.

قال: ولما توفي الشيخ أبو علي التباسي بالمصرين رسم حضور دفنه فلما

دخلنا البيت الذى هو فيه قال الشيخ أبو الحسن : سلام عليكم ورحمته وبركاته فقال له من وراء الحجاب : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وكان بالبيت صبى صغير حفيد الشيخ سالم فخرج وهو يقول جدى والله حى لم يمت ورد السلام على سيدى أبى الحسن الشاذلى ، قال وأتوا ينظرون إلى ذلك ، قال وغسله الشيخ بيده وكفنه ثم قبله بين عينيه وقال له يا أخى بالله عليك لا تنس العهد الذى بينى وبينك ، قال كل من حضر والله لقد رأيناه فتح عينيه وقال له نعم يا أخى ، فلما صلينا عليه ودفناه قلنا له : يا سيدى وما العهد الذى بينك وبينه ، قال : كنا تعاهدنا من مات قبل صاحبه كان له وسيلة عند الله عز وجل ودفن بالمصرين رحمه الله تعالى .

قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن : قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه : كنت مع الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه بالقيروان وكان شهر رمضان وكانت ليلة سبع وعشرين ، فذهب الشيخ إلى الجامع وذهبت معه ، فلما دخل الجامع وأحرم رأيت الأولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل ، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة وكانت ليلة القدر ، وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه : كنت ليلة من الليالى نائما بالإسكندرية وإذا قائل يقول لى مكة والمدينة ، فلما أصبحت عزمت على السفر وكان الشيخ رضى الله عنه بالمقسم بالقاهرة فسافرت إليه ، فلما مثلت بين يديه قال لى مكة والمدينة فقلت لأجل ذلك جئت يا سيدى ، قال اجلس فجلست وإذا برجل دخل عليه وقال يا سيدى عزمت على الحج وما معى شىء من الدنيا ، فقال لى الشيخ أى شىء معك ؟ قلت عشرة دنانير ، فقال ادفعها لهذا الرجل فدفعتها إليه ، فقال لى الشيخ إذا كان غدا فاخرج إلى الساحل واشتر لنا عشرين أردبا قمحا ، فأصبحت ونزلت إلى الساحل واشتريت عشرين أردبا قمحا وحملت القمح إلى المخزن وأتيت إلى الشيخ فقال لى هذه القمح قالوا إنه مسوس ما نأخذه ، فبقيت متحيرا ، لا أدرى كيف أصنع ؟ فبقيت ثلاثة أيام وصاحب القمح لا يطالبنى بالثمن ، فلما كان

فى اليوم الرابع وإذا برجل يطوف على فلما رآنى قال لى أنت صاحب القمح ؟ قلت نعم، قال تأخذ فيه ألف درهم فائدة. قلت نعم، فوزن لى ألف، فوضع الله البركة فيها فلو قلت أنى أنفق منها إلى اليوم لصدقت.

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه : لما نزلت بتونس حين أتيت من مرسية وأنا إذ ذاك شاب، فسمعت بذكر شيخى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه، فقال لى رجل تمضى بنا إليه، فقلت له حتى أستخير الله تعالى فنمت تلك الليلة فرأيت كأنى أصعد إلى رأس جبل، فلما علوته رأيت هناك رجلا عليه برنس أخضر وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل، فلما نظرت إليه قال لى عثرت على خليفة الزمان ؟ قال فانتبهت، فلما كان بعد صلاة الصبح أتانى الرجل الذى دعانى إلى زيارة الشيخ فسرت معه، فلما دخلنا على الشيخ رأيته على الصفة التى رأيته فيها على الجبل، قال فدهشت فقال لى عثرت على خليفة الزمان ما اسمك ؟ فذكرت له اسمى ونسبى، فقال رفعت إلى منذ عشرة أعوام.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : كنت فى بعض سياحتى أويت إلى مغارة بقرب مدينة المسلمين فمكثت ثلاثة أيام لم أذق طعاما، فلما كان بعد ثلاثة أيام دخل على ناس من الروم كانوا قد أرسوا سفنهم هناك فلما رأونى قالوا قسيس من المسلمين ووضعوا عندى طعاما وشرابا، فعجبت كيف رزقت على أيدى الكافرين ومنعت ذلك من المسلمين، فإذا على يقول لى ليس الرجل من نصر بأحبابه إنما الرجل من نصر بأعدائه.

وقال رضى الله عنه كنت أنا وصاحب لى قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله، فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا، فدخل علينا رجل له هيبة فقلت له من أنت ؟ قال عبد الملك، فعلمنا أنه من أولياء الله، فقلنا له كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يقول غدا يفتح لى، بعد غد يفتح لى، فلا ولاية ولا فلاح، يا نفس لا تعبدين الله إلا لله، قال فتفطنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح لنا.

وذكر المناوى فى الكواكب الدرية : أنه لما قدم الشيخ الشاذلى إسكندرية وكان بها أبو الفتح الواسطى وقف بظاهرها واستأذنه، فقال طاقية لا تسع رأسين، فمات أبو الفتح فى تلك الليلة، وذلك لأن من دخل على فقير بلد بغير إذنه فإن كان أحدهما أعلى سلبه وقتله ولذلك ندبوا الاستئذان.

وذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى قواعد الصوفية الصغرى : أن سيدى أبا الحسن الشاذلى لما أتى من المغرب وكتبوا للسلطان فى شأنه مكاتيب شنيعة، فخرج من إسكندرية وذهب إلى السلطان واعتقده، فأرسلوا له ثانيا أنه كيماوى فزال اعتقاده فيه ثانيا واتفق أن خازنداره فعل أمرا يوجب القتل فخاف من السلطان وهرب إلى الشيخ بالإسكندرية فحماه منه وأرسل السلطان يغلظ عليه ويقول تتلف مماليكى، فقال نحن ممن يصلح ما نحن ممن يفسد ثم أخرج المملوك من الخلوة وقال بل على هذا الحجر فبال عليه فانقلب الحجر ذهبا وكان نحو خمسين قنطارا فقال خذوا هذا للسلطان يضعه فى بيت المال، فلما وصل إليه رجع عما كان عليه من الاعتقاد الفاسد ثم نزل إلى زيارته وطلب من الشيخ المملوك ليبول له على ما يشاء من الحجارة فقال الشيخ الأصل فى ذلك الإذن من الله تعالى، ولم يزل السلطان على اعتقاده وعرض عليه الأموال والأرزاق فأبى وقال الذى يبول خادمه على الحجر فيصير ذهبا بإذن الله تعالى لا يحتاج إلى أحد من الخلق.

ولما قدم الشيخ الفونوى تلميذ ابن عربى إلى الديار المصرية اجتمع بالشيخ أبى الحسن وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة والشيخ مطرق إلى أن استوفى الشيخ صدر الدين كلامه، فرفع الشيخ أبو الحسن رأسه وقال : أخبرنى أين قطب الزمان اليوم ومن هو صديقه وما علومه؟ قال فسكت الشيخ صدر الدين ولم يرد جوابا.

قال في لطائف المنن : ونشأ على يد الشيخ رضى الله عنه جماعة كثيرة، منهم من أقام بالمغرب كأبى الحسن الصقلى وكان من أكابر الأولياء، ومنهم من

تبعه وهاجر معه إلى مصر منهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصارى المرسى رضى الله عنه، ومنهم الحاج محمد القرطبى وأبو الحسن البجائى والوجهانى والجزار، ومنهم من صحبه بديار مصر منهم الشيخ عبد الله بن منصور المعروف بمكين الدين الأسمر والشيخ عبد الحكيم والشيخ شرف البونى والشيخ عيد اللقانى والشيخ عثمان البوريجى والشيخ أمين جبريل، ولكل من هؤلاء علوم وأسرار وأصحاب أخذوا عنهم. قال الشيخ مكين الدين الأسمر: الناس يدخلون على باب الله وسيدى أبو الحسن يدخلهم على الله، وكان الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من أبى الحسن الشاذلى.

قال فى لطائف المنن: لما رجع الشيخ أبو الحسن الشاذلى من الحج أتى للشيخ عز الدين بن عبد السلام قبل أن يأتى إلى بيته فقال له: الرسول ﷺ يسلم عليك، فاستصغر الشيخ عز الدين نفسه أن يكون أهلا لذلك، قال فدعى الشيخ عز الدين إلى خانقاه للصوفية بالقاهرة وحضر معه الشيخ محيى الدين بن سراقة والعلم يس أحد أصحاب ابن عربى، فقال الشيخ محيى الدين للشيخ عز الدين: ليهنكم ما سمعنا يا سيدى، والله إن هذا شىء يفرح أن يكون فى هذا الزمان من يسلم عليه رسول الله ﷺ، فقال الشيخ عز الدين الله يسرنا فقال العلم بسرٍّ الله يفضحنا حتى يتبين الحق من المبطل ثم أشاروا إلى القوال أن يقول وهو بعيد بحيث لم يسمع ما رتبوه، فكان أول ما قال صدق المحدث والحديث كما جرى، فقام الشيخ عز الدين وطاب وقته وقام الجميع لقيامه.

قال فى لطائف المنن: وأخبرنى الشيخ مكين الدين الأسمر قال: حضرت فى المنصورة فى خيمة فيها سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد والشيخ مجد الدين على بن وهب والشيخ مجد الدين الأخميمى والشيخ أبو الحسن الشاذلى ورسالة القشيرى تقرأ عليهم وهو يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم فقالوا

له: يا سيدنا نريد نسمع منك شيئا، فقال لهم أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم فقالوا له لابد أن نسمع منك شيئا فسكت الشيخ ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الغريبة، فقام الشيخ عز الدين بن عبد السلام وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال اسمعوا هذا الكلام القريب إلى الله تعالى.

وفي رواية ساقها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى قال: وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يحضر مجلس الأستاذ أبي الحسن فيسمع تقريره في الحقائق ويشاهد حسن إفصاحه عن العلم اللدني، فعند ذلك يحصل له وارد من جانب الحق ويركض على قدميه طربا مع المريدين، ويقول تأملوا هذا التقرير فإنه قريب من ربه.

وقال العارف بالله تعالى سرى الدين محمد بن الميلق رحمه الله تعالى: تكلم القطب الغوث سيدى أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يوما في دمنهور الوحش بالبحيرة بكلام غريب لم يسمع من أحد قبله وصار يقول في تقرير كلامه قال جدى رسول الله ﷺ، وكان في المجلس رجل مغربي من أكابر الأولياء المتمكنين. فأنكر ذلك في نفسه.

وقال أين الشيخ وأين جده في الوقت؟ فقام من ذلك المجلس إلى زاوية الشيخ مجاهد، فلما دخل الليل نام فرأى النبي ﷺ يقول له: يا فلان ما صدقت ولدى أبا الحسن، نعم كل ما قاله قلته له، فانتبه من نومه وقال الشيخ مجاهد اذهب بنا إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال له ما حاجتك بالشيخ أبي الحسن في هذا الوقت؟ فقال لابد لي من ذلك، فلما حضر ميعاده قال يا فلان ما صدقت حتى سمعت بأذنك؟ وعزة الله لئن لم تخرج من هذه البلدة لأسلبنك فخرج من وقته انتهى ما نقلته من الكرامات والمناقب من رواية ابن عطاء الله وغيره وذلك من عنده:

وقال ابن عطاء الله في كرامة الشيخ برؤية ليلة القدر وتساقط الأولياء

عليه كالذباب، ومن هنا رواية ابن الصباغ فى درة الأسرار إلى آخر باب وفاة الشيخ.

قال: ومن مكاشفاته رضى الله عنه ما قال سيدى ماضى: تحدث الشيخ يوما فى الزهد وكان فى المجلس فقير عليه أثواب رثة وكان الشيخ عليه أثواب حسان وبردة يمانية، فقال الفقير فى نفسه كيف يتكلم الشيخ فى الزهد وعليه هذه الكسوة؟ أنا هو الزاهد فى الدنيا، فالتفت إليه الشيخ رضى الله عنه وقال له يا هذا ثيابك هذه ثياب الرغبة فى الدنيا لأنها تنادى بلسان السعية والفقرة وثيابنا تنادى بلسان الغنى والتعفف، قال: فقام الفقير على رءوس الناس فقال أنا والله المتكلم بهذا فى سرى يا سيدى، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، قال فأمرنى الشيخ أن أكتسى كسوة طيبة، ودله على أستاذ جيد يقال له ابن الدهان، وقال له: عطف الله عليك قلوب الأخيار، وبارك لك فيما آتاك، وختم لك بخير.

وحدثنى من أثق به قال: سمعت الشيخ الصالح أبا مروان عبد الملك بن السماط يقول: لما توجهت إلى الديار المصرية دخلت الإسكندرية، فقصدت الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه، فوجدته جالسا معه جماعة من الناس وكأنه يناظرهم فى علم، فسلمت عليه وجلست بين يديه، فقال لى ما اسمك؟ ومن أين أقبلت؟ وأى شيء تتحدث فيه؟ فعرفته باسمى واسم والدى وأن معى كتاب الله تعالى، فقال لى اقرأ على شيئا من كتاب الله عز وجل فتعوذت ثم أنطق الله على لسانى أن قلت: (فتوكل على الله إنك على الحق المبين، إلى قوله تعالى – ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) قال: فتهلل وجه الشيخ رضى الله عنه ثم التفت إلى الحاضرين وقال: أبعد بيان الله ورسوله شيء؟ فعرفت أنهم من المعتزلة. وعلمت أن الشيخ كان يناظرهم فى مذهبهم، فتابوا على يديه ورجعوا إلى الحق والسنة، فقال الشيخ رضى الله عنه اطلب منى ما تحب فقلت أطلب ثلاثة أشياء: تكسونى كسوة جديدة، وتدلنى على من أجود عليه كتاب الله، وتدعو لى بخير، قال فكسانى كسوة جديدة،

ودلني على أستاذ جيد يقال له ابن الدهان، وقال لي: عطف الله عليك قلوب الأخيار وبارك لك فيما أعطاك وختم لك بالسعادة، فو الله لقد رأيت الدعوتين وأرجو الله في الثالثة.

وحدثني من أثق به قال: كان ممن أحبه وأعتقده بمدينة تونس الفقيهان الجليلان الفاضلان ابن سودان وابن الرماح، فكان أحدهما كاتبا للقاضي ابن نفيس بن زيد قاضي الجماعة ولا يزال بين يديه، وكان الآخر يشهد بمخزن الطعام وهو مخزن السقاطين، فلما توجه الشيخ رضي الله عنه إلى بلاد المشرق وهي السفرة الثالثة التي لم يرجع منها، قال أحدهما لصاحبه كيف نعمل؟ إن خرجنا نشيعه يتعطل علينا ما هو منوط بنا، وإن أقمنا عدمنا الفضل والبركة. قال: ثم إنا جمعنا على الخروج معه ونترك الأسباب، قال: فخرجنا صحبته إلى رادس فبينما نحن جلوس معه وإذا برجل داخل عليه الخباء وهو يطالبه بمال لبعض التجار، فقال ما خرجنا حتى قضيناه ماله، فقال له تصحبني للشرع، فقدم رجلا من أصحابه وكيلا وقال لهما اكتبا لي بتوكيلي إياه، فنظرت لصاحبي وقلت له هذا أشد، فإنا لم نقدم للشهادة، فقال اكتبا واشهدا فقد قدمتكما عدلين، قال فكتبنا الوكالة وخرج مبادراً إليه ليعتذر له ويطلب نفسه ويعرفه أنه لم يخرج حتى يقضي الدين، فلما قدم الوكيل لموكله أخبره القصة، فعاتبه على ذلك وأخبره أنه قضاه دينه وأعطاه إياه، فلم يحتج لظهور تلك الوكالة وخرج مبادرا إليه ليعتذر له ويطيب نفسه هذا رب المال ويعرفه أنه لم يبعث إليه أحدا إلا أن الوكيل فعل ذلك من تلقاء نفسه، قال: ودخلنا نحن فسألنا هل طلب أحد علينا؟ فقيل لنا طلب وعليكم أحد، فلم يتم ذلك الشهر حتي تقدمنا للعدالة يعني للشهادة عدلين.

قال: حدثني الشيخ الصالح أبو يحيى البجائي قال: حدثني والدى رحمه الله تعالى قال: قال أبو يوسف الجندوبي وأخوه قالا: قدم علينا الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه ليلة ونحن بحصى وكانت عندنا عشر شياه أخذناها دينا برسم الكسب فيها فذبحنا شاة من أجودها، فقال لم فعلتم هذا؟ قلنا والله

هذه المباركة التى ذبحت لك، فقال الشيخ رضى الله عنه هذه الشاة بألف شاة إن شاء الله تعالى. قال والدى رحمة الله عليه: فلم تمض إلا مدة يسيرة وكملت والله الألف شاة والألف مد من الطعام مختزنة. قال والدى رحمة الله عليه حضرت والله لعدتها وأكلت من نسلها ببركته رضى الله عنه ونفعنا ببركاته وجميع المسلمين.

فصل
فى سبب انكفاف بصر الشيخ رضى الله عنه ومدته

قال ابن الصباغ رضى الله عنه: حدثنى جمال الدين العراقى قال: قال الشيخ رضى الله عنه: لقيت بعض الأولياء فى سياحتى فعرضت عليه كلاما فى التوحيد، فصاح الرجل ومات، فقيل لى يا على لم فعلت؟ لتعاقبن بذهاب بصرك. قال: ولما كف الشيخ رضى الله عنه ودخل عليه سيدى أبو العباس المرسى رحمه الله تعالى، فقال: يا أبا العباس انعكس بصرى على بصيرتى فصرت كلى مبصرا، بالله الذى لا إله إلا هو ما أترك فى زمانى أفضل من أصحابى وأنت والله أفضلهم، قال كم سنك يا أبا العباس؟ قال يا سيدى يوشك أنه ثلاثون سنة، فقال له: بقيت عليك عشرة أعوام وترث الصديقية من بعدى، رضى الله عنهما ونفعنا ببركاتهما آمين.

***

الباب الثالث

فى ذكر وفاته، وما ظهر من الكرامات واستخلافه لسيدى أبى العباس المرسى مما نقلته عن الثقات بالديار المصرية

حدثنى من أثق به قال : قال رضى الله عنه : لما وصلت إلى الديار المصرية وسكنت بها قلت يارب أسكنتنى بلاد القبط أدفن بينهم، فقيل لى : يا على تدفن فى أرض ما عُصيت عليها قط، قال سيدى ماضى بن سلطان : لما توجه الشيخ رضى الله عنه فى سفرته التى توفى فيها وكنت تزوجت امرأة من أهل إسكندرية وكانت حاملا، فجعلت تبكى وتقول لى كيف تتركنى على ولادة وتسافر عنى؟ قال : فأخبرت الشيخ بذلك، فقال لى ادفعها إلىّ، فأتيت بها إليه، فلما دخلت عليه قال لها : يا أم عبد الدائم اتركى لى ماضى يسافر معى وأرجو لك من الله خيرا، فقالت له يا سيدي سمعا وطاعة، فدعا لها وانصرفت، فولدت فى حال سفرنا ولدا ذكرا وسمته عبد الدائم قال : ولما تجهزنا للسفر قال احملوا معكم، فأسا ومسحاة، فإن توفى منا أحد واريناه التراب، ولم يكن لنا بذلك عادة متقدمة قط فى جميع سفرنا معه رضى الله عنه، فكان ذلك إشارة لموته رحمه الله تعالى ورضى الله تعالى عنه.

وحدثني الشيخ العارف شرف الدين ولد الشيخ رضى الله عنه، قال : كان عندنا شاب يقرأ القرآن وكان تربى معنا لا أب له وكانت أمه فى الدار عندنا، فلما أراد الشيخ السفر أمرنا أن نتحرك معه بجميع الأهل والولد، فتشوق الشاب للسفر معنا، فقال الشيخ احملوه فجاءت أمه للشيخ وقالت يا سيدى لعل أن يكون نظرك عليه، فقال لها يكون نظرنا عليه إلي حميثرة إن شاء الله تعالى، فلما وصلنا البرية مرض الشيخ والشاب فمات الشاب قبل أن يصل حميثرة، فقال الشيخ احملوه إلى حمَيثرة، فلما وصلنا غسلناه وصلى عليه

الشيخ ودفناه بها، فكان الشاب أول من دفن بها، وتوفى الشيخ رضى الله عنه في تلك الليلة وكان قد جمع أصحابه في تلك العشية فأوصاهم بأشياء، وأوصاهم بحزب البحر وقال لهم حفظوه أولادكم فإن فيه اسم الله الأعظم قال: وخلا بسيدى أبى العباس المرسى وأوصاه بأشياء واختصه بما خصه الله من البركات وقال لهم: إذا أنا مت فعليكم بأبى العباس المرسى فإنه الخليفة من بعدى، وسيكون له مقام عظيم بينكم، وهو باب من أبواب الله تعالى قال: فلما كان بين العشاءين قال لى: يا محمد املأ لى إناء الماء من هذا البئر، فقلت له يا سيدى ماؤها مالح والماء عندنا عذب، قال ائتنى منها فإن مرادى غير ما أنت تظن، قال فأتيته منها بالماء فشرب منه ومضمض فاه ومج في الإناء ثم قال لى أردده إليه فرددته إليه فحلى ماء البئر وعذب وكثر ماؤه بإذن الله تعالى، وهو ماء تلك الأرض إلى قيام الساعة ببركة الشيخ رضى الله عنه، وبات متوجها إلى الله تعالى تلك الليلة ذاكرا متضرعا وسمعته يقول: إلهى إلهى حتى انشق الفجر، فلما كان وقت السحر سكت فظننا أنه نام، فكلمناه فلم يتكلم، فحركناه فلم يتحرك، فوجدناه ميتا رحمه الله تعالى، فاستدعينا سيدى أبا العباس المرسى فغسله وصلينا عليه ودفناه بحميثرة، وهذا الموضع في برية عيذاب في واد على طريق الصعيد، قال: فلما دفناه رحمه الله تعالى اختلفوا في الرجوع أو التوجه، فقال سيدى أبو العباس المرسى: الشيخ أمرنى بالحج ووعدنى بكرامات، فتوجهنا للحج ورأينا تهوينات وبركات ورجعنا صحبته، وظهر من بعده ظهورا عظيما، وظهرت له بركات كثيرة، قال الشيخ أبو العزائم ماضى: سمعت الشيخ يقول اللهم متى يكون اللقاء قال: فقيل لى يا على إذا وصلت حميثرة فحينئذ يكون اللقاء، قال رضى الله عنه: رأيت كأنى أدفن إلى ذيل جبل بإزاء بئر ماؤها قليل مالح فوقع في نفسى شيء، فخوطبت في سرى: يا على ماؤها يكثر ويعذب، قال: قال ابن الشيخ الخطيب المفتى العالم قاضى الجماعة أبو إسحاق عبد الرفيع رحمه الله تعالى قال: لما توجه الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لسفرته التى توفى فيها قال في

هذا العام أحج نيابة، فمات رحمه الله تعالى قبل أن يحج، فلما رجعوا إلى القاهرة سألوا المفتي عبد العزيز عز الدين بن عبد السلام وأخبروه بمقالة الشيخ، فبكى وقال لهم الشيخ والله أخبركم بموته في سفره وما عندكم علم به، وقد أخبركم أن الملك هو الذي يحج نيابة عنه، لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من بيته قاصدا للحج فمات قبل أن يحج فإن الله عز وجل يوكل ملكا ينوب عنه في الحج كل عام إلى يوم القيامة».

قال: وحدثني عماد الدين قاضي القضاة بالإسكندرية قال: كانت عندنا بالإسكندرية امرأة مسرفة على نفسها فرؤيت في حالة حسنة، فقيل لها ما فعل الله بك؟ قالت: مات الشيخ السيد أبو الحسن الشاذلي ودفن بحميثرة فغفر الله لكل من دفن من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من أجله، فكنت أنا ممن غفر الله لي بحرمة الشيخ إكراما له وكان ذلك في حين سفره، فلما قدم الحجاج أخبروا بوفاته فوجدوا التاريخ صحيحا، وكانت وفاته رضي الله عنه في شهر شوال عام ستة وخمسين وستمائة، وكان عمره رضي الله عنه ثلاثا وستين سنة، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأعاد علينا من بركاته آمين.

* * *

الباب الرابع

فى مبنى طريقه، وفى شىء من كلامه ومن كلام أصحابه الدالين عليها وفى مبدأ الطريق للمبتدئين

وهذا الباب والذى بعده هما المقصود من جميع هذا الكتاب، وهما أساسه وإن كان ما تقدم إنما يفيد معرفة الشيخ المقتدى به ومعرفة مقامه ورتبته لتتأكد الرغبة فى متابعته فى أقواله وأفعاله، وهذا الباب والذى بعده لمعرفة الأفعال والأقوال المقصود العمل بهما، والله المستعان.

فصل فى تقسيم الطريق وبيان الطريقة الشاذلية من الأقسام

اعلم أن الطريق وإن تنوعت وكثرت فإنها ترجع إلى قسمين: وهما العلم والعمل، وكل واحد منهما ينقسم إلى قسمين: لأنه إما مأخوذ من الشرع أو لا وسأوضح لك هذه الأقسام وأسماءها.

اعلم أن للقوم فى قطع مسافة النفس والتوصل إلى الحقيقة طريقين: وهم بحسب ذلك على فرقتين: فرقة بطريق الجلا، وهى استعمال الرياضات وتزكية الأخلاق، فهؤلاء إن أخذوا تلك الأعمال عن شرع فهم الصوفية، وإلا فهم الإشراقيون من الحكماء الإلهيين: وفرقة بالأشغال بالعلوم والبحث، وهؤلاء إن استندوا إلى شريعة فهم المتكلمون، وإلا فهم المشاءون ورئيسهم المعلم الأول أرسطاطاليس، وهو أول من أنشأ الحكمة البحثية، فلا كلام فى القسمين اللذين لم يستندا إلى شرع. وبقى الكلام فى القسمين المستندين إلى شرع، إذا لم يبق إلا ذلك.

قال سيدى أحمد زروق فى شرح المباحث الأصلية عن الفريق الأول وهى

أهل طريقة الجلا: يقولون إن النفس فى أصل نشأتها كالمرآة الصقيلة النظيفة يتجلى فيها كل شىء يقابلها من ماضى الوجود والآتى منه، لكنها معوقة عن ذلك بأحد الأمرين أما صداها بصور الأكوان شهودا واعتمادا واستنادا، أو انصرافها المقصود بالتوجه إلى غيره من العلوم والعمليات وغيرهما مما يصرفها عن المقصود بانطباعه فيها، فلو انجلت فى الأمر الأول لأبصرت ولرفع حجابها ولو توجهت فى الثانى لرأت لنفى احتجابها، وما دامت معلقة بأحدهما فهى مصروفة عن المقصود ولا يمكنها الوصول إليه، ولهذا قال فى الحكم: كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته؟ أم كيف يرتحل إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته انتهى.

وكما أن هذه الطائفة مثلوا النفس بالمرآة فكذلك مثلوها بعين الماء، وشبهوا ما يكون فى النفس من المعارف والعلوم بما يكون فى العين من الماء، وقالوا إن العين تغور وإنما يخرج ماءها الحفر، وتمثيلهم على النفس بالعين صحيح، فإن النفس فيما تجلى لها من الحقائق والعلوم يوم الميثاق قد يذهلها عنه ما هى به من الأوهام والأسباب، فيفور منها كما يفور الماء من العين، فيحتاج إلى الحفر عنه بفأس المجاهدة ومسحاة الرياضة حتى تفور كما كانت أو أحسن وهذا الفريق أعنى طريقة الجلا، وتسمى طريقة الإشراق أجمعوا أن علاج الأصل: أى علل النفس هو أقرب للبرء، ولأن بانقطاع الأصل تنقطع فروعه بخلاف من يعالج فرعا، والعلاج هو محاولة الدواء وذلك لا يصح إلا بعد معرفة العلة، والعلة إن لم يعرف سببها وأصلها لم يفد عدمها فى نفى أصلها وإن أفاد تشخيص صورتها فقد يكون هناك ما هو كامن يقدح فى وجه المداواة، فأما أن يبطئ برؤها لذلك أو لا يتفق أو يكون على غير قياس وهو غرر، فاعلم أصل علتك تظفر ببرئها فى أقرب مدة بأدنى معالجة مع الأمن من هيجانها بعد وأصل كل داء جسمانى هو فساد المزاج إلى أن يصير فعله

وانفعاله على غير المجرى الطبيعى، وأصل كل داء قلبى إنما هو فساد القصد الذى عنوانه الرضا عن النفس حتى يصير فعلها وانفعالها على غير المجرى الشرعى والحقيقى، بل على وفق الهوى والأهوام الباطلة التى شأنها ضعف اليقين ورقة الديانة، وعلاج النفس هو كفها عما تريده من النقائص والفعلات حتى لا تقع فيه، وتطهيرها عما وقعت فيه حتى يزول، فالأول بالتقوى والاستقامة حتى لا تزال فيها. والثانى بالتوبة والإنابة حتى تنصبغ بلوازمها من التقوى والاستقامة ونحوهما، وهذه الطريقة هى طريقة الإشراق والجلا كانت قديمة حتى إنها كانت فى غير زمن الشريعة، لأنها إنما هى صقل لمرآة النفس من غير زائد، وهى أيضا باقية ما بقى الزمان لا ترتفع، لكنها تارة تجرى بالاصطلاح من الخلوات والترتيبات ونحوها، وتارة بحفظ الأصول فقط، وتارة بحفظ الحرمة ليس إلا، وتارة بعلو الهمة وقوة العزم والحزم، وتارة بمجرد التلقى والإلقاء، وهذه الأمور لا تزول أبد الآبدين، غير أن الاصطلاح قد انقرض فى هذه الأزمنة وارتفع إنتاجه حسبما دلت عليه العلامات وشهد به الاستقراء.

قال بعض مشايخنا رضى الله عنه: ارتفعت التربية بالاصطلاح فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولم يبق غير الإفادة بالهمة والحال، فعليكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان، يعنى الجادة مع التزام الصدق، وبالله التوفيق.

وأما الفريق الثانى أهل طريقة البحث والاشتغال بالعلوم، فإنهم قالوا: إن اكتساب العلم من خارج أرقى وأشركوا العلوم فى اصطلاح طريقتهم ولا غناء للباب عن مفتاحه، وعالجوا النفس بطريق العلم والعمل، وذلك لأن ما فيها من الأنوار يتعاضد بما يرد عليه من خارج فينتفى ما عرض من الظلمة أصلا وفرعا بقوته، وهذه الطريقة أتم فى تحصيل الكمال، لأن الأولى غايتها الوصول لما فى النفس من الكمال دون زائد، بخلاف هذه فإنها تحصيل المكتسب مع ما اتصل إليه من المدخر، وهذا معنى كونها أرفع. وقالت هذه الطائفة: إن العلم مفتاح

الفتح لقوله عليه الصلاة والسلام «العلم إمام العمل والعمل تابعه» وقال عليه الصلاة والسلام «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم ومن يطلب الخير يؤته، ومن يتق الشر يوقه، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

والعلوم التى يحتاج إليها أربعة: علم الذات والصفات، وعلم الفقه، وعلم التفسير والحديث، وعلم الحالات والمنازلات وما يجرى فيها من الآداب والمعاملات.

فأما علم الذات والصفات يعنى علم التوحيد، وطريق أخذه أن يحقق ترجمة عقيدة مهذبة كعقيدة الإمام أبى حامد الغزالى، ويأخذ براهينها بأى وجه أمكنه دون تعرض للشبه والإشكالات مع تشوق لمواد ذلك من الكتاب والسنة وشواهد الوجود ودلائل الصنع وغيره، ويجعل ذلك نصب عينيه حتى تنصبغ حقيقته به انصباغه يقتضى له ثبوت اليقين بوجه يجد لذاته، فإذا حصل له ذلك استمرت النفس فى الجولان فى معانيه إلى حد مَا قسم لها من غير توقف وسار بذلك سيرا مباركا يعرفه عند توجهه فلا حاجة إلى وضعه.

وأما علم الفقه فطريقه فيه أن يأخذ مسلما عن أئمته المعتبرين فيه فى وقته طالبا صوره من غير زائد حتى يتصور جملة الأبواب وعقدها من غير زائد، لأن الزيادة فى المبادئ مشقة للذهن، حتى إذا عرف ذلك تشوف للوجوه والنظائر بوجه خفيف ثم للتعاليل والحكم ومن هنا يعرف مواد الوجود ووجوهه وتصرف الحق فيه تكليفا وتعريفا لأن أحدهما مرتب على الآخر، فيطلع فى أفق القلب طالع التعظيم والإجلال لمن هو أهل له، بأن يجعل القلب فى ذلك لا فيما لا يعنى، ولا يقتصر على متعلقات المسائل فقط، فإنها مع ذلك مشقة لا سيما لمن لا همة له فافهم.

وأما علم الحديث يعنى فقهه لا صورة الأداء وكيفيته ويستدعى ذلك العلم بالتفسير وهما اللذان تظهر بهما حقائق الأنوار مع العلمين الأولين، لكن لمن اتسع نظره إلى حد يفقه به موارد الحكم والحكمة، ولا يخرج عن مقاصد

الأئمة، بل يرجع إليهم، لا لمن يتقيد بالمنقول ولا يتصرف بالمعقول، أو يستخف بالمنقول، ولكن كما قيل: قف حيث وقفوا ثم فسروا، من أخذ علم حاله عن نصوص الأئمة كان نوره وفتحه منهم، ومن أخذ من نصوص الكتاب والسنة كان كذلك إن كان محققا وإلا فالحديث لغير العالم مزلة، ومن فاته الاقتداء فاته الاهتداء، ولذلك لا تجد إماما يهمل أقوال السلف بل يتبع آثارهم، ومن خالط الكتاب والسنة وفقههما عرف ما قلناه،وهذا الحرف هو الذى نبه عليه سيدى أبو عبد الله بن عباد فى رسائله عند ذكر البدعة والتقليد، فانظره، وبالله التوفيق.

وأما علم الأحوال والمنازلات وما يجرى فيهما من آداب ومعاملات، وذلك هو الذى اختص به أهل هذا الشأن، وللناس فيه طريقان: طريق رؤية الحق من أول قدم. والعمل على ذلك بالانحياش إليه، وهو طريق الشاذلية ومن نحا نحوهم. وطريق رؤية النفس واطلاع الحق عليها والعمل على ذلك وهى طريق الغزالى ومن جرى مجراه، وكل منهما مستند للحديث «أن تعبد الله كأنك تراه» وهذا للأولين أى الشاذلية «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وهذا للآخرين فافهم. وهذه الطريقة طريقة أى الاشتغال بالعلم وعلاج النفس به وما اشتملت عليه يقال له طريقة البرهان، لأنه ليس لأحد فيها مطعن ولا للضلال فيها دخل، ولكن لا يقدر عليها إلا فحول الرجال، أما سلوك العامى بها فبأن يصحح اعتقاده على عالم يثق بديانته، ويسأل عن علم حاله بوجه يشفيه وتطمئن نفسه له، ويلزم التقوى والاستقامة بغاية جهده بعد التبصر فيما يتعلق بحاله. ولا يدخل فيما فيه احتمال ولا تأويل ولا دخل من قول إمام معتبر غير إمامه، ثم يستند فى أحواله لشيخ ناصح أو أخ صالح قد جرب الأمور، فيأخذ معه فى كل ما يأتى أو يذَر، هذا إذا لم يجد شيخا وإلا فالشيخ أبصر بحاله، يسلكه على ما يليق به، وإما على الطريق الأول أو على هذا، أو وقف فيه موقف الآداب أو ما ظهر له من ذلك انتهى.

وقد ذكر الشيخ عبد الواحد المغربى المتطبب فى رسالة ألفها فى الطريق أن

الطريق على ثلاثة أقسام، والناس بحسب اختلاف أحوالهم ثلاثة أقسام، لكل منهم طريق يخصه.

فالقسم الأول : ذوو الأمزجة الكثيفة والأفهام البعيدة التي يعسر عليها محاولة التعليم، ويدق على إدراكها رقاق التكليم، فطريقهم بالعبادة والنسك من كثرة الصوم والصلاة وتلاوة القرآن والحج والجهاد وغير ذلك من الأعمال الظاهرة، لأن هذه الطائفة لصلابة أبدانها وقوة إحكام أركانها وشدة جنانها تتحمل مشاق العبادة ولا تمل منها، بل تصير تألفها كالأمور المعتادة، والسالكون بهذا الطريق لا يزالون على هذه المناهج يرتقون لأرفع المعارج إلى أن تتلطف منهم الكثاف، ويقربون حلق الوسط الذى هو موطن لتنزلات المعارف، فحينئذ يكشف لهم عن سبحات المحبوب، ويرون عجائب الغيوب، فتسع بواطنهم ما تقصر عن إدراكه العقول، ويتلقون عرائس الأسرار بالترحيب والقبول، وهذه الطريقة صعبة جدا والواصل بها كاد أن يكون فردا.

القسم الثاني : ذوو الأفهام اللوذعية، والأخلاق السببية، والهياكل النورانية، والنفوس الأمية نحو ذى المناصب والرتب، والمتغللين فى شهود قيود السبب، والذين لا يملكون نفوسهم فى حالة الغضب، فطريقهم المجاهدات والرياضات، وتبديل الأخلاق وتزكية النفوس، والسعي فيما يتعلق بعمار الباطن، والسالكون بها لا يزالون يرتاضون فى قلع ما انطبع فى نفوسهم من الأخلاق الذميمة، إلى أن تذهب تلك الطباع وترجع إلى فطرتها السليمة، وملاك الأمر فى ذلك مخالفة ما تهواه. ورفض ما تتمناه، إلى أن يستوى عندها الرضا والغضب، والراحة والولاية وعدمها والتنزل إلى أسفل الرتب، والكسب وعدمه من رفض كل حرفة وسبب، فحينئذ قد خلصت النفس من أمراضها غاية الخلوص، واستحقت أن يرسم فى لوح قبولها حقائق النصوص، فتنخرط فى سلك أهل العناية والخصوص وهذه الطريق دون التى قبلها فى الأهوال، والواصلون بها فحول الرجال، لكنهم بالنسبة إلى غيرهم من

السالكين بالعبادات أكثر، ومدة سيرهم أقصر، ومن ظهر منهم بها فهو من كل مرشد أظهر وأشهر.

القسم الثالث : ذوو النفوس الرضية، والعقول الزكية، والفطرة الصديقية التى أبدان أصحابها فى كمال النحافة، ونهاية الاعتدال واللطافة، وطريقهم طريق السائرين إلى الله والطائرين إليه، وهى طريق أهل المحبة السالكين إلى الله بالجذبة، وملاك السير بها صفاء القلب، وصدق الحب، والتحقق ظاهرا أو باطنا بشعائر التصديق، فيخرج عن حوله وقوته، وعقله وفطنته، حتى لو طلب منه بذل المهج لم يجد من حرج، فحينئذ ينفخ فيه من روح قلب العيان. ويتحقق بقوله (كل من عليها فان) وهذه الطريقة فى غاية السهولة بالنسبة لأهلها المخطوبين لجمال وصلها فربما وصل السالك بها فى نفس، فسبق من عفا بالمجاهدة واندرس، وهذه الثلاثة الأقسام، وما تنوع منها كلها مبلغة للمرام، لكن بعضها أصعب وأطول، وبعضها أقرب وأسهل، فإذا كان الشيخ داريا بمعالجة الأمراض، وخبيرا بصفات النفوس والأعراض، سلك بكل حزب نهجه القويم، ورد الخاسر لأحسن تقويم وذلك لأن النفوس الإنسانية، مرآة للتجليات الربانية، وبحسب كثافة المرآة وصدائها يشرع فى تلطيفها وجلائها.

وإياك والتهويل والتشديد، فإن الحق أقرب من حبل الوريد.

قلت : والظاهر من حال الشاذلية أنهم من القسم الثالث، وعلى هذا يحمل قول سيدى شمس الدين الحنفى : خصت الشاذلية بثلاث : فذكر منها أنهم مختارون من اللوح المحفوظ، فيكتمل أن يكون المعنى والله أعلم أنه اختير لهذه الطريقة أن يدخلها من الناس من يكون موصوفا بصفات القسم الثالث.

واعلم أن لتلاوة القرآن والأسماء الحسنى فى الوصول شئونا وأسرارا، لكن لكل شخص قسم من الأذكار يناسب حالته الغالبة على نفسه يكون فتحه منه أقرب يعرف ذلك العارفون من المشايخ، كما حكى عن بعضهم أنه كان يجلس المريد بين يديه ويتلو عليه الأسماء الحسنى، فإذا رآه تأثر عند اسم منها أو

أسماء أمره باستعمالها فيفتح عليه سريعا، ويقال لهذا النوع السير إلى الله بالطبع، وذكر كيفيتها البونى فى شمسه، وهى أن ينظر الشخص ميل نفسه إلى أى نوع من أنواع الذكر أو العبادات أو العلوم، فيكثر من ذلك. قال فى شرح المباحث: حتى سلك قوم بالمنطق، وقوم بالطبيعيات، وقوم بالحكمة، وقوم بالفقه وقوم بالحديث، وهما أقرب إذ هما أحد أركان الطريق المحررة، ومن الناس من يخرج عن ذلك كله فيراعى لكل أحد ما تقتضيه قواه الطبيعية بعد قواه الحقيقية، لأن من سار إلى الله بطبعه كان وصوله إليه أقرب من طبعه ومن سار إليه بمفارقة طبعه كان وصوله إليه على قدر بعده عن طبعه وذلك يقتضى الاستهلاك قبل الوصول، فلا يتنعم برؤية الحق إلا فى آخر نفس من وجوده إن وجدها وإلا فهو بعيد بدعواه، ومحجوب برؤية نفسه، قال لنا الشيخ أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه عن بعض العارفات من أهل بلاده أنها كانت تقول: العجم بنوامذاهبهم على التجريد، فلا يصلون إلى الحق إلا فى آخر رمق، والمغاربة بنوا طريقتهم على الاستهلاك، فلا يتنعمون بالحق فى هذه الدار أبدا، وأهل اليمن بنوا طريقتهم على رؤية الحق والفناء فيه بأول قدم. وهم يتنعمون من أول قدم، وعلى هذا أيضا طريق الشاذلية فحق قول رسول الله ﷺ: «الإيمان يمان والحكمة يمانية، وإنى لأجد نفس الرحمن من ناحية اليمن» الحديث.

وذكر الطريق واختلافها طويل، وإنما المراد التنبيه على طريق الشاذلية وشرفها وقربها وسهولتها، وفيما ذكرناه كفاية.

فلنذكر كلام الأستاذ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى الطريق، ومن كلام أتباعه السادة الشاذلية ما يستدل به على طريقته، فأقول والله التوفيق.

قال الأستاذ تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فى لطائف المنن: كان مبنى طريقة الشيخ رضى الله عنه على الجمع على الله وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر، وكان لكل مريد معه سبيل يحمله عليه

فيسلك بكل أحد من السبيل الذى يناسبه، وكان يأمر أصحابه بالجمع على محبته، وكان لا يأمر أحدا بترك حرفته أو تجارته، بل يعرفه الطريق وهو باق على حالته. وكان يكره كل لبس ينادى على سر صاحبه بالإفشاء، وكان يقول عن شيخه اصحبونى ولا أمنعكم أن تصحبوا غيرى، فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا، وكان لا يحب المريد الذى لا سبب له، والسادة الشاذلية رضى الله عنهم أشد المشايخ حثا على عمل الحرفة، حتى كان الشيخ أبو العباس المرسى يقول: عليكم بالسبب، وليجعل أحدكم مكوكه سبحته أو تحريك أصابعه فى الخياطة سبحته أو الضفر اهـ.

وقال الأستاذ البكرى أبو الحسن رضى الله عنه: طريق القصد إلى الله تعالى أربعة أشياء من حازها فهو من الصديقين المحققين، ومن حاز منها ثلاثا فهو من الأولياء المقربين، ومن حاز منها اثنين فهو من الشهداء الموقنين، ومن حاز واحدا منها كان من عباد الله الصالحين: أولها الذكر، وبساطه العمل الصالح، وثمرته الفوز. الثانى: التفكر وبساطه الصبر، وثمرته العلم. الثالث: الفقر وبساطه الشكر، وثمرته المزيد منه. الرابع: الحب وبساطه بغض الدنيا، وأهلها، وثمرته الوصل بالمحبوب.

فصل فى العزلة

قال رضى الله عنه: اعلم أيدك الله أنك إذا أردت الوصول إلى الله فاستعن بالله واجلس على بساط الصدق، مشاهدا ذاكرا له بالحق رابطا قلبك بالعبودية المخلصة على سبيل المعرفة، ولازم الذكر والمراقبة والتوبة والاستغفار، فأنا أشرح لك هذه الجملة، لئلا يقع الغلط فيها على سبيل الوصلة، وهى أن تقول الله الله مثلا أو ما شاء الله من الذكر مراقبا لقولك بالتقوى بترك الدفع عن نفسك والجلب لها، وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى قوله: ﴿أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ الآية، فهذه من الدفع وفى الجلب ﴿أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه﴾. ووصف الذكر أن تذكر بلسانك

وتراقب بقلبك، فما ورد عليك من خير من الله قبلته، وما ورد عليك من ضده كرهته راجعا إلى الله في الدفع والجلب كما وصفت لك، وأحذرك أن تدفع أو تجلب لنفسك شيئا إلا بالله تعالى، فإن خامر سرك شيء من ذنب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل فبادر إلى التوبة والاستغفار من الجميع، أما من الذنب والعيب فواجب شرعا، وأما من النظر إلى العمل الصالح والحالة الجميلة فلعلة فاعتبر باستغفار النبي ﷺ تسليما بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا من لم يقترف ذنبا قط، وما ظنك بمن لا يخلو عن ذنب أو عيب في وقت من الأوقات. وأما الجلوس على بساط الصدق فتحقق أوصافك، من الفقر والضعف والعجز والذلة اجلس عليها ناظرا لأوصافه من الغنى والقوة والقدرة والعزة، فتلك من أوصاف العبودية، وهذه من أوصاف الربوبية والصدق ملازمة أوصافك، فلا تنتقل عنها إلى ما ليس لك فتكون من الخائبين بقلب الحقائق، وقل: يا غني يا قوي يا قدير يا عزيز من للفقير غير الغني من للضعيف غير القوي، من للذليل غير العزيز، من للعاجز غير القادر، فأجلسني على بساط الصدق واكسني لباس التقوى الذي هو خير وهو من آياتك، واحجبني بعظمتك عن كل شيء هو لك، واملأ قلبي بمحبتك حتى لا يكون فيه متسع لغيرك، إنك على كل شيء قدير.

(**أسماء النصرة**) عند الدخول في العزلة، فاستمسك بها ولا تعجل في شيء من أمورك، وقل: بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

(**وهذه أسماء الرضا**) وسعة الصدر مما يرد عليك من الضيق في العزلة: حسبي الله آمنت بالله، رضيت بالله توكلت على الله، ولا قوة إلا بالله، وقل في بعض مناجاتك وسؤالك: يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبي، من هم الرزق، وخوف الخلق، وأقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك. فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك،

وحجبته بذلك عن نار عدوك، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء؟ كلا إني أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني، إنك على كل شيء قدير.

فصل في ثمرة العزلة

قال رضي الله عنه: ثمرة العزلة الظفر بمواهب المنة، وهي أربع: كشف الغطاء، وتنزل الرحمة، وتحقيق المحبة، ولسان الصدق في الكلمة. قال الله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له﴾ الآية.

فصل في آفات العزلة

قال رضي الله عنه: اعلم أن آفات العزلة في العوام القاصدين إلى الله تعالى على سبيل المعرفة والاستقامة في سلوك العلم إلى الله تعالى أربع: تعلق النفس بالأسباب، وركون النفس إلى الجهة المخصوصة من الاكتساب، واكتفاء العقل بما يحصل له من الاقتراب، وخطرات العدو بالأماني الصادرة عن المرام.

واعلم أن آفاتها في خواصهم أيضا أربع: الاستئناس بالوسواس والتحدث والرجوع إلى الناس، والتجديد في الوقت وهو من أمارات الإفلاس وملاقاة هواتف الحق على زعمه بالمعبود من الحواس، ولكل آفة سبيل في الجهاد بالرد إلى أصل التوحيد والمعرفة والحمل على سبيل الاستقامة، فإذا عرض لك عارض من جهة التعلق بالأسباب والركون إلى الجهة المخصوصة في الاكتساب، فارجعها إلى أصل المعرفة بالسوابق فيما قسم لها أو أجرى عليها، وقل لها اتخذت عهد الله عبدا أنك لن ترزق إلا بهذا السبب أو من هذه الجهة وضيق عليها بالمعرفة، وأغرقها في بحر التوحيد، وقل «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» ولذلك قالوا أغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك، وإن عرض لك عارض من جهة اكتفاء العقل بما حصل له من علم أو عمل أو نور أو هدى أو خطاب بنجوى فلا تغفل عن السابقة والخاتمة، ولابد من فعل الواحد المختار

الذى يفعل ما يشاء، ولا يبالى بحسنة المقبل ولا بسيئة المدبر، وإن عرض لك عارض من خطرات العدو الصادرة عن المراد، والمراد بالعبودية المحضة وجود الحق بلا سبب من الخلق فالله تعالى يقتضى منك أن تكون له عبدا وتحب أنت أن يكون لك ربا، فإذا كنت له عبدا من حيث يرضى كان لك ربا من حيث ترضى، ولا يدعك لغيره من طريق الحقائق، فكيف بالأمانى، فاعلم هذا الباب وأتقنه جدا، واستعن بالله واصبر (إن الله مع الصابرين) فإذا كنت فى درجة الخواص من القاصدين، وعرض لك فى معرفتك الوسواس بمايشبه العلم من طريق الإلهام والكشف من حيث التوهم فلا تقبل وارجع إلى الحق المقطوع به من كتاب الله أو سنة رسول الله.

واعلم أن الذى عارضك لو كان حقا فى نفسه وأعرضت عنه إلى حق بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ لما كان عليك عيب فى ذلك، لأنك تقول إن الله قد ضمن لك العصمة فى جانب الكتاب والسنة. ولم يضمنها فى جانب الكشف والإلهام، فكيف ذلك، ولو قلت ذلك عن طريق الإلهام لم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة. فإذا لم تقبله إلا بهما فما بالك تأنس بالوساوس المتوهمة، واحفظ هذا الباب حتى تكون على بينة من ربك (ويتلوه شاهد منه) والشاهد ذلك، والبينة لا خطأ معها ولا إشكال، والحمد لله، وإذا عرض لك فيها عارض التحدث بالرجوع إلى الناس لتعرض عليهم ما أنت فيه وأنت معهم، لم تخرج عنهم بشىء، ولا تغتر باعتزال بدنك والقلب معهم فاهرب إلى الله فإن من هرب إلى الله آواه الله، وصفة الهروب إلى الله تعالى الكراهة لجانبهم، والمحبة لجانب الله سبحانه باللجأ والاعتصام به (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) وإذا عرض لك عارض التجديد فجاهده بالعوارض الممكنة فى العلم الحائل عن ذلك مما يجوز أن يكون، واصرف همتك إلى الله بالتقوى كى يجعل لك من ذلك مخرجا ويرزقك من حيث لا تحتسب. فإن جاذبتك هواتف الحق وآفاتها الاستشهاد بالمحسوسات عن الحقائق المغيبات، فلا تردها إلى ذلك فتكون من الجاهلين، ولا تدخل فى شىء من ذلك

بعقلك، وكن عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يتولى الحق بيانها وإيضاحها، ويتولى هداك (وهو يتولى الصالحين).

فصل في جهاد العدو

قال رضي الله عنه: ومن أراد أن لا يكون الشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل والعبودية لله على بساط الفقر واللجأ والاستعاذة بالله: قال الله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾. وقال تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ وقال تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾ وتصحيح الإيمان بالشكر على النعماء، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء وصحة التوكل بهجران النفس، ونسيان الخلق، والتعلق بالملك الحق، وملازمة الذكر.. وإذا عارضك عارض يصدك عن الله فاثبت: قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾.

وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله. وأضدادها أوصاف الربوبية فمالك ومالها، فلازم أوصافك وتعلق بأوصاف الله فقدمن بساط الفقر الحقيقي: يا غنى من للفقير سواك، ومن بساط العجز: يا قدير من للعاجز سواك، ومن بساط الضعف: يا قوى من للضعيف غيرك، ومن بساط الذل: يا عزيز من للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع يدك ﴿واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ ومن أخلد إلى أرض الشهوات واتبع هواه، ولم تساعد نفسه إلى التجلي وغلب عن التجلي فعبوديته فى أمرين:

أحدهما معرفة النعم من الله فيما وهب الله له من الإيمان والتوحيد إذ حببه الله إليه وزينه فى قلبه وكرّه إليه أضداده من الكفر والفسوق والعصيان، فيقول يا رب أنعمت عليَّ بهذا، وسميتنى راشدا فكيف أيأس منك وأنت هديتنى بفضلك وإن كنت متخلفا؟ فأرجو أن تقبلنى وإن كنت زائغا.

والأمر الثاني اللجأ والافتقار دائما ، وتقول : سلم سلم ، ونجني وانقذني ، فلا طريق لمن غلبته الأقدار وقطعته عن العبودية المحضة إلا هذان الأمران ، فإن ضيعهما فالشقاوة حاصلة والبعد لازم والعياذ بالله .

وقال رحمه الله : مخازن الشيطان أربعة إما أن تجلس متفكراً فيما يقربك إلى الله فتأتيه ، أو متفكرا فيما يبعدك عنه فتتجنبه ، وإما أن تجلس متفكرا فيما سبق من حسن عملك فتشكر وتستغفر ، وإما أن تجلس متفكرا فيما سبق من ذنوبك فتستغفر وتشكر .

وقال رحمه الله : إذا أردت أن تغلب العدو فعليك بالإيمان والتوكل وصدق العبودية والاستعاذة بالله من الشيطان . قال الله تعالى : ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وقال : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ وقال : ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان﴾ وقال رحمه الله : اتخذ الله وليا ، والشيطان عدوا وقد استرحت .

وقال رضى الله عنه : أتريد أن يغنيك الله حتى يغني بك من أحب أو توسل أو دعا أو سأل ؟ قلت : كيف لى بذلك ؟ قال لا تتخذ منهم عدوا ولا حبيبا ، واتخذ الله حبيبا ، قلت : فكيف بالعداوة فى الله والمحبة فى الله ؟ قال ذلك بالله لا بالتعبد ولا بالحظ ، فإن عاديت أو أبغضت فأعط العلم حقه ولا تتخذ الشيطان وليا . قال تعالى : ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾ فإذا أحببت بالعلم فأصحبه معك ما وافق الطاعة ، وإن خالف أبغضت بالعلم ما دام مع المخالفة ، وسرك قاعد على بساط تحبه وتأديه لمخالفته ظاهر العلم ، فتنبه لهذا الباب فإنه موضع المزلة للجهال واستعن بالله ، وقال : من اكتسب وقام بفرائض الله تعالى عليه فقد كملت مجاهداته .

فصل فى الخواطر

قال رحمه الله كل علم تسبق إليك فيه الخواطر ، وتتبعها الصور ، وتميل إليه النفس ، وتلتذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقا ، وخذ بعلم الله الذى أنزله

على رسوله، واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده وهداية الأئمة المربين من الهوى ومتابعته، تسلم من الشكوك والظنون والأوهام، والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبد الله ولا علم ولا عمل وحسبك من العلم والعمل بالوحدانية، ومن العمل محبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة. قال رجل «متى الساعة يا رسول الله، قال: ما أعددت لها؟ قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب».

وقال رضى الله عنه: قرأت سورة الإخلاص والمعوذتين ذات ليلة، فلما انتهيت إلى قوله: ﴿من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ رأيت بعد ذلك يقال لى شر الوسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك أفعاله السيئة وينسيك أفعاله الحسنة، ويكثر عندك ذات الشمال ويقلل عندك ذات اليمين، ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله إلى سوء الظن بالله ورسوله فاحذروا هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من الزهاد والعباد وأهل الورع والاجتهاد.

وقال رضى الله عنه: قيل إذا أردت أن تسلم من ذلك فلا تدبر لغد ولا لبعد غد.

فصل فى التوبة

قال رضى الله عنه: لتكن همتك فى ثلاث: التقوى، والتوبة، والحذر، وقوامها بثلاث: الذكر، والاستغفار، والصمت عبودية لله تعالى، وحصن هذه السنن بأربع: الحب، والرضا، والزهد، والتوكل.

وقال رضى الله عنه: إذا فاتتك التقوى فى الاستقامة فلا تفوتك فى التوبة والإنابة.

وقال رضى الله عنه ألق بنفسك على باب الرضا، وانخلع عن عزائمك

وإرادتك حتى عن توبتك بتوبته عليك. قال الله تعالى : ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾.

وقال رحمه الله تعالى : اللهم إنى تبت إليك فأعدنى وقيدنى وقونى وانصرنى وثبتنى، واعصمنى واسترنى بين خلقك، ولا تفضحنى عند رسولك فقيل لك أنك مشرك. قلت كيف؟ فقيل إنك خفت الفضيحة عند الخلق، وإنما تخاف أن يفضحك الله بين الناس، ويكون قلبك متعلقا بالله بالناس، وتعلم أن أحدا منهم لا ينفعك ولا يضرك، فما دام قلبك متعلقا بعلمك وقدرتك وقوتك وجدك واجتهادك، فلست براجٍ الله حتى تيأس من الكل، متعلقا بالرجاء فى الله فى كل نفس، فتجد الروح المدد من الله وإن لم تصل حاجتك ويقطعك بذلك النور عن النظر إلى غيره ويضيق عليك.

وقال رضى الله عنه : رأيت النبى ﷺ يقول : هدى لسنتى من آمن بالله واليوم الآخر، وأعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة، وعزم أن لا يعصى الله، وإن عصى استغفر الله وتاب وأناب، قلت كيف تاب، وأناب؟ فقال : تاب من معصية الله، وأناب من طاعة الله إلى الله.

فصل فى الاستغفار

قال رحمه الله تعالى : أحصن الحصون ما أخبرك عنه فى الاستغفار، وحقيقته أن لا يكون لك من غير الله قرار، قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾.

قال رحمه الله تعالى : هممت بلقاء ملك من الملوك فعارضنى ذنبى، فكلما استغفرت وتبت ضعفت، فقيل لى قل : اللهم إنى أسألك الصلابة فى الدين، والعمل باليقين، وأعوذ بك من لقاء ذنبى، فإن ذلك مما يضعف قلبى، وأشهدنى إياك بالإشهاد فهو أقوى لسرى ولى : اللهم استرنى بمغفرتك، وارحمنى برحمتك، واقدرنى بقدرتك، وامددنى بمشيئتك، وعلمنى علما يوافق علمك، وهب لى حكما يصادف حكمك، وأوجد لى لسان الصدق فى

عبادك، وكن لى سمعا وبصرا، ولسانا وقلبا وعقلا، ويدا ومؤيدا، واعصمنى من الخطأ والزيغ والطغيان، والكذب فى الأقوال والأفعال والأحوال، والعقود والظنون والأوهام والبصائر والأبصار، والخواطر والأفكار، وفى خفى خفى الهواجس والوسواس، والهم والفكر، والقدرة والإرادة، والحركات والسكنات، وفيما علمت، يا عالم الخفيات، أنت ربى، وعلمك حسبى، لا أسأل ولا أفصل (إن ربى غنى كريم) وإنما هى عبودية تجرى على ما تشاء من الدعاء والسؤال، والتفصيل والإجمال، والأقوال والأفعال، والعقود والأحوال، وغير ذلك مما يكسب ويعطى بلا كسب ولا سؤال، (إن ربى بكل شىء عليم).

فصل فى الذكر

قال رحمه الله تعالى : الأذكار أربعة : ذكر تذكره، وذكر تَذكر به، وذكر يذكرك، وذكر تُذكر به، فالأول حظ العوام، وهو الذى تطرد به الغفلة أو ما تخافه من الغفلة. والثانى تذكر به : أى مذكور، إما العذاب، وإما النعيم، وإما القرب، وإما البعد وغير ذلك، وإما الله جل وعلا. والثالث ذكر يذكرك مذكورات أربع : الحسنات من الله، والسيئات من قبل النفس ومن قبل العدو وإن كان الله هو الخالق لها والرابع ذكر تُذكر به وهو ذكر الله لعبده، وليس للعبد فيه متعلق وإن كان يجرى على لسانه، وهو موضع الغنى بالذكر أو بالمذكور العلى الأعلى، فإذا دخلت فيه صار الذكر مذكورا والمذكور ذاكرا، وهو حقيقة ما ينتهى إليه فى السلوك (والله خير وأبقى).

وعليك أيها الأخ بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة وتمسك به وداوم عليه، وهو أن تقول : الحمد لله، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله بإزاء النعم والإحسان من الله، وأستغفر الله بإزاء ما من قبل النفس ومن قبل العدو وإن كان من الله خلقا وإرادة، ولا حول ولا قوة إلا بالله بإزاء عوارض ما يرد عليك من الله، وما يصدر منك إليه وتنبه، فإن السر قَلَّ ما يقع فى الذكر أو فى الفكر أو فى السكوت أو فى الصمت إلا على أحد

من هذه الأربعة الحسنة أو السيئة، فقل: الحمد لله، وأستغفر الله، وإن عرض لك هذه عارض من الله أو من نفسك لم يكن بعد خيرا أو شرا، فلست بقادر على دفعه أو جلبه، فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، واجمع بين هذه الأذكار الثلاثة فى عموم الأوقات، وداوم عليها تجد بركتها - إن شاء الله تعالى والسلام.

قال رحمه الله: اقرع باب الذكر باللجأ والافتقار إلى الله بملازمة الصمت عن الأمثال والأجناس، ومراعاة السر عن محادثة النفس فى جميع الأنفاس إن أردت الغنى.

وقال رحمه الله : هن ثلاث: فرغ لسانك للذكر، وقلبك للتفكر، وبدنك لمتابعة الأمر وأنت إذاً من الصالحين.

وقال رحمه الله: إذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو من مقالك، وانبسطت الجوارح فى شهواتك، وانسد باب الفكرة فى مصالحك، فاعلم أن ذلك لعظم أوزارك أو لكمون النفاق فى قلبك، وليس لك طريق إلا التوبة والصلاح والاعتصام بالله والإخلاص فى دين الله، ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين﴾ ولم يقل من المؤمنين، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيها، والله أعلم.

فصل فى المراقبة

قال رحمه الله تعالى : ثم عليك أيها السالك بطريق الآخرة بتحصيل ما أمرت به فى ظاهرك، فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة، وخذ بالتخليص فى باطنك حتى لا يبقى منه شيء عنه نهاك، وأعط الجد حقه، وأقلل النظر إلى ظاهرك، إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك مما ورد عليك من خطرات تصدك عن مرادك فاعلم أولا قرب ربك علما يباشر قلبك بتكرار النظر فى جلب منافعك ودفع مضارك، وانظر ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ فإن من الأرض نفسك، ومن السماء قلبك، فإذا

نزل من السماء إلى الأرض شيء فمن الذى يصرفه عنك غير الله ﴿ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم ﴾ فأعط المعية حقها بلزوم العبودية له فى أحكامه، ودع عن منازعة الربوبية، فى أفعاله، فإن من ينازعه يغلب (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) نعم الحق ما أقول لك: ما من نفس من أنفاسك إلا والله متوليه مستسلما كنت أو منازعا، لأنك تريد الاستسلام فى وقت وتأبى إلا النزاع، وتريد النزاع فى وقت وتأبى إلا الاستسلام، فدل ذلك على ربوبيته فى جميع أفعاله ولا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه.

فإذا كان الأمر بهذا الوصف فأعط الأدب حقه فيما يرد عليك، بأن لا تشهد لشيء منك أولية إلا بأوليته، ولا آخرية إلا بآخريته، ولا ظاهرية إلا بظاهريته، ولا باطنية إلا بباطنيته، فإذا انتهت لأولية الأول نظرت لما يعول فيما قوله، فإن صدر عليك خاطر من محبوب يوافق النفس أو مكروه يلائمها مما لم يحرمه الشرع، فانظر لما يخلقه الله فيك بأثر ما يخطر ببالك. فإن وجدت تنبيها على الله تعالى فعليك بالتحقيق به، فذلك أدب الوقت عليك، ولا ترجع إلى غير ذلك، فإن لم تجد السبيل إلى التحقيق به فعرس بين يديه فهو أدب الوقت عليك ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك، فإن لم يكن ذلك منك فعليك بالتوكل والرضا والتسليم، فإن لم تجد السبيل إليه فعليك بالدعاء فى جلب المنافع ودفع المضار بشرط الاستسلام والتفويض، وأحذرك من الاختيار فإنه شر عند ذوى الأبصار، فإذا هى أربعة آداب: أدب التحقيق، وأدب التعريس، وأدب التوكل، وأدب الدعاء، فمن تحقق به حفظ منه، ومن عرس عنده كفى من غيره بربه، ومن توكل عليه كفى من اختيار نفسه باختيار ربه، ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه إن شاء فيما يصلح له، أو منعه إن شاء ما لا يصلح له ولكل أدب بساط.

البساط الأول بساط التحقيق: إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكن هنالك بسرك وحرم عليك أن تشهده غيره.

البساط الثاني بساط التعريس : إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك من أفعاله فعرس هناك بسرك، وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاهدا ومشهودا، وفي الأول فناء الشاهد ونفي المشهود.

البساط الثالث : بساط التوكل فإذا ورد عليك خاطر من غيره أعني ما تقدم ذكره محبوب أو مكروه وكشف لك عن عيوبه جلست عن بساط محبته متوكلا عليه راضيا بما يبدو لك من آثار فعله في أنوار حجبه.

البساط الرابع بساط الدعاء: فإذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن فقرك فقد دلك على غناه، واتخذ الفقر بساطا، واحذر أن تنزل عن هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم، وأقل ما يكون منك إذا نزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبرا لها ومختارا فأشرف لك ولا حال لك أن تحملها على الجد والاجتهاد إما في ظاهرك وإما في باطنك، طمعا أن تدفع عنها ما أراد الله أن يدفعه عنك، فكيف إذا نازعته فيما لا يريد دفعه عنك، وأقل ما في هذا الباب دعاوى الشرك بأنك قد غلبت وما غلبت، فإن كنت غالبا فكن حيث شئت، وأن تكون حيث شئت أبدا، فدل اجتهادك على عظيم جهدك بأفعال الله، وما أتبع عابدا جاهلا أو عالما فاسقا، فما أدرى بأي الوصفين أصفك، أبالجهل أم بالفسق، أم بهما جميعا؟ نعوذ بالله من تعطيل النفس عن المجاهدات، ومن خلو القلب عن المشاهدات، إذ التعطيل ينفي الشرع، والخلو ينفي التوحيد، وحاكم الشرع قد جاء بهما جميعا، فادرج عن منازعة ربك تكن موحدا، واعمل بأركان الشرع تكن سنيا، واجمع بينهما بعين التأليف تكن محققا (أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ثم إن خطر لك أيضاً في مراقبتك خاطر من مكروه في الشرع أو محبوب فيه مما قد سلف منك فانظر ما تذكر به وتنبه، فإن ذكرت الله به فأدبك توحيده على بساط تفريده فإن لم تكن هناك فأدبك رؤية فضله فيما حلاك به من لطيف رحمته، وزينك به من طاعته، بتخصيص محبته على بساط مودته، فإن نزلت عن باب هذه الدرجة ولم تكن هناك فأدبك رؤية فضله إذ سترك فيما اقترفت من

معصيته ولم يكشف سترك لأحد من خلقه، فإن صرفت عن هذا وذكرت معصيتك ولم تذكر ما تقدم من الآداب الثلاثة فكن بأدب الدعاء في التوبة منها أو مثلها بطل المغفرة لها بحسب ما يطلبه الجاني المحاط به، هذا في جانب المكروه في الشرع.

وأما إذا ورد عليك خاطر من طاعة فقدمت وذكرت من أفادكها فلا تقر عينك بها بل بمنشئها، فإذا قرت عينك بغيره سقطت عن درجة التحقيق، فإن لم تكن في هذه المنزلة فكن في التي تليها، وهو أن تشهد عظيم فضل الله عليك إذ جعلت من أهلها وميراثها أن ترزق خيرا منها، بل من علاماتها الدالات على صحتها وإن لم تبوأ هنا وبوئت فيما دونها فأدبك بدقيق النظر في تلك الطاعة هل هي هي وأنت سالم من المطالبة فيها، أم هي بعكس ذلك وأنت مأخوذ بها؟ نعوذ بالله من حسنات تعود سيئات (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) فإذا نزلت عن هذه الدرجة إلى غيرها فأدبك طلب النجاة منها بحسنها وسيئها، وليكن هروبك من حسناتك أكثر من هروبك من سيئاتك إن أردت أن تكون من الصالحين.

وقال رحمه الله : إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى، فعليك برفض الناس جملة واحدة إلا من يدلك على الله بإشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة، وأعرض عن الدنيا بالكلية، ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئاً على ذلك، بل كن في ذلك، عبد الله أمرك أن ترفض عدوه، فإن كنت في هاتين الخصلتين: الإعراض عن الدنيا والزهد في الناس، فأقم مع الله بالمراقبة، والتزم التوبة بالرعاية، واستغفر الله بالإنابة والخضوع للأحكام بالاستقامة.

وتفسير هذه الأربعة : أن تكون عبدا لله فيما تأتي، وتراقب قلبك أن لا يرى في المملكة شيئا لغيره، فإن أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز أنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام بالمراقبة؟ وأن تسمع ﴿وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ فهناك يدركك من الحياء ما يحملك على

التوبة بما ظننت أنه قربة، فالزم التوبة بالرعاية لقلبك، ولا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت عنه، فإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق، أليست التوبة منه بدأت والإنابة منه تتبعها، واشتغالك بما وصف لك حجابك عن مرادك؟ فهناك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها، فتأخذ فى الاستغفار والإنابة، فالاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه، وإن كنت بهذه الصفة أعنى الاستغفار والإنابة ناداك من قريب اخضع لأحكامى ودع منازعتى، واستقم مع إرادتى برفض إرادتك، وإنما هى ربوبية تولت عبودية، فكن (عبدا مملوكا لا يقدر على شىء) فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها وأنا بكل شىء عليم، فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هناك على أسرار لا تكاد تسمع من العالمين.

فصل فى آداب القبض والبسط

قال رضى الله عنه: القبض والبسط قَلَّ ما يخلو العبد منهما، وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار، الحق يقتضى منك العبودية فيهما، فمن كان وقته القبض فلا يخلو أن يعلم سببه أو لا يعلمه.

وأسباب القبض ثلاثة: ذنب أحدثته، أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك، أو ظالم يؤذيك فى مالك أو نفسك أو فى عرضك أو ينسبك لغير دين أو غير ذلك، فإن ورد عليك القبض من أحد هذه الأسباب فالعبودية أن يرجع إلى العلم مستعملا له كما أمرك الشرع. أما فى الذنب فبالتوبة والإنابة وطلب الإقالة، وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب؟ وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر، واحذر أن تظلم نفسك فتنتصر لها فتتعدى الحق فى حق الظلم، فيجتمع عليك ظلمان: ظلم غيرك لك، وظلمك لنفسك، فإن فعلت ما ألزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح، وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب دعوتك، وما أحسن ذلك إذا رحم الله لك من ظلمك! فلك درجة الصديقين والرحماء ﴿وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾.

وأما إذا ورد عليك قبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان : ليل ونهار، فالقبض أشبه شيء بالليل، والبسط أشبه شيء بالنهار. وإذا ورد عليك القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون.

والسكون عن ثلاثة أشياء : عن الأقوال والحركات والإرادات فإن فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع النهار، أو يبدو لك نجم تهتدى به أو قمر تستضيء به، أو شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم، والقمر قمر التوحيد، والشمس شمس المعرفة. وإن تحركت في ظلمة ليلك فقلّ أن تسلم من الهلاك، واعتبر بقوله : ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ فهذا حكم العبودية فى القبضتين جميعا.

وأما من كان وقته البسط فلا يخلو إما أن يعلم له سببا أو لا يعلمه، فالأسباب ثلاثة : السبب الأول زيادة الطاعة أو نوال من المطاع كالعلم والمعرفة. السبب الثانى زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة، السبب الثالث بالمدح والثناء من الناس، وإقبالهم عليك، وطلب الدعاء منك، وتقبيل يدك. فإذا ورد عليك البسط من أحد هذه الأسباب فالعبودية تقتضى أن ترى النعمة والمنة من الله عليك فى الطاعة والتوفيق فيها، وتيسير أسبابها، واحذر أن ترى شيئا من ذلك من نفسك، وأخصها أن يلازمك الخوف خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون ممقوتا، هذا فى جانب الطاعة والنوال من الله تعالى. وأما الزيادة من الدنيا فهى نعم أيضا كالأولى، وخف مما بطن من آفاتها وغوائلها وتصريفها وجهة كسبها، إلى غير ذلك من الواجبات والمندوبات والمحرمات. وأما مدح الناس لك وثناؤهم عليك وتقبيل يدك وامتثال أمرك، فالعبودية تقتضى شكر النعمة بما ستر عليك، وخف من الله أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس إليك. وأما البسط الذى لا تعرف له سببا فحق العبودية ترك السؤال والإذلال، والصولة على النساء والرجال، اللهم أن تقول رب سلم رب سلم إلى الممات، فهذه آداب القبض والبسط فى العبودية جميعا إن عقلت والسلام.

فصل في آداب الفقد والوجد

قال رضي الله عنه : اعلم أن الفقد والوجد متعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار، ومدار هذا الأمر على أربعة أشياء: كن شاكرا لأنعم الله إذا وجدت، وراضيا عن الله إذا فقدت، وباذلا للفضل، ولا تحزن على الشكر فيحزن عليك، وأحزن بالأمانة إذا زدت، وسلم وجهك إلى الله في كل أمر قصدت ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله﴾ الآية، ولا تكن عابدا مكايدا ولا زاهدا معاندا، ولا عاصيا متمردا، ولا مفتريا جاحدا، فإن حظيت بالأربع الأول فقد دخلت في ثناء الله تعالى بقوله : ﴿شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾.

فصل في الاقتداء

قال رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما حقيقة المتابعة؟ فقال رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء. وقال رضي الله عنه: الشيخ من دلك على راحتك في الدنيا والآخرة بالزهد، لا من دلك على تعبك.

وقال رضي الله عنه: ليس الرجل الكامل من حبي في نفسه، وإنما الرجل الكامل من حبي غيره.

وقال رضي الله عنه: ليس الرجل الكامل من سقط الخوف في نفسه، إنما الرجل الكامل من سقط الخوف به عن غيره.

وقال رضي الله عنه: كل شيخ لم تصل إليك الفوائد به من وراء حجاب فليس بشيخ.

وقال رضي الله عنه: عشرة وأي عشرة؟ فاحتفظ بها: إذا رأيت رجلا يدعي حالا مع أنه يخرجه عن أمر الشرع فلا تقربن منه: إذا رأيت رجلا يسكن إلى الرياسة والتعظيم فلا تقربن منه ولا ترج فلاحه أبدا. وإذا رأيت فقيرا عاد

إلى الدنيا، فلو مت جوعا فلا تقربن منه ولا تركن إلى رفقته، فإن رفقته تقسى قلبك أربعين صباحا، وإذا رأيت رجلا يستغنى بعلمه فلا تأمن جهله، وإذا رأيت رجلا يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته فاتهمه فى دينه، واحذره أشد الحذر. وإذا رأيت رجلا مريدا يسمع القصائد ويميل إلى الراحة فلا ترجون فلاحه. وإذا رأيت فقيرا يحضر عند السماع فاعلم أنه قد حرم بركات ذلك بتشويش باطنه وتبديل فهمه.

وقال رضى الله عنه: من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به الرسول ﷺ فهو بدعى.

وقال رضى الله عنه: ثلاثة لا تدعى وواحدة لا تزدرى: اقتداء بنوح النبى ومحمد العربى ﷺ ﴿ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذاً لمن الظالمين﴾.

فصل فى آداب المجالسة

قال رضى الله عنه: مجالسة الأكابر بأربع أوصاف: بالتخلى عن أضدادهم، والميل والمحبة والتخصيص لهم. الثانى إلقاء السلم بين أيديهم، وترك ما تهوى لما يهوون. الثالث إيثار أقوالهم وأفعالهم، وترك التجسس على عقائدهم. الرابع تعلق الهمة بما تعلقت به همتهم بشرط الموافقة لهم فى أفعالهم.

وقال رضى الله عنه: إذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة، إما أن تفيدهم، وإما أن تستفيد منهم، وذلك غاية الربح معهم. وإذا جالست العباد والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد والعبادة، وحل لهم ما استمرروه، وسهل عليهم، ما استوعروه، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه. وإذا جالست العباد الصديقين ففارق ما تعلم، ولا تنسب لما تعمل تظفر بالعلم المكنون، وبفوائد أجرها غير ممنون.

فصل في الآداب

قال رضي الله عنه: آداب الحضرة ثلاثة: دوام النظر، وإلقاء السمع، والتوطين لما يرد من الحكم.

وقال رضي الله عنه: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد منها فاجعله والتراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنصاف من النفس وترك الانتصاف لها. وأربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأن به وإن كان أحدهم أعلم البرية: مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة ذوى الفاقة، ومواظبة الخمس في الجماعة.

فصل في آداب السؤال

قال رضي الله عنه: مثال السائلين ثلاثة: سائل عن التصديق بتحقيق القرب، وسائل يسأل عن عين التحقيق برفع الحجاب، وسائل يسأل عن النيابة من الفناء عن نفسه.

وقال رضي الله عنه: إذا سألت فاسأل الله، فإن أعطاك فاشكره، وإن منعك فارض عنه. وإياك وكزازة النفس، وسوء الظن، وغلبة الشهوات فتحرم المحبة والمعرفة والرضا والمغفرة، وتحجب عن الله، وتطرد عن المحل الأعلى إلى أسفل من ذلك، ولست تدرى أن يرميك من حدود أسفل سافلين.

وقال رضي الله عنه: وقد أراد أن يمشى إلى بعض الظلمة في الدفع عن بعض الصالحين: اللهم اجعل مشيي إليهم تواضعا لوجهك وابتغاء لفضلك ورضوانك ونصرة لك ولرسولك، وزينى بزينة ﴿ الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ وخصنى بالمحبة والإيثار ورفع الحجة من الصدور في الليل والنهار، وقنى شح نفسى واجعلنى من المفلحين ﴿ واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾.

وقال رضى الله عنه : إذا دخلت على جبار أو متكبر فقل (إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) .

وقال رضى الله عنه : أفضل ما يسأل العبد من الله خيرات الدين ففى خيرات الدين خيرات الآخرة ، وفى خيرات الآخرة خيرات الدنيا ، وفى خيرات الدنيا ظهور الربوبية ، والإشراف على ما كان وما يكون ، والدخول على الله فى كل يوم سبعين مرة ، والخروج كذلك ، فتكسى كل مرة ، حللا من الأنوار والتقريب .

وقال رضى الله عنه : إذا خوفك أحد من الجن والإنس فقل (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وقال رضى الله عنه : إذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله ، قبل أن ترفعها لأحد منهم ، فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم ، وإن لم يقض لك منهم فارض عن الله ولا تنسب شيئا لأحد منهم ، ولا تذمن أحدا إلا بما ذمه الله ، ولا تمدح أحدا إلا بما مدحه الله ، وإلا فأمسك فهو أسلم لك وأهنأ للرضا من الله عنك ، وأعبد الله باليقين ترفع فى الدرجات العلا وإن قَلَّ عملك .

وقال رضى الله عنه : أخس الناس منزلة عند الله من جعل دينه سببا لقضاء حوائجه .

وقال رضى الله عنه : إذا كانت لك حاجة وأردت أن تقضى حاجتك فأثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله تعالى ، واجعل فقرك إليه وحاجتك عنده ، وأحذرك أن يمتد بصر قلبك إلى غير الله تعالى فتحجب عن الله بل فوض أمرك إليه ، ولا تفرح ولا تحزن ولا تخف ولا ترج ولا تذل ، والمؤمن لا يذل نفسه وقل (باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم) .

فصل في الاستخارة

قال رضى الله عنه : لا يستخار إلا أمين، وكم عبد أمين على الأموال غير أمين على الفروج، ورب عبد يكون أمينا على الفروج ولا يكون أمينا على الأموال، ورب عبد يكون أمينا فى الأموال أمينا فى الفروج غير أمين على الدين والأمين على الدين هو الآخذ عن الله ببصيرة اليقين والإشراف على الأحوال كلها وعواقب الأمور فى الدنيا والآخرة.

فصل في النية

قال رضى الله عنه : حقيقة النية عدم غير المنوى عند الدخول فيه، وكمال الاستصحاب على التمام.

وقال رضى الله عنه فى قوله ﷺ : «الأعمال بالنيات» فقال إن للنية محلا ووقتا وكيفية ومعنى، فنسألك الصفاء لمحلاتها، والتوفيق فى أوقاتها والعصمة فى كيفياتها، والتحقيق لمعانيها، ونسألك صحة العقد، وحسن القصد وإرادة لوجه الله تعالى، وتعظيما لحق الربوبية، وإلزام النفس وصف العبودية، فمحل النية القلب، ووقتها عند افتتاح الأعمال، وكيفيتها ارتباط القلب مع الجوارح. ومعنى النية أربعة أشياء : القصد، والعزم، والإرادة، والمشيئة، كل ذلك بمعنى واحد. وللنية صورتان : توجه القلب بحسن التيقظ فيه. والصورة الثانية الإخلاص فى العمل لله ابتغاء ما عنده من الأجر، وإرادة وجه الله.

وقال رحمه الله فى قوله ﷺ : «من حسنت نيته صلح عمله» فحسن النية فيما بينك وبين الله بتوجه القلب بالتعظيم لله والتعظيم لأمر الله والتعظيم لما به أمر الله، وفيما بينك وبين العباد بتوجيه النفوس بالنصيحة لهم، مع القيام بالحقوق، وترك الحظوظ، ونبذ العوارض، مع الصبر لله والتوكل على الله.

فصل في الأعمال

قال رضي الله عنه : مدار الأعمال على أربعة أشياء : المحبة والإخلاص والحياء والإيمان ، فالمحبة بالخوف ، والإخلاص بالعلم ، والحياء بالتعظيم ، والإيمان بالصدق .

وقال رحمه الله يحكى عن أستاذه رحمه الله أنه قال : أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة : المحبة لله ، والرضا بقضاء الله ، والزهد فى الدنيا ، والتوكل على الله والقيام بفرائض الله ، والاجتناب لمحارم الله ، والصمت عما لا يعنى ، والورع عن كل شيء يلهى .

وقال رحمه الله : اللهم إنا نسألك حسن المآب ، ودوام الذكر والفكر ، واللجأ والافتقار إليك ، والدعاء لك ، والاستجابة منك ، والثقة بك ، والتوكل عليك ، والزهد الواقع على الرد القاطع ، والمحبة والرضا ، هذه أعمال الصديقين فى بداية أمورهم .

فصل فى الأوراد

قال رحمه الله : أوراد الصادقين عشرون : الصوم ، والصلاة ، والذكر والتلاوة ، وحفظ الجوارح ، وذم النفس عن الشهوات ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر على أصول أربعة : الزهد فى الدنيا ، والتوكل على الله ، والرضا بقضاء الله . والحب الصافى على مبانى أربعة : الإيمان والتوحيد وصدق النية وعلو الهمة ، ومن لم يكن فيه أربع خصال فلا ترج له فلاحا : العلم والورع والخشية لله والتواضع لعباد الله .

وقال رحمه الله يحكى عن أستاذه رحمه الله ، أنه قال : عبادة الصديقين عشرون : كلوا واشربوا والبسوا واركبوا ، وانكحوا واسكنوا ، وضعوا كل شيء حيث أمركم الله ، ولا تسرفوا ، واعبدوا الله واشكروه ، وعليكم بكف الأذى وحمل الأذى وبذل الندى ، فإنها نصف العقل . والنصف الثانى : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم والرضا بالقضاء ، وإن عبادة الله هى التفكر فى أمر

الله . والثقة فى دين الله أس العبادة والزهد فى الدنيا . ورأسهما التوكل على الله ، فهذه عبادة الأصحاء من المؤمنين ، وإن كنتم مرضى فاستشفوا واسترقوا بالعلماء ، واختاروا منهم الأتقياء الهداة المتوكلين على الله تعالى .

وقال رضى الله عنه : سألت أستاذى عن ورد المحققين؟ فقال : عليك بإسقاط الهوى ومحبة المولى ، أبت المحبة أن تستعمل محبا لغير محبوبه .

وقال رضى الله عنه يحكى عن رجل سأل أستاذه رحمه الله وظفْ علىَّ وظائف وأورادا ، قال فغضب منه الأستاذ وقال أرسول أنا ؟ فأوجب الواجبات؟ الفرائض معلومة والمعاصى مشهورة ، فكن للفرائض حافظا ، وللمعاصى رافضا واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات ، واقنع من ذلك كله بما قسم الله تعالى لك . إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله شاكرا . وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابرا ، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصل جامع لأنواع الكرامات وحصون ذلك كله أربعة : صدق الورع ، وحسن النية ، وإخلاص العمل ، وصحبة العلم ؟ ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناجح .

وقال رضى الله عنه يحكى عن أستاذه رحمه الله أنه سمعه يقول لرجل استأذنه فى المجاهدة لنفسه فأجابه بقوله تعالى : ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الآية .

فصل فى العباد والزهاد

قال رضى الله عنه : العباد بنوا أمرهم على عشرة أصول : على الصوم ، والصلاة ، والذكر ، والتلاوة ، والدعاء ، والاستغفار ، والتضرع ، والبكاء واعتزال الناس ، وتحصيل هذا القوت من وجه حلال ، وبساطهم الذكر ، والزاهد يزيد عليهم بأربعة أوصاف : الزهد فى الدنيا عموما ، وفى الناس خصوصاً ، ويكشف الغيب الملكوتى ، والتخير للأحوال ، ومقامات الرجال ، وبساطهم الفكر .

وأما الأولياء فهم درجات: بسط لهم في العلم والمعرفة، والنور والمحبة، والتوحيد واليقين، وكشف الغيب، والرسوخ فيه، والتحقق بالغنى وبآثار أنوار البقاء، وبساطهم المحبة الفرعية.

وأما الصديقون، فلهم في بدايتهم خمسة أحوال: طي الوجود عن أسرارهم، وكشف أمر الدين لأرواحهم، ومراقبة القلوب، ومراعاة العقول، وحفظ النفوس. وأما الخمسة التي في نهايتهم: فالتحقيق في المحبة، والكف، والصمت، والثبات في الخلة والإنصاف بالبقاء، وبساطهم المحبة الأصلية، وفائدة التفصيل أن يعطي المقتدى به كل أحد من أتباعه على قدر حاله ومقامه فيما أنزل الله فيه.

فصل في الطاعات

قال رضي الله عنه: لا تؤخر طاعة وقت لوقت فتعاقب بفوتها أو بفوت غيرها أو مثلها جزاء لما كفر من ذلك الوقت، فإن لكل وقت سهما في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فقلت في نفسي: قد أخر الصديق الوتر إلى آخر الليل، فإذا هو بصوت في النوم: تلك عادة جارية وسنة ثابتة ألزمه الله إياها مع المحافظة عليها، فإني لك بها مع الليل إلى الراحات، والتمتع بالشهوات هيهات، والدخول في أنواع المخالفات، والغفلة عن المشاهدات، هيهات، فقلت في نفسي: أتدبير أم رفض؟ فقال: بل تدبير يقتضي الأدب والتنبيه لما أغفل، وهي وصية إليك ووصية منك لعباده الصالحين، فتنبه لها ولا تكن من الغافلين.

وقال رضي الله عنه قيل لي مرة: ما الذي استفدت من طاعتي، وما الذي استفدت من معصيتي؟ فقلت: استفدت من الطاعة العلم الزائد والنور النافذ والمحبة، واستفدت من المعصية الغم والحزن والخوف والرجاء.

وقال رضي الله عنه في بعض الأخبار: من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء، قال كأنه يقول: من أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته

فى كل شىء بأن أتجلى له فى كل شىء حتى يرانى كأنى كل شىء، هذه الطاعة والمشاهدات فى حق العوام من الصالحين، وأما الخواص من الصديقين فطاعتهم باليأس منهم بإقبالهم على كل شىء لحسن إرادة مولاهم فى كل شىء، فكأنه يقول: من أطاعنى بكل شىء بإقباله على كل شىء لحسن إرادتى كل شىء أطعته فى كل شىء بأن أتجلى له عند كل شىء حتى يرانى أقرب إليه من كل شىء.

وقال رحمه الله: عليك بالمطهرات الخمس فى الأقوال، والمطهرات الخمس فى الأفعال، والتبرى من الحول والقوة فى جميع الأحوال، وغص بعقلك إلى المعانى القائمة بالقلب، وأخرج عنها وعنه إلى الرب، وواحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده أمامك» واعبد الله بها (وكن من الشاكرين). فالمطهرات الخمس فى الأقوال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. والمطهرات الخمس فى الأفعال الصلوات الخمس، والتبرى من الحول والقوة وهو قولك: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فصل فى العزة

قال رحمه الله فى قوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ فعزة المؤمن أن يمنعه الله من التعبد للنفس والهوى والشيطان والدنيا أو لشىء من المكونات فى الغيب والشهادة والدنيا والآخرة. والمنافق لا يعلم العزة إلا بالأسباب والتعبد للأرباب (أإله مع الله تعالى عما يشركون - أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يُخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون).

وقال رحمه الله فى قول بعضهم: من أراد عز الدارين فليدخل فى مذهبنا هذا يومين قال له القائل: كيف لى بذلك؟ قال فرق الأصنام عن قلبك، وأزح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت، فإن الله لن يدعك، فإن جاءك شىء من الدنيا بعد فلا تنظر إليه بعين الرغبة، ولا تصحبه بالرهبة، ولا تجلس معه إلا

بالواجب فى صرفه وإمساكه، وإن طلبت شيئا من ذلك يوما فاشهد طلب الله لك فى طلبك له فإنك مطلوب بالطلب، فإن خرج لك الطلب منه مخرج الرضاء فادخل، ولا تعلق قلبك بالظفر به ولابد، فإنك لا تدرى أتصل إليه أم لا؟ وإن وصلت إليه فلست تدرى ألك هو أم لغيرك؟ فإن كان لك فلست تدرى أفيه الخير أم فيه الشر؟ وإن كان لغيرك فليس لك به علم، هل هو لحبيبك أم لعدوك؟ وعلى الجملة: كيف يسكن القلب إلى موهوب تتصور فيه هذه الوجوه كلها وأكثر من ذلك، فاطلبه وأنت متعلق بالله وناظر إليه، واستعمل الشكر إذا ظفرت به، والصبر والرضا إذا لم تظفر، بل الثناء على الله أجمل، لأنه لم يمنعك عن بخل وإنما منعك نظرا لك، فإذا منعك ذلك فقد أعطاك ولكن لا يفقد العطاء فى المنع إلا الصديقون، وإن خرج بك الطلب من الله مخرج السخط بدلالة مخالفة العلم أو ما يكاد فالجأ إلى الله وفر إليه حتى يكون هو الذى يخلصك و(يفعل الله ما يشاء - والعاقبة للمتقين).

فصل فى التواضع

قال رحمه الله: وُسِم بالسعادة رجل عرف الحق فتواضع لأهله وإن عمل ما عمل، ووسم بالشقاوة رجل جحد الحق وتكبر على أهله ولو عمل ما عمل.

وقال رحمه الله: خرجت إلى البستان مع أصحاب لى بمدينة تونس ثم عدت إلى المدينة وكنا ركبانا على الحمير، فلما وصلنا قريبا من المدينة نزلوا وكان طينا وقالوا يا سيدى انزل هنا، فقلت ولم؟ فقالوا هذه المدينة ونستحى أن ندخلها على الحمير، قال فثنيت رجلى وأردت موافقتهم، فإذا النداء على أن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع، ولكن يعذب على راحة يصحبها الكبر.

فصل فى التقوى

قال رحمه الله: اتخذ التقوى وطنا، ولا يضرك مدح النفس ما لم تصر على الذنب أو ترضى بالعيب، وتسقط عنك الخشية فى الغيب.

فصل في الورع

قال رحمه الله : ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، ولا ببقبقة الصناعة، وإنما هو بالصبر واليقين في الهداية ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون. إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ وهذا الثغر ثغر كريم لرجل كريم فيه خمس خصال: الصبر والتقوى والورع واليقين والمعرفة. الصبر إذا أوذى، والتقوى أن لا يؤذى، والورع فيما يخرج وما يدخل من ها هنا وأشار إلى فيه، وفي القلب أن لا يلج فيه غير ما يحب الله ورسوله، واليقين في الرزق، والمعرفة بالحق التي لا تُذَل معها لأحد من الخلق (واصبر إن العاقبة للمتقين - ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

وسئل رحمه الله عن الورع؟ فقال الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه، فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله، والقول بالله والعمل لله وبالله، على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة، وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون، ولا يريدون ولا يتفكرون، ولا ينظرون ولا ينطقون، ولا يبطشون، ولا يمشون، ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث لا يعلمون هجم بهم العلم عن حقيقة الأمر، فهم مجموعون في عين الجمع، لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى الأدنى، فالله يوزعهم عن ذلك ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم، ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو معروف بدعوى، وميراثه التعزز لخلقه، والاستكبار على مثله، والصولة بعلمه، فهذا هو الخسران المبين، والعياذ بالله من ذلك، والأكياس يتورعون عن هذا الورع، ويستعيذون بالله منه، ومن لم يرد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك، فسبحان من قطع كثيرا من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصالحهم كما قطع المفسدين بفسادهم عن موجدهم (فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم).

وقال رضى الله عنه: أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين، وأقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم، لا تقزز عليهم، ولا تقتد بمن يتورع بما تناولته أيدى المؤمنين، ولا تتورع مما مسته أيدى الكافرين؟ وقد علم ما نال الحجر من مس أيدى المشركين فاسود لذلك.

فصل فى الإخلاص

قال رحمه الله: الإخلاص نور من نور الله استودعه الله قليب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره، فذلك هو أصل الإخلاص، ثم يتشعب أربع إرادات: إرادة الإخلاص فى العمل على التعظيم لله، وإرادة الإخلاص على التعظيم لأمر الله، وإرادة الإخلاص لطلب الأجر والثواب، وإرادة الإخلاص فى تصفية العمل عن الشوائب لا يراعى فيه غير ذلك، وكل هذه الإرادات استعبدنا بها، فمن تمسك بواحدة منها فهو مخلص درجات عند الله (والله بصير بما تعملون) وإلى ذلك الإشارة بقوله جل وعلا فيما يحكى عنه جبريل عليه السلام لرسوله ﷺ «الإخلاص سر من سرى، استودعته قلب من أحببته من عبادى».

وقال رحمه الله: رأيت كأنى أطوف بالكعبة طالبا من نفسى الإخلاص وأنا أفتش عليه فى سرى، فإذا النداء على كم تدندن مع من يدندن، وأنا السميع القريب العليم الخبير؟ وتعريفى يغنيك عن علم الأولين، والآخرين، ما خلا علم الرسول وعلم النبيين، وإنما هو أربعة: إخلاص من مخلص فمخلص به لمخلص له. وهو على ضربين: إخلاص الصادقين، وإخلاص الصديقين فإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب، وإخلاص الصديقين بنظر وجود الحق مقصودا به لا بشىء من عنده، فمن استودع ذلك فى قلبه فهو المستثنى على لسان عدوه بقوله (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين).

وقال رحمه الله: إن أردت السلامة من الغرور، فأخلص العمل لله بشرط العلم، ولا ترض عن نفسك بشىء.

فصل في اليقين

قال رحمه الله : من علم اليقين بالله وبما لك عند الله ، أن تتعاطى بين الخلق ما لا تصغر به عند الحق وإن صغرت به في أعين الخلق ، بلا اعتراض من الشرع ، ولا منازعة من الطبع ، بل من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد ، وتتابع الفوائد ، بسواطع الشواهد ، بل من حق اليقين الفرق في الشيء كأنك نفس الشيء كمن اضطر إلى رؤية البحر فركبه وانكسرت سفينته فتلاطمت عليه أمواجه ، فمنهم بعد من يفنى ويذهب مع الذاهبين ، وينقل إلى درجات عليين ، ومنهم من يحيا ويبقى مع الباقين ، لا حظ للمقتدى فيه بل هو مستور عن الخلق أجمعين ، ومنهم من يبقى برزخا بين الحق والخلق ظاهرا بالتعيين ، كاملا في الوصفين ، قدوة للثقلين ، ومنهم الإمام الأكبر الفرد القطب الغوث ، الجامع المختص بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق وما لا يسمع سامع ، ومن دونهم من لا درجة له من الأولياء والأتقياء والعباد والزهاد ومن أهل النظر بالدليل والبرهان ، ولم يطلع بعد على الكشف والعيان ، ومن دونهم أهل الوسائل بالأعمال والأحوال ، وأهل التخليط في الأقوال والأفعال (ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) .

وقال رحمه الله : إن كنت مؤمنا موقنا فاتخذ الكل عدوا كما قال إبراهيم عليه السلام (فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) وإن كنت محمديا فاتل هذه الآية (قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أخرج الفصل بشيئين الاستقبال تحقيقا للرسول ، وأما الله سبحانه وتعالى فلا ماضي عنده ولا استقبال ، إذ لا يتحدد عنده شيء .

وقال رحمه الله يحكي عن أستاذه رحمه الله أنه قال : أربعة من كن فيه احتاج الخلق إليه وهو غني عن كل شيء : المحبة لله والغنى والصدق واليقين . الصدق في العبودية ، واليقين بأحكام الربوبية ، (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

فصل في الكرامة

قال رحمه الله : بسط الكرامة أربعة : حب يشغلك عن حب غيره، ورضى تصل به حبك بحبه، وزهد يحققك بزهد رسوله، وتوكل يكشف لك عن حقيقة قدرته.

وقال رحمه الله : كرامة الله فى الرضا تلهيك عن المصائب إلى يوم اللقا.

وقال رحمه الله : كرامة الصديقين خمسة : أولها دوام الذكر والطاعات بشرط الاستقامة. والثانية الزهد فى الدنيا بإيثار القلة. الثالثة تجديد اليقين مع المعارضات. الرابعة وجود الوحشة مع أهل المنفعة والأنس مع أهل المضرة. الخامسة ما يظهر على الأبدان من طى الأرض والمشى على الماء وغير ذلك، مما لا يجرى تحت حكم العادة، ولهذا الفضل أوقات وأشخاص وأماكن، فمن طلبها فى غير وقتها قَلَّ ما يعثر عليها.

وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها، ولا من تحدثه نفسه بها واستعمل نفسه فى طلبها، إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا عمله، وهو مشغول بمحاب الله، ناظر لفضل الله آيس من نفسه وعمله، وقد تظهر على من استقام فى ظاهره، وإن كانت هبات النفس فى باطنه ظهرت على من عبد الله فى اللجة فى جزيرة من جزائر البحر خمسمائة سنة، فقيل له ادخل الجنة برحمتى، فقال بل بعملى.

وقال رحمه الله : إنما هنا كرامتان جامعتان محيطتان : فى الدنيا كرامة الإيمان بزيادة الإيقان، وشهود العيان. وكرامة العمل بالاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة، فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب، كمن أكرم شهود الملك والخدمة إلى عين الرضا، وجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا، وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله فصاحبها مستدرج مغرور، أو ناقص أو هالك مثبور.

وقال رحمه الله : للقطب خمس عشرة كرامة ، فمن ادعى شيئا منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والإنابة ، ومدد حملة العرش العظيم ، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ، ويكرم بكرامة الحكم ، والفصل بين الموجودين وانفصال الأول عن الأول ، وما انفصل عنه إلى منتهاه ، وما ثبت فيه ، وحكم ما قبل وحكم ما بعد ، وحكم من لا قبل له ولا بعد ، وعلم البداء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدئ من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه .

وقال رحمه الله : قيل لى إن أردت كرامتى فعليك بطاعتى وبالإعراض عن معصيتى ، وإن زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة ، فاعلم قربى منك ونظرى إليك وإحاطتى بك وقدرتى إليك ، واستنقذ نفسك منى ومن عظيم قدرتى ، وقل : موجود قبل كل موجود ، وهو الآن على ما هو عليه موجود ، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ، ضاقت على الأرض بما رحبت ، وضاقت على نفسى ، ولا ملجأ إلا إليك فتب على لأتوب ، إنك أنت التواب الرحيم .

فصل فى العلم

قال رحمه الله : رأيت كأنى واقف بين يدى الله عز وجل ، فقال : لا تأمن مكرى فى شىء وإن آمنتك ، فإن علمى لا يحيط به محيط ، وهكذا كانوا .

وقال رضى الله عنه : لا تلتفت علما ولا عملا ولا مددا وكن بى ولى فى ذلك أبدا .

وقال رحمه الله : لا تنشر علمك ليصدقك الناس ، وانشر علمك ليصدقك الله وإن كان لام العلة موجودا ، فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير لك من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك ، ولعلة ترد إلى الله خير لك من علة تقطعك عن الله ، فمن أجل ذلك علقك بالثواب والعقاب ، إذا لا يرجى ولا يخاف إلا من قبل الله ، وكفى بالله صادقا ومصدقا ، وكن بالله عالما ومعلما ، وكفى بالله هاديا ونصيرا ووليا : أى هاديا يهديك ويهدى بك

ويهدى إليك، ونصيرا ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك، ووليا يوليك ويولى بك ولا يولى عليك.

وقال رحمه الله : هذه العلوم أفراس وبيان لمواقع النفوس، وخواطرها ونكرها وإرادتها، وقطع القلوب عن الملاحظة والمساكنة والمراكنة على سبيل التوحيد والشرع، بصفاء المحبة وإخلاص الدين بالسنة، ولهم بعد زوائد في مقامات اليقين: من الزهد والصبر والشكر والرجاء والخوف والتوكل والرضا، وغير ذلك من مقامات اليقين، فهذا سبيل القاصدين في طريق المعاملات لله. وأما أهل الله وخاصته : فهم قوم جذبهم عن الشر وأصوله، واستعملهم بالخير وفروعه، وحبب إليهم الخلوات، وفتح إليهم سبل المناجاة، فتعرَّف إليهم فعرفوه، وتحبب إليهم فأحبوه، وهداهم السبيل إليه فسلكوه، فهم به وله، ولا يدعهم لغيره ولا يحجبهم عنه، بل هم محجوبون به عن غيره، ولا يعرفون سواه ولا يحبون إلا إياه. (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب).

وقال رضى الله عنه: رأيت النبى ﷺ ونوحا عليه السلام وملكا بين أيديهما فقال: لو علم نوح من قومه كما علم محمد عليه الصلاة والسلام من قومه ما دعا عليهم بقوله (لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا – إلى قوله – كفارا) هذا موضع العلم الحقيقى الذى لا يتبدل، ولو علم محمد عليه الصلاة والسلام من قومه ما علم نوح عليه السلام من قومه ما أمهلهم طرفة عين، ولكن علم أن فى أصلابهم من يؤمن به ويسعد بلقاء ربه، فقال: اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون، فكل على علم وبينة من الله، فألزم كل واحد ما ألزم من الدعاء، ثم قال أليس كذلك؟ فقالا بلى، ثم قال: من جاهد نفسه وهواه وشيطانه وشهوته ودنياه فغلب فهو منصور ومأجور، ومن جاهد أولئك فغُلب فهو مغفور ومشكور، ما لم يصر على الذنب أو يرضى بالعيب، أو تسقط منه الخشية فى الغيب، ومن كان بإحدى الثلاث وعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، وآمن بالقدر كله وخاف من ذنبه، ووجل من ربه، فالرحمة إليه أسرع من

القَطر إلى أرضه، ويقول الله «أرحم ما أكون بعبدى إذا أدبر عنى وأجل ما يكون عندى إذا أقبل علىّ» والهالك الذى يفرح بالمعصية إذا أعطى، ويحزن عليها إذا فاتته، ويفتخر بها ولا يستتر منها، فنعوذ بالله، وهو فى مشيئة الله.

وقال رحمه الله: حقيقة العلم بالخير السكون فيه، وحقيقة العلم بالشر الخروج عنه.

وقال رحمه الله: العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير فى الأيدى، إن شاء نفعك بها، وإن شاء ضرك معها.

وقال رضى الله عنه: سبعة ارفع قلبك عنها: لا علوم ولا أعمال، ولا خصائص ولا ودائع، ولا أماكن ولا لطائف، ولا حقائق تنجيك من قدر الله تعالى.

فصل فى الإيرادات

قال رحمه الله : أصول الإرادات على مذهب محقق الصوفية مبنى على أربع: الصدق فى العبودية، وترك الاختيار مع الربوبية، والأخذ بالعلم فى كل شىء وإيثار الله بالمحبة على كل شىء. والصدق يبنى على أربعة أصول: على التعظيم والمحبة والحياء والهيبة. وترك الاختيار يبنى على أربعة أصول: على الشهود فى القبضة، وعلى التحقيق بالوصية، وعلى التصديق، وعلى الثقة بضمان الله ووعده. والأخذ بالعلم يبنى على أربعة أصول: إما من طريق الإشارة، وإما من طريق المواجهة، وإما من طريق الفهم، وإما من طريق السمع. وإيثار الله بالمحبة يبنى على أربعة أصول: إيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود، وإيثار محابه على محاب نفسك، هذا لمن نفذ. وأما من لم ينفذ فليكن مع الأستاذ النافذ بهذه المثابة.

وقال رحمه الله فى قول بعضهم: من لم تصح إرادته لم تزده مرور الأيام إلا إدبارا، قال: فمن أراد أن تصح إرادته، فليوصل أمره على العلم برفض الجهل

وعلى رفض الدنيا بالإقبال على الآخرة، ويلازم الخلوة ودوام الذكر فهناك تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء فى الوجه، وتقبل الناس عليه من الرجال والنساء من الحواضر والبوادى، ويسارعون إلى إكرامه والسلام عليه والتعظيم له، فإن قبل ذلك منهم قبل التمكن والتحقيق يسقط من عين الله ويرد إلى ما خرج منه، فتارة يمدح هذا ويذم هذا، ويحتال على هذا، ويعرض عن هذا، ويرضى على هذا ويغضب على هذا، فقد ظهرت عورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه لحاب الله بمحاب نفسه، فاحذروا هذا الداء العظيم، فقد هلك به خلق كثير فاعتصموا بالله (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم).

فصل فى الإيمان

قال رحمه الله : أن تشهد أوليتك بأوليته، وآخريتك بآخريته، وظاهريتك بظاهريته، وباطنيتك بباطنيته.

قال رحمه الله : خمس من لم يكن منهن فيه شىء فلا إيمان له : التسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والتفويض إلى أمر الله، والتوكل على الله، والصبر عند الصدمة الأولى.

فصل فى الإسلام

قال رحمه الله : الإسلام بتحقيق الشكر لله فيشكرك الله، ولا إسلام بنفاق فيشكرك الناس، وإن كان لا خير فيه فإن صاحبه مذموم فى الحال أو معذب فى المآل أو يتوب الله عليه. قال الله تعالى (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) وهذا الإسلام الذى هو فى ظاهره نفاق هو أقبح من السخط بقضاء الله والجزع، فإن داء السخط والجزع يثبت لك معصية الله، ونرجو التوبة منها، وداء النفاق فى الإسلام يدعى النفاق ويشهد له به ما يتوب منه، والله تعالى يعلم ذلك منه.

فصل في التوحيد

قال رحمه الله: التوحيد سر الله، والصدق سيف الله، ومدد السيف باسم الله وترجمته «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقال رحمه الله: كان لي صاحب وكان كثيرا ما يأتيني بالتوحيد، فرأيت في النوم أقول له يا أبا عبد الله إن أردت التي لا لوم فيها فليكن الفرق في لسانك موجودا، والجمع في سرك مشهورا.

وقال رحمه الله، أبواب الحق أربعة: التوحيد والمحبة والإيمان والرضا.

وقال رحمه الله: رأيت يقال لي : من تعلق بأسماء الله من جهة المسميات فالشرك موطنه فكيف من تعلق بأسماء نفسه؟ أين أنت من التوحيد الحق المجرد عن التعلق بالله، وبالحق، وكل اسم يستدعى به نعمة أو يستكفى به نقمة فهو حجاب عن الذات وعن التوحيد بالصفات، ومن أحاطت به صفة من صفاته ألجأته على الاستعانة بالأسماء والصفات، ولا تدع ما هو لك لما ليس لك، ولا تتمن ما فضل الله به غيرك، ولتكن عبوديتك التسليم والقبول لما يؤتى، وحسن الظن باك فيما تلقى، والاشتغال بما هو لك أولى (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وهذه المخاطبات لأهل المراتب والمقامات والدرجات والأحوال، وأما أهل السعايات والتكسب بالحركات والأقوال فهم عن ذلك معزولون، وإلى حدودهم يرجعون، ومن الأجور من الله لا يبخسون، هذا إن ساموا من بقية الكلام، وأخذ الرشاء على الصلاة والصيام، والتنعم بمطامح تلك الأبصار عند إطراق الرءوس والاشتغال بالأذكار، وإن جنايتهم بالإضافات ورؤية الطاعات أكثر من جناياتهم بالمعاصي وكثرة المخالفات، وحسبهم ما يبدو لهم من الطاعات وإجابة الدعوات والمسارعة إلى الخيرات.

وقال رحمه الله : من اتقى الشرك فى التوحيد والمحبة فى أوائل خطواته عزم الله له بالمدد العزيز فى أواخر ما من به، ثم لا يحجب عن الله ولا يدخل عليه الخلل فى عزائمه، ومن أبطأ عنه الأمر فى أتعس الخطوات وأخذ منه الميل إلى أشخاص الشهوات بطأ عنه المدد على مقدار أوقات الفترات، هذا بيان من الله لأهل التيقظ من الغفلات. قال الله تعالى : ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾.

فاتق الله فى الشرك فى التوحيد، واجتمع ولا تتفرق عنه بنقص ولا مزيد، فإياك والشرك فى المحبة بالميل إلى الشهوة : أى شهوة كانت، ومن كان عند الله خائفا وجلا مشفقا من الله فى نعمائه، كان فى أمن الله فيما يرد عليه من عظيم بلائه، دليله «من كان لله فى الرخاء فإن الله له فى الشدة» الحديث.

وقال رحمه الله : يا أيها الناس اتجروا كى تربحوا، واحذروا أن تتجروا فتخسروا وتقبحوا. التاجر من يعبد الله بحقائق التوحيد والإيمان والرابح من أربح نفسه فخلصها من الشرك والكفر (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين – إلى قوله تعالى – قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) أهلك آدم وحواء ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وأزواجه (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم – إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) والخاسر من أشرك بالله فى توحيده (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) أو من أشرك بعبادة ربه شيئا أو واحدا من خلقه فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا).

فصل فى العبودية

قال رحمه الله : العبودية هى امتثال الأمر، واجتناب النهى ورفض الشهوات والمشيئات على الشهود والعيان.

وقال رحمه الله : إن أكرم الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه، وجعله يتقلب فى عبوديته والحظوظ عنه مستورة، مع جرى ما قدر له منها ولا يلتفت إليها، كأنه فى معزل مشغول عنها . وإذا أهان الله عبداً فى حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه، وستر عنه عبوديته، فهو يتقلب فى شهواته وعبودية الله عنه بمعزل وإن كان يجرى عليه شىء منها فى الظاهر، وهذا باب فى الولاية والإهانة. وأما الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق عند ذوى البصائر كلها سواء، لأنه بالله فيما يأخذ ويترك.

فصل فى الولاية

قال رحمه الله : الولى مصان فى أربعة مواطن فى الخواطر والوساوس فى الصلاة، ووقت الدعاء، واللجأ إلى الله، والنجاة إلى الله، ووقت نزول الشدائد وعند تفريجها، فهذه المواطن التى لا تخطر بقلوبهم ولا يتعلق فيها شىء سوى بالله عز وجل، وهى محروسة مصانة إلا من أربعة أصناف : من الآخرة وضدها، ومن ذكر الأولياء وأضدادهم، ومن ذكر الطاعات وأضدادها، ومن حقائق الإيمان وأضدادها، فهى مصانة من جميع الخواطر إلا من هذه الأربعة، لما فيها من فوائد الاستعمال بالعبودية المحضة من النهوض عند الضد، وكيف لا يكون ذلك ورسالات ربنا على لسان نبينا محشوة بذكر ذلك كله؟ فلا ينازع فى دفع شىء من هذا الباب، وأعط الأدب حقه فيما يخطر بقلبك، واعتصم بالله (فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) وعليك بالتقوى فى ثلاث منازل : تقوى العزائم. وتقوى الاقتضاء. وتقوى التحويل فى الأحوال والأماكن. والتوكل رأس الأعمال. والزهد أساسها. وتفسير التقوى في العزائم أن تعزم فى جانب الخير أن تفعله، وفى جانب الشر أن لا تفعله. ثم تقتضى من نفسك فى وقت ثان بتقوى مجدد أن تفعل كما عزمت، وأن تترك كما عزمت، ثم يعترضك فى الأحوال الظاهرة والباطنة أحوال : كالعز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض والبؤس والنعماء، وغير ذلك. وانظر قوله

تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا - ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا - ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) فانفذ بالفهم وأنزل كل تقوى منزلها ترى العجائب وأسرار الله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ومن يزهد في الدنيا يحبه الله، ومن أحبه الله كفاه الله وكلأه الله، وجعله في حرزه وفي مأمن منه وفي وكالته وفي معاقله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) نفسا واحدا أو نفسين أو زمانا أو زمانين أو ساعة أو ساعتين (نقيض له شيطانا فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون).

وقال رحمه الله : كل نفسك وزنها بالصلاة وإقبال الناس عليك وإعراضهم عنك وبالفقد والوجد في الأحوال الظاهرة والباطنة، فإن خطر بالبال شيء تسكن إليه أو تفرح به أو تحزن عليه أو تهتم له أو من أجله، فذلك عيب يسقطك من الولاية الكبرى والصديقية العظمى، وعساك أن تختص بالولاية الصغرى في درجات الإيمان ومزيد العمل، ولن تعدم فيها الوساوس والخواطر لأنك بعد في سماء الدنيا وقريب من الشيطان والهوى، يسترقون ويلقون ويقولون، فإن أيدت بنجوم العلم وكواكب اليقين ودوام الحفظ، فقد تمت ولايتك في هذا الباب، وإلا فكنت مشاغرا فتارة لك وتارة عليك على حسب ذلك، ولك أجر المشاهدين في سبيل الله والسلام.

وقال رحمه الله : من أجل مواهب الله الرضا بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، وتوكل على الله عند الشدائد، والرجوع إليه عند النوائب، فمن خرجت له هذه الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السُّنة والاقتداء بالأئمة، فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ومن خرجت له هذه من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له بقوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) ففرق بين الولايتين، فعبد يتولى الله وعبد يتولاه الله فهما ولايتان صغرى وكبرى، فولايتك لله خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله خرجت

من متابعة سنته، وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالأئمة، فافهم ذلك من قوله (ومن يتول الله ورسوله) الآية.

وقال رحمه الله : يبلغ الولى مبلغا يقال له أصحبناك السلامة، وأسقطنا عنك الملامة، فافعل ما شئت.

فصل فى المحبة

قال رحمه الله حاكيا عن أستاذه رضى الله عنه : الزم الطهارة من الشرك كلما أحدثت تطهرت (لا تشرك بالله شيئا) ومن دنس حب الدنيا كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدرت، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو، كلما أفقت أو تيقظت شربت، حتى يكون سكرك وصحوك به، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشرب والشراب والكأس، بما يبدو لك من نور جماله وقدس كماله وجلاله ولعل أحدا ممن لا يعرف المحبة ولا الشرب ولا الشراب ولا الكأس ولا الصحو ولا السكر، قال له القائل : أجل، وكم من غريق فى الشىء لا يعرف بغرقه فتعرفنى وتنبهنى عما أجهل، أو لما مَنَّ به على وأنا عنه غافل. قلت لك نعم المحبة، أخذت من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله، وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأفعال بالأفعال، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل، والشرب سقيا القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتى تسكر، ويكون الشراب بالتدريب بعد التذويب والتهذيب، فسقى كل على قدره. فمنهم من يسقى بغير واسطة، والله سبحانه وتعالى يتولى ذلك منه له. ومنهم من يسقى من جهة الوسائط بالوسائل كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين. فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئا، فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشراب وبعد بالرى، وبعد بالسكر، وبعد بالمشروب. ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى، كما

السكر أيضا كذلك، والكأس معرفة الحق، يفترق بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه، فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، وتارة يشهدها معنوية، وتارة يشهدها علمية، فالصورة حظ الأبدان والأنفس، والمعنوية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار، فياله من شراب ما أعذبه، فطوبى لمن شرب منه ودام ولم يقطع عنه، فاسأل الله من فضله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وقد يجمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة، وقد يسقون من كؤوس كثيرة، وقد يسقى الواحد بكأس وبكؤوس، وقد تختلف الأشربة بعدد الكؤوس، وقد يختلف الشرب من كأس وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة.

وسئل رحمه الله عن المحبة؟ فقال : المحبة أخذت من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه، فترى النفس مائلة لطاعته، والعقل متحصنا بمعرفته، والروح مأخوذة فى حضرته، والسر مغمورا فى مشاهدته، والعبد يستزيد فيزاد، ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة، ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم، فمن أجل ذلك قالوا أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون، قال له القائل : قد علمت الحب، فما شراب الحب، وما كأس الحب، وما الساقى، وما الذوق، وما الشراب، وما الرى وما السكر، وما الصحو؟ قال له : أجل، الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب، والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب، والساقى هو المتولى للمخصوص الأكبر والصالحين من عباده، وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه، فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشيء منه نفسا أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق، ومن دام له ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا، ومن تولى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذلك هو الرى، وربما غاب عن المحسوس والمعقول، فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول، فذلك هو السكر، وقد تدور عليهم

الكاسات، وتختلف لديهم الحالات، ويردون إلى الذكر والطاعات، ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم، وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم (أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون).

وقال رحمه الله : من أحب الله وأحبه فقد تمت ولايته، والمحب في الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة غير مشيئته، فإذا من ثبتت ولايته من الله له لا يكره لقاءه. ويعلم ذلك من قوله تعالى : (إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنَّوُا الموت إن كنتم صادقين) فإذا الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئا لهواه، وأحب لقاه من ذاق أنس مولاه، ويتمخض لك الحب له في عشرة، فاعتبرها فيما وراءها في الرسول ﷺ والصديق والفاروق والصحابة والتابعين، والأولياء والعلماء الهداة إلى الله تعالى والشهداء والصالحين والمؤمنين، فإذا افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء، إلى السنة والبدعة والضلالة، والطاعة والمعصية، والعدل والجور، والحق والباطل، ميزت وأحببت وأبغضت، فأحب له، وأبغض له، ولست تبالي بأيهما جميعا، فإذا قد بان لك الحب لله في العشرة الأول، فانظر هل ترى للهوى هناك أثرا؟ فكذلك فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين، والمشايخ الصالحين، والعلماء المهتدين، وسائر ما حضر ومن حضر كمالا متعلق له بمن غاب أو مات، فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله وإن وجدت شيئا يتعلق به فيما تحب أو فيمن تحب فارجع إلى العلم وأتقن النظر في الأقسام الخمسة من الواجب والمندوب إليه والمكروه والمحظور والمباح.

وقال رضي الله عنه : المحبة سر في القلب من المحبوب، إذا ثبت قطعك عن كل مصحوب.

وقال رحمه الله : حرام عليك أن تتصل بالمحبوب ، ويبقى لك فى العالمين مصحوب . وقال رحمه الله : إذا منعك مما تحب ، وردك إلى ما يحب ، فهى علامة صحبته لك .

فصل فى المعرفة

قال رحمه الله : المعرفة ما قطعتك من غير الله وردتك إلى الله .

وقال رحمه الله : خصلتان يسهلان الطريق إلى الله : المعرفة والمحبة «حبك الشيء يعمى ويصم» .

وقال رحمه الله : اعرف الله ثم استرزقه من حيث شئت ، غير مكب على حرام ولا راغب في حلال ، وانصح لله فى عباده ، ولا تخنه فى أمانته ، واعبد الله باليقين تكن إماما من أئمة الدين ، وانتقل عن علم الجهالة إلي علم الخاصة تكن من الوارثين ، ولك أسوة فى المرسلين ، ومتحقق فى النبيين . ومن نسب أو أضاف أو أحب أو أبغض أو تحبب أو تقرب أو خاف أو رجا أو سكت أو أمن لشيء أو بشيء غير الله ، أو تعدى حداً من حدود الله فهو ظالم والظالم لا يكون إماما . قال الله تعالى : (إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) ومن صدق الله فى نفسه فهو إمام قَلَّتْ روايته أو كثرت ، ومن كان إماما فلا يضر أن يكون أمة واحدة وإن قلت أتباعه .

وقال رحمه الله : كيف يعرف بالمعارف ، من به عرفت المعارف ؟ أم كيف يشبه من سبق وجوده وجود كل شيء .

وقال رحمه الله في قول بعضهم : حقيقة المعرفة الغنى بالله عن جميع الأنام فإن قيل : وكيف وقد أحوج الله نبيه إلى عدوه ، فنقول : إذ ذاك انظر إلى غناك عن السماوات والأرض مع الحاجة إليهما ، وكل من يحتاج إليه قطعه عنهما فالذى رفع السماء أن تقع عليك ومنع الأرض أن تبتلعك هو الذى دفع ضرر القطيعة عنك وأوصل النفع منها إليك ، والله أحوجك إليه فى كل شيء حتى يغنيك به عن كل شيء ، وهو معنى قوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك

اليقين) وهو العيان، فيغنيك به عن البرهان، ويمحق عنك الغفلة والنسيان (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون)، فقلت: فكيف أعبدك في كل شيء؟ فقال لتعطى التسليم حقه من غير حرج والثناء حقه من غير عوج، والاستهداء حقه من غير كدر، وهو معنى قوله تعالى: (ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فالتسليم حق الأبدان، والثناء حق اللسان، والاستهداء به حق الجنان (وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون).

وقال رحمه الله: حقيقة المعرفة استغناء العارف بوصف معروفه عن كل شيء سواه، وهو محل الغنى بالله عن كل شيء دون مولاه.

وقال رحمه الله: كنت مريضا بالقيروان فرأيت النبي ﷺ فقال لي طهر ثيابك من الدنس، تحفظ بمدد الله من كل نفس، فقلت: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال: إن الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة الإيمان ثم حلة التوحيد ثم حلة الإسلام، فمن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا، ومن آمن بالله أمن من كل شيء ومن أسلم لله قلّ ما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه قبل عذره. قال: ففهمت من ذلك معنى قوله: (وثيابك فطهر).

وقال رحمه الله: كنت في مغارة فقلت: إلهي متى أكون لك عبدا شاكرا فسمعت النداء من جوف المغارة: إذا لم تر في الوجود منعما عليك غيره فأنت إذاً شاكر، فقلت النبي والعالم أكبر مني نعمة، فقال لي النبي والعالم نعمة من الله عليك، فهو بلغك عن الله الشرائع، والملك به صلحت الدنيا واستقامت لك عبادتك، فالكل نعمة من الله عليك.

فصل في البصيرة

قال رحمه الله: تأديب وتعليم لمن له البصيرة في دين الله يقول: إنما هما شيئان: شيء قسمته لك وشيء صرفته عنك، فمن اشتغل بهما أو بواحدة

منهما فقد قلَّ فهمه وعظم جهله، وذهل عقله، واتسعت غفلته، وقل ما يتنبه لمن يوقظه، فإن جاءك محبوب بالشرع أو بالطبع أو بهما أو جئته أنت فهو من القسم الأول، فكن بى وليا فيما قسمته لك أكن لك بالرحمة فيما صرفته عنك، وفيما يساق من المكروه إليك؟ فأشغلك بما هو أولى بك عما هو مصروف عنك، وأذيقك حلاوة الرضا بقضائي حتى يكون المكروه أحب إليك من كل محبوب بالطبع هو لك، وإن لم تكن بى ولا لى فيما قسمته لك وكلتك إلى نفسك فيما هو مصروف عنك وفيما يساق من المكروه إليك، وإن الله ليعجب من عبد يجتهد فى صرف ما هو مصروف عنه وفى دفع ما لابد له منه، فاعمل لله باليقين، وأثبت الأمر حيث أثبته والنهى حيث أثبته. وائتم بالأمر حيث أمرك وانته عن النهى حيث نهاك على البصيرة فى اليقين (ولا تكن من الغافلين).

وقال رحمه الله: إذا أردت أن تنظر إلى الله ببصيرة الإيمان والإيقان دائما فكن لنعم الله شاكرا، وبقضائه راضيا (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) فإن أردت النيابة عنك أو منك فاعبد الله على المحبة لا على المتاجرة، وعلى المعرفة بالتعظيم والصيانة.

وقال رحمه الله: البصيرة كالبصر أدنى شيء يقع فيه تعطل النظر وإن لم ينته الأمر به إلى العمى، فالخطرة من الشر تشوش النظر وتكدر الفكر، والإرادة له تذهب الخير رأسا، والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام فيما هو فيه ويأتى بضده، فإن استمر على الشر تفلت منه الإسلام سهما سهما، فإذا انتهى إلى الوقيعة فى الأئمة وموالاة الظلمة حبا فى الحياة والمنزلة وحبا للدنيا على الآخرة فقد تفلت منه الإسلام كله، ولا يغرنك ما توسم به ظاهرا فإنه لا روح له، وروح الإسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده.

وقال رحمه الله: أركز الأشياء فى الصفات ركزها قبل وجودها، ثم انظر هل ترى للعين أو ترى للكون كان، أو ترى للأمر شان؟ وكذلك بعد وجودها.

وقال رحمه الله : عمى البصيرة فى ثلاثة أشياء : إرسال الجوارح فى معاصى الله ، والتصنع بطاعة الله ، والطمع فى خلق الله ، فمن ادعى البصيرة مع واحدة من هذه فقلبه هدف لظنون النفس ووساوس الشيطان.

فصل فى التصوف

قال رحمه الله : التصوف تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية.

وقال رحمه الله : للصوفى أربع صفات : التخلق بأخلاق الله ، وحسن المجاورة لأوامر الله ، وترك الانتصار للنفس حياء من الله ، وملازمة البساط بصدق الفناء مع الله.

فصل فى الحقائق

قال رحمه الله : الحقائق هى المعانى القائمة بالقلوب ، وما اتضح لها وانكشف لها من الغيوب ، وهى منح من الله ، وكرامات بها وصلوا إلى البر والطاعات ، ودليلها قول النبى ﷺ «كيف أصبحت ؟ قال أصبحت مؤمنا حقا» الحديث.

وقال رحمه الله : يستقر فى قلبك أنه لا ضار ولا نافع إلا الله ، ولا معطى ولا مانع إلا الله ثم لا تضطرب ولا تسكن ولا تنسب إلى الخلق شيئا ولو قرضت بالمقاريض ونشرت بالمناشير ، أكتبك صديقا عزيزا ، فقلت : فكيف لى بما تثيب عليه وما تعاقب عليه؟ فقال لى : أثبت ما أثبت من الثواب والعقاب وأفعال العباد ، ولا يضرك الإثبات لما أثبت ، وإنما يضرك الإثبات بهم ومنهم.

وقال رحمه الله : أثبت لى ما هو حق لى أثبت لك ما هو حق لك ثم آخذك عما هو حق لك وأبقيك بما هو حق لى ، وقل : يا موجود قبل كل موجود ، وهو الآن على ما هو عليه موجود ، يا سميع يا قريب يا مجيب ، يا على يا عظيم ، يا حليم يا عليم ، يا سميع يا بصير ، يا مريد يا قدير ، يا الله يا حى يا قيوم ،

يا رحمن يا رحيم، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، يا متكبر يا غفور يا غفار، يا تواب يا رحيم يا غنى يا كريم، يا واسع يا عليم، ياذا الفضل العظيم.

وقال رضى الله عنه: إن رضائى منى وإلىّ من اسمى لا من اسمك إليك، قال: وكيف ذلك؟ قال: سبقت أسمائى عطائى، وأسمائى من صفاتى، وصفاتى قائمة بذاتى، ولا يتحقق ذاتى غير ذاتى. وللعبد أسماء دنية وأسماء علية، فأسماؤه العلية قد وصفه الله بها بقوله : (التائبون العابدون) إلى آخرها، وبقوله : (إن المسلمين والمسلمات) إلى آخرها ،وأسماؤه الدنية معروفة كالعاصى والمذنب والفاسق والظالم . وغير ذلك، فكما يمحق أسماءه الدنية بأسمائه العلية، كذلك تمحق أسماءك بأسمائه وصفاتك بصفاته، لأن الحادث إذا قورن بالقديم فلا بقاء له، فإذا ناديته باسمه كقولك يا غفور يا تواب يا قريب يا وهاب فاستدعيت بها العطاء لنفسك، فقد تنزلت من أسمائه إلى نفسك، وكذلك إذا لاحظت أسماءك الدنية من المعاصى والظلم والفسوق فسألت سترها وغفرها، فأنت باق مع نفسك فإذا ناديته باسمه ولاحظت صفته العلية قائمة بذاته محقت أسماءك كلها، وإن عدم وجودك قصرت محوا لا وجود لك البتة، فذلك محل البقاء، والفناء، والبقاء بعد الفناء (يؤتيه من يشاء والله واسع عليم).

وقال رحمه الله: حق التوكل صرف القلب عن كل شىء سوى الله، وحقيقته نسيان كل شىء سواه، وأمره وجود الحق دون كل شىء بلقاه، وسر سره ملك وتمليك لما يحبه ويرضاه.

وقال رحمه الله: حقيقة الزهد فراغ القلب مما سوى الرب. وقال رحمه الله: حقيقة الخشوع ذبول القلب بين يدى الرب. وقال رحمه الله: حقيقة السجود إذعان القلب تحت أحكام الرب. وقال رحمه الله: حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله فى كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها.

وقال رحمه الله : حقيقة الهجران نسيان المهجور. وقال رحمه الله : حقيقة الهمة تعلق القلب بالشيء المهتم به، وكمالها اتصال القلب بالكلية، بالانفصال عن كل شيء سواه.

وقال رحمه الله : حقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب العظيم القرب.

وقال رحمه الله : حقيقة المزيد فقدان المزيد لعظيم المزيد. وقال رحمه الله : الاستقامة وجود الإقامة على بساط المشاهدة.

فصل في السماع

قال رحمه الله : سألت أستاذي رحمه الله عن السماع، فأجابني بقوله تعالى : (إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يُهرعون).

وقال رحمه الله : رأيت في النوم كأن بين يدي كتاب الفقيه ابن عبد السلام وأوراق فيها شعر من جزء، وإذا بأستاذي رحمه الله واقف، فتناول كتاب الفقيه بيمينه والأوراق بشماله، فقال لي كالمستهزئ أتعدلون عن العلوم الزكية؟ وأشار بيده إلى أوراق الشعر، ثم رماه في الأرض وقال لي: من أكثر من هذه فهو عبد مرقوق لهواه، وأسير لشهوته ومناه، ويسترقون بها القلوب بالغفلة والنسيان، ولا إرادة لهم في عمل الخير واكتساب العرفان، يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود، ولم يحظ أحد منهم بما حظي أهل الشهود، لئن لم ينته الظالم ليقلبن الله أرضه سماء وسماءه أرضا.

قال رحمه الله : فأخذني حال بوجد وبكاء وأنا أقول ألا إن النفس أرضية والروح سماوية، فقال بلى إذا كانت الروح بأمطار العلوم دارة، والنفس بالأعمال الصالحات نباته فقد ثبت الخير كله. وإذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد حصل القحط والجدب، وانقلب الأمر، وجاء الشر كله، فعليك بكلام الله الهادي وبكلام رسوله الشافي، فلن تزال بخير ما آثرتهما وقد

أصاب الشر من عدل عنهما، وأهل الحق (إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا).

فصل فى الصحبة

قال رحمه الله: لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه لا يدوم، واصحب من إذا ذكر ذكر الله فالله يتوب عنه إذا فقد ويغنى به إذا شهد ذكره نور القلب، وشهوده مفتاح الغيوب، وليكن قصدك الله وحب الموت مع كل قوم، ولا تطول أملك ولا تصحب من هو بغير هذا الوصف، وإن صحبته فلا تعول عليه، وارفضه بأول قدم، وعامله بالمعروف مدة الصحبة معك.

وقال رحمه الله: الصحبة مع الله برفض الشهوات والمشيئات، ولن يصل العبد إلى الله تعالى ويبقى معه شهوة من شهواته ولا مشيئة من مشيئاته.

فصل فى العاقل

قال رحمه الله: العاقل من عقل عن الله ما أراد به ومنه شرعا. والذى يريد الله بالعبد أربعة أشياء: إما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية، فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضى منك الشكر شرعا، وإذا كنت بالبلية فالله يقتضى منك الصبر شرعا، وإذا أراد الله منك الطاعة فالله يقتضى منك شهود المنة ورؤية التوفيق منه شرعا. وإذا أراد الله بك معصية فالله يقتضى منك التوبة والإنابة شرعا. فمن عقل هذه الأربعة عن الله وكان قريبا بما أحبه الله منه شرعا فهو عبد على الحقيقة، بدليل قوله ﷺ: «من أعطى فشكر، وابتلى فصبر، وظَلم فاستغفر، وظُلم فغفر، ثم سكت قالوا ماله يا رسول الله؟ قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

وقال رحمه الله: العاقل من عقل عن الله آياته، وشغله بالفكر والذكر فى آلائه وفتح له السبيل باللجأ والافتقار إليه والدعاء والسؤال منه والاعتصام به

فاستجاب لله، واستجاب الله منه، فليس يعلم أحد ما يريد الله أن يعطيه (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) إلى آخرها.

وقال رحمه الله: العاقل عن الله من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية عليه من الله، وعرف إساءة نفسه في إحسان الله إليه (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون).

فصل في التدبير

قال رحمه الله: من انقطع عن تدبيره إلى تدبير الله، وعن اختياره إلى اختيار الله وعن نظره إلى نظر الله، وعن مصالحه إلى علم الله لملازمة التسليم والرضا، والتفويض والتوكل على الله، فقد آتاه الله حسن اللب وعليه يترتب الذكر والفكر وما وراء ذلك من الخصائص.

وقال رحمه الله لبعض أصحابه: رأيتك تكابد نفسك وتجاذب أمرك في مجاهدة نفسك، فقلت لك يا لكع ابن لكع أعنى بذلك نفسي في الأبوة وأعنيك في البنوة، محقك التدبير حتى في اللقمة تأكلها وفي الشربة تشربها وفي الكلمة تقولها أو تتركها. أين أنت من المدبر العليم السميع البصير، الحكيم الخبير، جل جلاله وتقدست أسماؤه؟ أن يشاركه غيره، إن أردت أمرا تفعله أو أمر تتركه فاهرب إلى الله من ذلك هروبك من النار، ولا تستثن في شيء، واضرع إلى الله، وعود نفسك ذلك، فإن ربك يخلق ما يشاء ويختار ولن يثبت لذلك إلا صديق أو ولي، فالصديق من له الحكم، والولي من لا حكم له فالصديق بحكم الله والولي يفنى عن كل شيء بالله، والعلماء يدبرون ويختارون وينظرون ويقيسون، وهم مع عقولهم وأوصافهم دائمون، والشهداء يكابدون ويجاهدون، ويقاتلون فيَقتلون ويُقتلون، ويحيون ويموتون، وقد ثبت لهم الرب معنى وإن لم يثبت لهم حسا وجسما. وأما الصالحون فأجسادهم مقدسة وفي أسرارهم الكزازة والمنازعة، ولا يصلح شرح حالهم إلا لصديق في ابتداء أمره أو ولي في نهايته، فحسبك ما ظهر من صلاحهم واكتف عن شرح

ما بطن من حالهم، وإذا أردت أمراً تفعله أو أمر تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك، واستصرخ بالله وعود نفسك ذلك، وقل: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن أسألك بحق أسمائي بأسمائك وصفاتي بصفاتك وتدبيري بتدبيرك واختياري باختيارك، وكن لي بما كنت به لأوليائك (وأدخلني) في الأمور (مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) واحذر من سوء الظن بالله (فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).

وقال رحمه الله: رأيت كأني جالس مع رجل من أصحابي بين يدي أستاذي رحمه الله فقال: احفظ عني أربعة فصول: ثلاثة منها لك. وواحدة منها لهذا المسكين: لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار، ومن فرارك من كل شيء إلى الله (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء ولابد لك منه واسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهامي، وهو أرض العلم الحقيقية المأخوذة عن الله لمن استوى، فافهم واقرأ (وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم * وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون). وعليك بالزهد في الدنيا والتوكل على الله، فإن الزهد أصل في الأعمال، والتوكل رأس في الأحوال، واشهد بالله واعتصم به في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) وإياك والشك والشرك والطمع والاعتراض على الله في شيء، واعبد الله على القرب الأعظم تحظ بالمحبة والاصطفائية، والتخصيص والتولية من الله (والله ولي المتقين) ثم قال: والذي قطع نفس هذا المسكين عن الوصلة بطاعته، وحجب قلبه عن شواهد توحيده أمران، دخوله في عمل دنياه بتدبيره، وفي عمل أخراه على الريب في مواهب محبوبه، فعاقبه الله بالحجاب، وترادف الارتياب، ونسيان الحساب، وغرق في بحر التدبير والتقدير، ودلى فيه بورع التكدير، (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) فارجعوا إلى الله في أوائل التدبير والتقدير، تحظوا منه بمدد التيسير، ويحال بينكم وبين التعسير، وكل ورع

لا يثمر لك العلم والنور فلا تعد له أجرا وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله فلا تعد لها وزرا، ثم قال: خذ رزقك من حيث أثر لك الله باستعمال العلم ومتابعة السنة، ولا ترق قبل أن يرقى بك فتزل قدمك.

وقال رضي الله عنه: هممت مرة أن أختار القلة من الدنيا على الكثرة ثم أمسكت وخشيت سوء الأدب، فلجأت إلى ربي ورأيت في النوم كأن سليمان عليه السلام على سرير جالس وحوله عساكر ورفع لي عن قدوره وجفانه، فرأيت أمرا كما وصفه الله بقوله: (وجفان كالجواب وقدور راسيات) فنوديت لا تختر مع الله شيئا وإن اخترت فاختر العبودية لله اقتداء برسول الله ﷺ حيث قال: (عبدا شكورا) رسولا، وإن كان ولابد فاختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار إلى اختيار الله، فانتبهت من نومي فرأيت بعدها قائلا يقول لي: إن الله اختار لك أن تقول: اللهم وسع على رزقي من دنياي ولا تحجبني بها عن أخراي، واجعل مقامي عندك دائما بين يديك، وناظرا منك إليك، وأرني وجهك ووارني عن الرؤية وعن كل شيء دونك وارفع البين فيما بيني وبينك، يا من (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم).

قال رحمه الله: أشقى الناس من يعترض على مولاه، وأركس في تدبير دنياه، ونسي المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه.

فصل في جهاد النفس

قال رحمه الله مراكز النفس أربع: مركز للشهوة في المخالفات، ومركز للشهوة في الطاعات، ومركز في الميل إلى الراحات، ومركز في العجز عن أداء المفروضات (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد).

وقال رحمه الله: رأس النفس إرادتها، ويداها علمها، وعقلها ورجلاها تدبيرها واختيارها.

وقال رحمه الله : موت النفس بالعلم والمعرفة والاقتداء بالكتاب والسنة .

وقال رحمه الله : إن من أعظم القربات عند الله مفارقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها ، وإن من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد وطالب نفسك بإكرامك لهم ، ولا تطلابهم بإكرامهم لك (لا تكلف إلا نفسك) .

وقال رحمه الله : ليس شىء أشد ولا أشقى فى العمل بالطاعة والذكر والتلاوة ومن ضبط النفس ، وحضور القلب ، وفهم المعانى ، وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله عز وجل وهو موضع الإخلاص ، والعزيمة على العمل بما به يرجى ، وهو موضع الصدق ونهوض السر عن الدنيا وعن كل شىء سوى الله ، وهو موضع النية .

وقال رحمه الله يحكى عن أستاذه رحمه الله أنه قال : الأنفس ثلاثة : نفس لم يقع عليها البيع لحريتها ، ونفس وقع عليها البيع لشرفيتها ، ونفس لم يقع عليها لخستها فالتى لم يقع عليها البيع لحريتها أنفس الأنبياء ، والتى وقع عليها البيع لشرفيتها أنفس المؤمنين ، والتى لم يقع عليها البيع لخستها أنفس الكفار . وقال : قلت للأستاذ : فإن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد تقدم منهما الشرك ، قال هما على الحرية ، وإنما هما كمن أسر وهما أحرار .

وقال رحمه الله : قد أيست من منفعة نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من منفعة غيرى لنفسى ، ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى .

وقال رحمه الله : انتزع من محادثة النفس وإرادة الشيطان وطاعة الهوى وحركة الزمنى تكن صالحاً ، واتق الله فى الخطوة والهمة والفكرة وحركة السر تكن صديقا ، وإن تكرر عليك شىء من ذلك فاهجر الأسباب والأوطان والإخوان ومواقع الفتن تكن مهاجرا ، وإن واقعت شيئا من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستغث به تكن مؤمنا ، واتخذ الطهارة والصوم والصلاة

والصبر والذكر وتلاوة القرآن والتبرى من الحول والقوة سلاحا تكن سالما، وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنا، وإن دخل عليك فسلم الأمر، وعليك بالتوحيد والإيمان والمعرفة والمحبة لله وغرق الدنيا فى بحر التوحيد قبل أن تغرقك.

وقال رضى الله عنه: سألت أستاذى رحمه الله عن قول النبى ﷺ «المؤمن لا يذل نفسه» فقال لى لهواه.

وقال رحمه الله: يوصف بالبخل والذم من منع لأجل شىء من هذه الأوصاف: خوف الفقر، وسوء الظن، والاحتقار لحرمة المؤمنين، وإيثار النفس والهوى.

وقال رحمه الله: أرحم الناس بالناس عبد يرحم من لا يرحم نفسه.

وقال رضى الله عنه: هل تدرى ما علاج من انقطع عن المعاملات، ولم يتحقق بحقائق المشاهدات؟ علاجه أربع: طرح النفس على الله طرحا لا يصحبه الحول والقوة، والتسليم لأمر الله تسليما لا يصحبه الاختيار مع الله، هذان علاجان باطنان. وفى الظاهر ذم الجوارح عن المخالفات، والقيام بحقوق الواجبات، ثم يقعد على بساط الذكر بالانقطاع إلى الله عن كل شىء سواه بقوله تعالى: (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) وقال رضى الله عنه: من طلب الحمد من الناس بترك الأخذ من الناس فإنما يعبد نفسه والناس.

فصل فى الذنب

قال رحمه الله: من أراد أن لا يضره ذنب فليقل: أعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك، وأعوذ بك من عاجل العذاب، ومن سوء الحساب، فإنك لسريع العقاب، وإنك لغفور رحيم «رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا فاغفر لى وتب على» (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

وقال رحمه الله: إذا أردت أن لا يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم،

لا إله إلا الله. اللهم ثبت علمها فى قلبى، واغفر لى ذنبى، واغفر للمؤمنين والمؤمنات وقل: الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

فصل فى الدنيا

قال رحمه الله فى قول بعضهم: أف لاشتغال الدنيا إذا أقبلت، وأف لحسراتها إذا أدبرت فالعاقل لا يركن إلى شىء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة. قال له القائل: قد طلبوا وأخذوا.

قال رحمه الله : من أخذ شيئا من الدنيا حلالا بشرط الأدب سلم قلبه من التكدير ومن نار الحجب.

والأدب نوعان: أدب السنة وأدب المعرفة. فأدب السنة الأخذ بالعلم على سبيل القصد، وحسن النية لله. وأدب المعرفة مصحوب بالإذن والأمر والقول والإشارة الثابتة من الله تعالى، فالإشارة تفهيم من الله لعبده عن نور جماله وجلاله.

وقال رحمه الله: إلهى إن الدنيا حقيرة حقير ما فيها إلا ذكر الله، وإن الآخرة كريمة كريم ما فيها وأنت الذى حقرت الحقير وكرمت الكريم، فأين يكون كريما من طلب غيرك، أم كيف يكون زاهدا من اختار الدنيا معك، فحققنى بحقائق الزهد حتى أستغنى عن طلب غيرك، وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلبك.

إلهى كيف يصل إليك من طلبك أم كيف يفوتك من هرب منك، فاطلبنى برحمتك ولا تطلبنى بنقمتك يا رحيم يا منتقم (إنك على كل شىء قدير).

وقال رحمه الله: لا كبيرة عندنا إلا فى اثنين حب الدنيا بالإيثار، والمقام على الجهل بالرضا، لأن حب الدنيا رأس كل كبيرة، والمقام على الجهل أصل كل معصية.

وقال رحمه الله : لأن يغنيك الله عن الدنيا خير من أن يغنيك بها، فو الله ما استغنى بها أحد قط، وكيف يستغنى بها بعد قوله (قل متاع الدنيا قليل).

وقال رحمه الله: دخل على شخص وأنا بالمغرب فى مغارة فقال لى إن عندك الكيمياء فعلمنى، فقلت له أعلمها لك ولا أغادرك منها حرفا إن كنت قابلا وما أراك قابلا، فقال لى أى والله أقبل، فقلت له أسقط الخلق من قلبك، واقطع الطمع من ربك، أن يعطيك غير ما سبق لك، فقال لى: ما أطيق هذا، فقلت له: ألم أقل لك أنك لا تقبل وانصرف.

وقال رحمه الله: أربعة أشياء كن بها وادخل متى شئت لا تتخذ من الكافرين وليا، ولا من المؤمنين عدوا، وارتحل بقلبك عن الدنيا، وعد نفسك فى الموتى، واشهد لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة، وحسبك عملا. وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر كله، وبالكليات المتفرعة عن كلمته (لا نفرق بين أحد من رسله) ونقول كما قالوا: (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) من كان بهذه الأربعة ضمن الله له أربعة فى الدنيا، وأربعة فى الآخرة: الصدق فى القول، والإخلاص فى العمل، والرزق كالمطر، والوقاية من الشر، هذه فى الدنيا. وفى الآخرة: المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى، واللحوق بالدرجة العليا، ثم أربعة فى الدين: الدخول على الله، والمجالسة معه، والسلام من الله، ورضوان من الله أكبر. فإن أردت الصدق فى القول فأعن على نفسك بقراءة (قل هو الله أحد)، وإن أردت السعة فى الرزق ، فأعن نفسك بقراءة (قل أعوذ برب الناس).

وقال رحمه الله رأيت رسول الله ﷺ يقول: أربع ليس معهن من الفقه لا قليل ولا كثير. حب الدنيا، ونسيان الآخرة، وخوف الفقر والناس.

وقال رحمه الله: أخس الناس منزلة من بخل بالدنيا على من لا يستحقها فكيف بمن بخل بها على مستحقيها.

وقال رحمه الله: رأيت كأني في المحل الأعلى، فقلت إلهى أى الأحوال أحب إليك، وأى الأقوال أصدق لديك؟ وأى الأعمال أدل على محبتك؟ فوفقنى واهدنى، فقيل لى: أحب الأحوال إلى الله تعالى الرضا بالمشاهدة، وأصدق الأقول لدى قول لا إله إلا الله على النظافة، وأدل الأعمال على محبتى بغض الدنيا، واليأس من أهلها مع الموافقة.

وقال رحمه الله: انتزع عن حب الدنيا بالإيثار، وعن المعصية بترك الاصرار، ودوام على مسألة الرحمة اللدنية، واستعن بها على الفعلية، ولا تعلق قلبك بشىء تكن من الراسخين فى العلم الذين لا يغيب عنهم سر ولا علم، فإن خطر بقلبك خطرات المعصية والدنيا فألقها تحت قدميك حقارة وزهدا واملأ قلبك علما ورشدا، ولا تسوف فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها، ثم لابد من معانقتها إما بالهمة والفكر أو بالإرادة والحركة، فعند ذلك يتحير اللب ويكون العبد (كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى) ولا هدى إلا لمن اتقى، ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا، ولا يعرض عن الدنيا إلا من هانت عليه نفسه، ولا تهون النفس إلا عند من عرفها، ولا يعرفها إلا من عرف الله، ولا يعرف الله إلا من أحبه، ولا يحب الله إلا من اصطفاه الله واجتباه، وحال بينه وبين نفسه وهواه، وقل: يا الله يا قدير يا مريد، يا عزيز يا حكيم ياحميد، يا رب يا ملك يا موجود، يا هادى يا منعم (هب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وأنعم على عبدك بنعمة الدين وبنعمة الهداية (إلى صراط مستقيم * صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) بحرمة هذا الاسم الأعظم آمين.

وقال رحمه الله: إذا توجهت إلى شىء من عمل الدنيا والآخرة فقل: يا قوى يا عزيز يا قدير يا سميع يا بصير.

وقال رحمه الله: إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل (حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون).

وقال رحمه الله: أيها الحريص في سبيل نجاته الفائق إلى حضرة حياته اجتنب الاستكثار مما أباحه الله لك، ودع ما لا يدخل تحت علمك مما أحله الله لك وبادر إلى فرائضك، واترك ما اشتغل الناس به شغلا بمراعاة سرك، ففي ترك الاستكثار الزهد، وفي ترك ما لا يدخل تحت علمك الورع بقوله عليه الصلاة والسلام «البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس بغير ذلك» فافهم. وفي الاشتغال بمراعاة السر الإشراف على حقائق الإيمان، فإن كنت تاجرا كيسا فدع ما تريد لما يريد، بشرط الرضا بجميع أحكامه (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) «الدنيا حرامها عقاب، وحلالها حساب» حسب الحديث، والدنيا التي لا حساب عليها في الآجل، ولا حجاب معها في العاجل، هي التي لا إرادة لصاحبها فيها قبل وجودها، ولا معها لها مع وجودها، ولا أسف عليها عند فقدها والحر الكريم من يأخذها منه على المواجهة لا أثر للأغيار على قلبه.

وقال رحمه الله: رأيت الصديق رضي الله عنه في النوم فقال لي هل تدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب، فقلت ما هو؟ قال: تركها عند الوجد ووجدان الراحة منها عند الفقد.

فصل في الدين

وقال رحمه الله: إذا تداينت فتداين على الله، وإن تداينت على الله فعلى الله أداؤه وحمل عنك أثقاله، وإن تداينت على نفسك أو على معلوم هو لك ثقل عليك أداؤه، وربما سوفت أو ضيعت، أو ماطلت أو هونت، أو قدمت أو أخرت، أو ظلمت أو كدرت فخسرت وما ربحت، فقلت وكيف أتداين على الله؟ فقال بقطع النفس على الجهات، وانتزع القلب عن العادات وتعلقه بمن ملك الأرض والسموات، وقل اللهم عليك تداينت، وباسمك الذي حملتني به حملت، وعلى الله توكلت، وإليه أمري فوضت، فأعوذ بك من الدخول في

كوى الجهل والنفس، وفي العادات والنتن والدنس والرجس، فإن عارضك عارض من معلوم هو لك فاهرب إلى الله من هروبك من النار خوفا أن يصيبك، وقل أعوذ بك من النار ومن عمل أهل النار، فأنقذني واغفر لي يا عزيز يا غفار، فهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة، فأعرب عن نفسك واحتسب أجرك على الله.

فصل في المصائب

قال رحمه الله: المغبون في الدنيا والآخرة من أصحاب مصائب الأجور بمصائب الثبور، من مساخط الله، والرضا عن الله ثوابه الرضا من الله، وإن ترض عن الله يرض الله عنك، وإن تسخط قضاء الله يسخط عليك «كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم - ذلك بأنهم قوم لا يعلمون».

وقال رحمه الله: حد السخط إرادة ما لم يرد الله بالحكم. وقال رحمه الله من آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع في الحكمة.

وقال رحمه الله: كل مصيبة يرجى ثوابها ولا يخاف عقابها فليست بمصيبة إنما المصيبة ما لا يرجى ثوابها ويخاف عقابها.

وقال رحمه الله: على كل مصيبة نزلت (إنا لله وإنا إليه راجعون) «اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها» قال إلى أن أقول واغفر لي سيئها وما كان من توابعها وما اتصل بها وما هو محشو فيها وكل شيء كان قبلها وما يكون بعدها، فقلتها فهانت علي، فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك الوقت وأصبت فيها لهانت علي، ولكان ما وجدت من برد الرضا والتسليم أحب إليّ من ذلك كله.

وقال رحمه الله: رأيت في النوم صائحا يصيح من جو السماء، وإنما تساق لرزقك أو لأجلك، أو لما يقضى الله به عليك، أو بك أو لك وهي خمسة لا سادس لها، فاتق الله أينما كنت، ولا تعدل بالتقوى شيئا، فإن العاقبة للمتقين

فالحق يحبهم ويحبونه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) أعوذ بالله من سوء القضاء، ومن جزع النفس عند ورود البلاء، ومن الفرح والحزن والهم والغم فى الشدة والرخاء.

وقال رحمه الله: سمعت قائلا يقول: ما صبر من أحسن، ولا سلم من تكلف، ولا رضى من سأل، ولا فوض من دبر، ولا توكل من دعا، وهى خمسة وما أحوجك إلى هذه الخمسة أن تموت عليها (قال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير) فزدنى من فضلك وإحسانك واجعلنى من الشاكرين لنعمائك.

وقال رحمه الله: كل شهوة تدعوك إلى الرغبة فى مثلها فهى عدة للشيطان وسلاحه، وكل شهوة تدعوك إلى الطاعة لله والرغبة فى سبيل الخيرات محمودة وكل حسنة لا تثمر نوراً وعلماً فى الوقت فلا تعد لها أجرا، وكل سيئة أثمرت خوفا وهربا إلى الله تعالى ورجوعا إليه فلا تعد لها وزرا.

وقال رحمه الله: وقد شكى إليه الناس ما هم فيه من الظلم، فقال اللهم إنا براء من جور الجائرين، وظلم الظالمين وإنا محبون لعدلك فلا تجر علينا بسخطك إنك على كل شىء قدير.

وقال رحمه الله: يحكى عن أستاذه رحمه الله أنه قال شيئان قل ما ينفع معهما كثرة الحسنات سيئتان: السخط لقضاء الله، والظلم لعباد الله. وحسنتان قل ما يضر معهما كثرة السيئات. الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله.

وقال رحمه الله: يا من بيده ملكوت كل شىء، وهو يجير ولا يجار عليه أجرنى مما أرهقنى، فقيل لى لا تهرب إلى الله فى الجزع والسخط فيمقتك الله، فقلت ضيق على هذا الأمر، فقالوا نحن قدرنا عليك لنربيك ونعلمك ونريك ثم قال انف المنافع والمضار عنهم لأنها ليست منهم، واشهدها منى فيهم، وفر إلىّ منهم بشهود القدر الجارى عليك وعليهم أو لك ولهم، ولا تخفهم خوفا

تغفل به عنى وتنسنى وترد القدر إليهم، وكل خوف يردك إلى الله رد الرضا فصاحبه محمود، وكل خوف يردك إلى غيره فهو مذموم أو ناقص ملوم، فإن وصل إليك شىء بقدر الله بسببهم فكن صابرا أو مسلما أو راضيا أو شاكرا أو محبا أو منيبا.

فصل فى الشر

قال رحمه الله: أصول الشر ستة: استبدال إرادة الخير بإرادة الشر، واستبدال التعلق بالله، التعلق بمخلوق دون الله، واستبدال حسن الظن بالله، وبرسوله بسوء الظن بالله وكرمه وبرسوله وكمون الدعوى، وحب الدنيا ومتابعة الهوى.

وقال رضى الله عنه: يقول الله عز وجل: أنا وعزتى وجلالى لك ما لم تستبدل إرادة الخير بإرادة الشر أو تستبدل حسن الظن بكرمى بسوء الظن بى أو تستبدل التعلق بى بالتعلق بمخلوق دونى، فإن فعلت ذلك تخليت عنك ووكلتك إلى نفسك ووليتك وأصليك جهنم وساءت مصيرا فمن تاب تاب الله عليه، ومن استغفر غفرت له وأنا الغفور الرحيم.

ثم قال: وعزتى لولا خصلتان فيك لأهلكت بذنوبك الأمة، قلت وما هما؟ قال رحمتى أحب إليك من طاعتى، واستغفارك أكثر لديك من معصيتى فبهما سبقت السابقين ولم أدرك إلى المقتصدين ولم ألحقك بالظالمين. ثم قال قل: أعوذ بالله من كمون الدعوى وإرادة الدنيا ومتابعة الهوى. ثم قال: احفظ هذه الست فهن أصول الشر كله، واستعذ بالله أنه هو السميع العليم.

قال رحمه الله: حصون القلب من الشر أربعة: ارتباط القلب مع الله وبغض الدنيا وأن لا تنظر بعينيك إلى ما حرم الله، وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله.

وقال رحمه الله: إذا أردت أن تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق وإن عمل ما عمل فقل: يا من له الأمر كله وبيده الخير كله أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله الغنى الغفور الرحيم، أسألك بالهادى محمد ﷺ (إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله تصير الأمور) مغفرة تشرح بها صدرى، وتضع بها وزرى، وترفع بها ذكرى، وتيسر بها أمرى، وتنزه بها فكرى، وتقدس بها سرى، وتكشف بها ضرى، وترفع بها قدرى إنك على كل شيء قدير.

وقال رضى الله عنه: رأيت جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة من أجناد هذا الوقت فجعلت أنظر تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء فخرج إلى واحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أليس فى ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وأعمالهم ما يكفيك عن ذكر هؤلاء وأفعالهم ولكن هم الرزق وخف الخلق ونصرة النفس وإرادة الشر واتباع الهوى وقطع الخير كله ونصرة النفس إجابتها إلى محابها.

فصل فى المعصية

قال رحمه الله: من فارق المعاصى فى ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه ووكل به حارسا يحرسه من عنده، وجمعه فى سره، وأخذ الله بيده خفضا ورفعا فى جميع أموره، والزوائد زوائد العلم واليقين والمعرفة.

وقال رحمه الله: رأيت النبى ﷺ يقول: هدى للسنة من آمن بالله واليوم الآخر، وأعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، وعزم أن لا يعصى الله وإن عصاه استغفر وتاب وأناب، فقال تاب من معصية الله وأناب إلى طاعة الله.

وقال رحمه الله: إذا أردتم خير الدنيا والآخرة، وكرامة المغفرة والرحمة، والنجاة من النار، والدخول فى الجنة، فاهجر معصية الله، وأحسن مجاورة أمر

الله، واعتصم بالله، واستعن بالله، واستغفر الله، وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين، قال له القائل: اشرح لي كيف أتوكل على الله وكيف أعتصم بالله وكيف أستعين بالله؟.

قال: من تعلق بشيء واستند إليه أو توكل عليه أو اعتمد على كل شيء سوى الله فليس بمتوكل، فالتوكل وقوع القلب والنفس والعقل والروح والسر والأجزاء الظاهرة والباطنة على الله دون شيء سواه، والاعتصام بالله التمسك به واللجأ إليه والاضطرار، فاحذر في الاعتصام بالله أن ترى قدرة أو إرادة أو حكما أو أثرا في شيء على شيء أو في شيء أو من شيء أو لشيء.

وأما الاستعانة بالله لا تتخذ العلم سببا ولا المسبب إليه سبباً ولا الأول والآخر، وغرق الكل في العلم والقدرة والإرادة والكلمة، كما غرقوا الدنيا في الآخره والآخرة في السابقة والسابقة في الحكم والحكم في العلم الأزلي.

وأما الهجر للمعصية فاهجر حتى تنسى، وحقيقة الهجر نسيان المهجور هذا في صورة الكمال، فإن لم تكن كذلك فاهجر على المكابدة والمجاهدة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وأما حسن مجاورة أمر الله فبالذكر والفكر والحفظ والمبادرة والتفقد لأمر الله. وإذا عارضك ذنب أو نقص أو سهو أو غفلة، فاستغفر الله من ظلمك بنفسك، ومن سوء عملك بعظيم جهلك، (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما).

فصل في الظلم

قال رحمه الله: الغل ربط القلب على الخيانة، والمكر والخديعة والحقد مثله، وهو الشد على ما ربط عليه أن ينسى، ولا يغفل عنه.

وقال رضي الله عنه: اتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا، وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا.

فصل في العقوبات

قال رحمه الله : العقوبات أربع : عقوبة بالعذاب ، وعقوبة بالحجاب ، وعقوبة بالإمساك ، وعقوبة بالهلاك هلاك السر في المطلوب ، فعقوبة العذاب من جهة المحرمات ، وعقوبة الحجاب هي لأهل الطاعات فتكون عقوبة من جهة سوء الأدب ، وعقوبة الإمساك تكون من جهة المراكنات ، وعقوبة الإهلاك تكون من جهة الاستعجال والقلق ، فربما يبدل له ذلك فيهلك السر .

وقال رحمه الله : لا تحتجب بالفضل عن المتفضل ، قلت يارب كيف هذا ؟ قال : اعلم أنه سبق وجودك وجود علمك والشكر علمك ، وسبق وجودك ما ظهر من تفضله عليك ، فإن كنت بالفضل فأنت محجوب بالفضل عن المتفضل ، وإن كنت عنده وبه فلا سابق ولا مسبوق ، وإن كنت شاهدا من وجودك إلى وجوده فأنت محجوب بالعلم .

وقال رحمه الله : لا يكن حظك من دعائك الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين .

فصل في الشفاعة

قال رحمه الله لرجل قد أحاط به الهم والغم حتى كاد يمنعه من الأكل والشرب والنوم : يابن فلان اسكن لقضاء الله ، وعلق قلبك بالله ، ولا تيأس من روح الله ، وانتظر الفرج من الله . وإياك والشرك بالله والنفاق مع رسول الله ﷺ وسوء الظن بالله ، فإنها موجبة لدوائر السوء من الله وغضبه ولعنته وإعداد ناره (وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) قال فرأيت أسيرا مربوطا بين يدى رسول الله ﷺ وهو يتلو (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله ما فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) فقلت : ما النفاق مع رسول الله ﷺ ؟ قال التظاهر بالسنة والله يعلم

منك غير الذى قلت : وما الشرك بك ، قال اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله (ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) قال رسول الله ﷺ «اشفعوا تؤجروا» قال فى حق بحق حيث أمرك الله ورسوله ، وقد بين لك حق البيان بقوله «تؤجروا» أفمن شفع فى المعصية أو فى طلب الجاه والمنزلة أو فى طلب الدنيا بالرغبة أو يؤجر بل يعذب ذلك (ويتوب الله على من يشاء) قلت فما سوء الظن بالله ؟ قال : من رجى غير الله واستنصر بغير الله يئس من الله أن ينصره فقد ساء ظنه بالله (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) .

وقال رضى الله عنه : الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوة فينبسط من جوهر النبوة إلى الأنبياء والأولياء ، وتندفع الأنوار من الصديقين والأنبياء إلى الخلق .

فصل فى الوصية

أوصانى أستاذى أن خف من الله خوفا تأمن به من كل شىء ، واحذر قلبك أن يأمن من الله فى شىء ، فلا معنى للخوف من شىء ، ولا للأمن من الله فى شىء وحدد ببصر الإيمان تجد الله فى كل شىء وقريبا من كل شىء ، ومحيطا بكل شىء ، بقرب هو وصفه وبإحاطة هى نعته ، وعد عن الظرفية والحدود ، وعن الأماكن والجهات ، وعن الصحبة والقرب بالمسافات ، وعن الدور بالمخلوقات ، وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو «كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان» .

وقال رضى الله عنه : أوصانى حبيبى أن لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله ، ولا تصاحب إلا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا بالله (وقليل ما هم) .

وقال رحمه الله مما يحكى عن أستاذه : الله الله والناس الناس، نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التماثيل من قبلهم. وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عندك، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك وقد تم ورعك، وقل : اللهم ارحمنى من ذكرهم ومن العوارض من قبلهم، ونجنى من شرهم، وأغننى بخيرك عن خيرهم، وتولنى بالخصوصة من بينهم، إنك على كل شيء قدير.

وقال رحمه الله : أوصانى أستاذى رحمه الله فقال لى : اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم، فإن شرهم يصيبك فى بدنك وخيرهم يصيبك فى قلبك.

وقال رحمه الله : لعدو ترجع به إلى مولاك خير لك من حبيب يشغلك عن مولاك.

وقال رحمه الله : هوى بذنبه من غفل عن قلبه، واتخذه لعبا من اشتغل بخلقه.

وقال رحمه الله : قلما سلم من النفاق عبد يعمل على الوفاق.

وقال رحمه الله : اجتمعت برجل فى سياحتى فأوصانى، فقال ليس شيء فى الأقوال أعون على حمل الأثقال من الأحوال ولا قوة إلا بالله، وليس لشيء فى الأفعال أعون من الفرار إلى الله والاعتصام بالله (ففروا إلى الله - واعتصموا بالله - ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) ثم قال : بسم الله فررت إلى الله، واعتصمت بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله (ومَن يغفر الذنوب إلا الله) بسم الله قول باللسان صدر عن القلب (ففروا إلى الله) وصف الروح والسر (ومن يعتصم بالله) وصف العقل والنفس، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصف للملك والأمر (ومن يغفر الذنوب إلا الله) أعوذ بك من عمل الشيطان (إنه عدو مضل مبين) ثم يقول للشيطان هذا علم الله فيك، وبالله آمنت، وعليه توكلت، وأعوذ بك منك، ولولا ما أمرنى ما استعذت منك ومن أنت حتى أعتصم بالله منك.

وقال رحمه الله، استوصيت أستاذى رحمه الله، فقلت أوصنى، فقال: لا تتهم الله فى شىء، وعليك بحسن الظن به فى كل شىء، ولا تؤثر نفسك على الله فىٰ شىء.

وقال رحمه الله: إلزم بابا واحدا تفتح لك أبواب، واخضع لسيد واحد تخضع لك الرقاب، قال الله تعالى (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه - فأين تذهبون؟).

وقال رحمه الله يوصى بعض أصحابه فى سفرهم فقال: أرجو الله أن يمدكم فى سفركم بالتيسير فى أرزاقكم، وبالصحة فى أبدانكم، وبالعز بين أمثالكم، وبالمغفرة لذنوبكم، وتنزلون على أربعة أشياء: القبول من الخلق، والرضا عن الخلق، والغنى عن الكثرة، والهناء مع القلة، فلا ترغبوا فيما لكم فتعاقبوا بالطلب لغيركم، وهذه أدنى عقوبة الراغبين وأعظمها الحجاب عن رب العالمين وعليكم بأربعة: بالألفة، وحسن الصحبة، والقيام بالفريضة، والتوكل على الله فى كل حركة، والرباط الرباط. ثم الرباط على ثلاثة أشياء: لا تتهم الله فى شىء، وعليك بحسن الظن به فى كل شىء، ولا تؤثر نفسك علىَ الله فى شىء، وتفسير الإيثار إذا اعترضك حقوق ربك وحظوظ نفسك، فلا تؤثرن الحظوظ على الحقوق، ففى الإيثار للحقوق محبة الله، وإذا اعترضك مندوب ومكروه فلا تؤثرن المكروه على المندوب، ففى الإيثار للمندوب محبة رسول الله ﷺ، ولا يسهل ذلك إلا على عبد يحب الله وحده أو أحب ما أمر الله به شرعا لدينه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فصل فى العموم والخصوص

قال رحمه الله: اعلم أن العلوم التى وقع الثناء على أربابها وإن جلت فهى ظلمة فى علوم ذوى التحقيق، وهم الذين غرقوا فى تيار بحر الذات وغموض الصفات فكانوا هناك بلا وهم، وهم الخاصة العليا. وهم الذين شاركوا الأنبياء والرسل فى مراتبهم وإن جلت مراتب الأنبياء والرسل، فلهم منها نصيب، إن

ما من نبى ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث، وكل وارث على قدر إرثه من موروثه. قال النبى ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء» ولا يكون وارث إلا وله نصيب معلوم من موروثه يقوم مقامه، على سبيل إرث العلم والحكمة لا على سبيل التحقق بالمقام والحال، فإن مقامات الأنبياء قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم. وكل وارث فى المنزلة بقدر موروثه، إذ يقول الله جل وعلا (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) كذلك فضل بعض الأولياء على بعض، إذ الأنبياء بعين الحق، وكل عين مستمد منها على قدرها، وكل ولى له مادة مخصوصة، فانقسم الأولياء إلى قسمين: قسم منهم هم أبدال الأنبياء، وقسم منهم أبدال الرسل. فأبدال الأنبياء الصالحون، وأبدال الرسل الصديقون، فبين الصالحين والصديقين فى التفضيل كما بين الأنبياء والمرسلين، فمنهم ومنهم، غير أن منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله ﷺ يشهدونها عين يقين، لكنهم قليلون، وهم فى التحقيق كثيرون، وكل نبى وولى مادته من رسول الله ﷺ. فمن الأولياء من يشهد عينه، ومنهم من يخفى عليه عينه ومادته، فيفنى فيما يرد عليه ولا يشتغل بطلب مادته، بل هو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته. ومنهم الذين مدوا بالنور الإلهى فنظروا به حتى عرفوا أمرهم على التحقيق، وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من أنكر كرامات الأولياء، فنعوذ بالله من النكران بعد العرفان، وهم الذين أخذوا طريقا لم يأخذه غيرهم، إذ الطريق طريقان: طريق خاصة وطريق عامة، فأعنى بالخاصة المحبوبين الذين هم أبدال الرسل، وأعنى بالعامة المحبين الذين هم أبدال الأنبياء، فعلى جميعهم السلام.

فأما طريق الخاصة، فهو طريق علوى تضمحل العقول فى أقل القليل من شرحها، ولكن عليك بمعرفة طريق العامة، وهى طريق الترقى من منزل إلى منزل إلى أن ينتهى إلى منزل، وهو (مقعد صدق عند مليك مقتدر) فأول طريق يطؤه المحب الترقى منه إلى العلا فهو النفس، فيشغل بأسبابها ورياضتها إلى أن ينتهى إلى معرفتها، فإذا عرفها وتحقق بها فهناك تشرق عليه أنوار المنزل الثانى وهو القلب فيشتغل بسياسة معرفته، إذا صح له ذلك ولم يبق

عليه منه شيء رقى إلى المنزل الثالث وهو الروح، فيشتغل بسياسته ومعرفته، فإذا تمت له المعرفة به هبت عليه أنوار اليقين شيئا فشيئا، حتى إذا أنست بصيرته بترادف الأنوار عليها برز اليقين عليه بروزا لا يعقل فيه شيئا بما تقدم له من الأنوار المنازل الثلاثة، فهناك يهم ما شاء الله، ثم يمده الله بنور العقل الأصلي في أنوار اليقين، فيشهد موجودا لا حد له وغاية بالإضافة إلى هذا العبد، وتضمحل جميع الكائنات فيه، فتارة يشهدها فيه كما يشهد الينابيب في الهواء بواسطة نور الشمس، فإذا انحرف نور الشمس من الكوة لا يشهد لليناببيب أثرا، فالشمس التي يبصر بها هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين، فإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقي هذا الموجود، فتارة يبقى وتارة يفنى حتى إذا أريد به الكمال نودى منه نداء خفيا لا صوت له فيمد بالفهم عنه، إلا أن الذى يشهده غير الله ليس من الله في شيء، فهناك ينتبه من سكرته، فيقول: أى رب أغثني، أى رب أغثني فإنني هالك، فيعلم يقينا أن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله، فحينئذ يقال له إن هذا الموجود هو العقل الذى قال فيه رسول الله ﷺ «أول ما خلق الله العقل» وفي خبر آخر «قال له أقبل فأقبل» الحديث، فأعطى هذا العبد الذل والانقياد لنور هذا الموجود، إذ لا يقدر على حده وغايته، فعجز عن معرفته، فقيل له هيهات لا تعرف بغيره، فأهداه الله جل وعلا بنور أسمائه فقطع ذلك كلمح البصر أو كما شاء الله (نرفع درجات من نشاء) فأهداه الله بنور الروح الرباني، فعرف به هذا الموجود، فرقى إلى ميدان الروح الرباني، فذهب جميع ما تحلى به هذا العبد وتخلى عنه بالضرورة، وبقي كل شيء موجودا ثم أحياه الله بنور صفاته فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني.

فلما استنشق من مبادئ صفته كاد يقول هو الله، فلحقته العناية الأزلية فنادته: ألا إن هذا الموجود هو الذى لا يجوز لأحد أن يصفه ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله لكن بنور غيره يعرفه، فأمده الله بنور سر الروح، فإذا هو قاعد على باب ميدان السر، فرفع همته ليعرف هذا الموجود الذى هو

السر، فعمى عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء، ثم أمده الله بنور ذاته ما أحياه به حياة باقية لا غاية لها، فنظرة جميع المعلومات بنور هذه الحياة، فصار أهل الموجودات نورا شائعا فى كل شىء لا يشهده غيره، فنودى من قريب : لا تغتر بالله، فإن المحبوب من حجب عن الله بالله إذ محال يحجبه غيره فيحيا بحياة استودعها الله فيه، فقال : أى رب بك منك إليك فأقل عشرتى، فإنى أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك، فهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة العلى الأعلى، وهو طريق المحبين أبدال الأنبياء، والذى يعطى أحدهم من هذا لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة، والحمد لله على نعمائه، والصلاة على محمد خاتم أنبيائه.

وأما الطريق المخصوص بالمحبوبين فهو منه إليه، إذ محال أن يتوصل إليه بغيره، فأول قدم لهم بلا قدم أن ألقى عليهم من نور ذاته، فغيبهم عن عبادته وحبب إليهم الخلوات، وصغرت لديهم الأعمال الصالحات، وعظم عندهم رب الأرضين والسموات، فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العلم فنظروا فإذا هم لا هم، ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم بل صار عدما لا علة له، فانطمست جميع العلل وزال كل حادث ولا وجود، بل ليس إلا العدم المحض الذى لا علة له، وما لا علة له فلا معرفة تتعلق به، اضمحلت المعلومات وزالت المرسومات زوال لا علة فيه، وبقى من أشير إليه لا وصف له ولا صفة له ولا ذات، فهناك ظهر من لم يزل ظهورا لا علة فيه، بل أظهر سره لذاته فى ذاته ظهورا لا أولية له، بل نظر من ذاته لذاته فى ذاته، فحيى هذا العبد بظهوره حياة لا علة فيها، فظهر بأوصاف جميلة كلها لا علة لها، فصار أولا فى الظهور لا ظاهر قبله، فوجدت الأشياء بأوصافه، وظهرت بنوره فى نوره، فأول ما ظهر سره فظهر به قلبه ثم ظهر أمره بسره فى سره وظهرت بأمره الذوات فى نور القلم بنور القلم، ثم ظهر عقله بأمره فى أمره وظهر به عرشه فى نور لوحه بنور لوحه ثم ظهر روحه بعقله فى عقله وظهر بروحه كرسيه فى نور عرشه بنور عرشه، ثم ظهر قلبه بروحه فى روحه، فظهر بقلبه حجبه فى نور كرسيه، ثم ظهرت نفسه بقلبه فى قلبه فظهر بنفسه فى نفسه فظهر بجسمه

أجسام العالم الكثيف من أرض وسماء. وعلى الجملة كل كثيف فى نور الفلك بنور الفلك، فإذا أول قدم هذا المحبوب الفرد طرح النفس عدما فهو طرح لا علة فيه، فهو استقبال العدم بسقوط الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية، فيكون استقبال صفة معدومة لمعدوم، ومعنى الصفة المعدومة : أى لما انتهى العبد بدليل العلة وهو شهود الحق كلا شهادة متصلة غير منفصلة شهادة لا غفلة فيها قام عليه دليل فيه ولا له وهو شهود العدم المحض، ومعنى قيام الدليل الذى لا علة فيه ضرورة عدم المخلوقات المشهودات هو ذاك، فيرادف عليه ذلك العدم المحض وهو سكرة النسيان الدائم أبدا حتى الحياة التى أشير إليها فيما تقدم من الكلام على هذا المقام. فإذا طريق هذا العبد طريق علوى أو ما طرح فى بحر الذات، فانعدم فأحيا حياة طيبة فنقل من غير تنقل إلى بحر الصفات، ثم بحر الأمر الربانى، ثم بحر السر، ثم بحر القلم الأصلى، ثم بحر الروح، ثم بحر القلب، ثم بحر النفس، ثم بحر الحسن، ثم لقيه بحر السر فطرحه فى بحر القلمية، ثم بحر اللوحية، ثم بحر العرشية، ثم بحر الكرسى، ثم بحر الحجية، ثم بحر الفلكية، فلقيه بحر السر المحيط فطرحه فى بحر الملكية، ثم بحر الأبالسة، ثم بحر الجنسية، ثم بحر النيران، ثم طرحه فى بحر الإحاطة وهو بحر السر، فغرق هناك غرقا لا خروج له منه أبدا إلا بإذن، فإن شاء بعثه عوضا من الرسول يحيى به عباده، وإن شاء ستره، يفعل فى ملكه ما يشاء، وكل بحر من هذه الأبحر قد انطوت فيه أبحر شتى لو دخل الصالح الذى هو بدل الرسول فى أقل بحر من هذه الأبحر لغرق فيه غرقا لا نجاة له منه، فهذه عبرة من بيان طريقى الخصوص والعموم، والحمد لله وحده.

انتهى ما أردت نقله من كلام الأستاذ رضى الله عنه فى الطريق.

وأما كلام بعض أتباعه فيها، فإن سيدى زروق ألف رسالتين أوضح فيهما معالم تلك الطريقة، سمى إحداهما الأصول والأخرى الأمهات، فأحببت ذكرهما هنا كما وضعهما من غير حذف وإن حصل التكرار بما فيهما من كلام الأستاذ، فإن بهما يكتفى المحصل فى بيان طريق الشاذلية.

رسالة الأصول لسيدى زروق

فأما الرسالة التى سماها الأصول فقال فيها إذا سئل عن أصول طريقته فيقول:
أصول طريقتنا خمسة أشياء: تقوى الله تعالى فى السر والعلانية، واتباع السنة فى الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار، والرضا عن الله تعالى فى القليل والكثير، والرجوع إلى الله تعالى فى السراء والضراء، فتحقيق التقوى بالورع والاستقامة، وتحقيق السنة بالتحفظ وحسن الخلق، وتحقيق الإعراض عن الخلق بالصبر والتوكل، وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتعويض، وتحقيق الرجوع إلى الله بالحمد والشكر فى السراء واللجأ إليه فى الضراء.

وأصول ذلك كله خمسة: علو الهمة، وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ العزمة، وتعظيم النعمة، فمن علق همته ارتفعت رتبته، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته، ومن أنفذ عزمته دامت هدايته، ومن عظمت النعمة فى عينه شكرها، ومن شكرها، استوجب المزيد من المنعم بها حسبما وعده الصادق.

وأصول المعاملات خمسة: طلب العلم للقيام بالأمر، وصحبة المشايخ والإخوان للتبصر، وترك الرخص والتأويلات للحفظ، وضبط الأوقات بالأوراد للحضور، واتهام النفس فى كل شيء للخروج عن الهوى والسلامة من العطب والغلط، فطلب العلم آفته صحبة الأحداث سنا أو عقلا أو دينا ممن لا يرجع لأصل ولا قاعدة، وآفة الصحبة الاغترار والفضول: وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس، وآفة ضبط الأوقات اتساع النظر فى العلم لعلة ذى الفضائل، وآفة اتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها، وقد قال تعالى ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ وقال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن إسحق بن يعقوب بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ﴿وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾.

وأصول ما تداوى به علل النفس خمسة أشياء : تخفيف المعدة من الطعام، واللجأ إلى الله مما يعرض عند عروضه، والفرار من مواقع ما يخشى وقوع الأمر المتوقع فيه، ودوام الاستغفار مع الصلاة على رسول الله ﷺ بخلوة والجماع، وصحبة من يدل على الله أو على أمر الله وهو معدوم.

وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : أوصاني حبيبي فقال : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا (وقليل ما هم) أو كلام هذا معناه.

وقال أيضاً رضي الله عنه : من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك.

وقال أيضاً رضي الله عنه : اجعل التقوى وطنك ثم لا يضرك مرح النفس، ما لم ترض بالعيب، أو تصر على الذنب، أو تسقط منك خشية الله بالغيب. قلت وهذه الثلاثة هي أصول العلل والبلايا والآفات : وقد رأيت فقراء هذا العصر ابتلوا بخمسة أشياء : إيثار الجهل على العلم، والاغترار بكل ناعق، والتهاون في الأمور، والتعزز بالطريق، واستعجال الفتح دون شرطه، فابتلوا بخمسة، إيثار البدعة على السنة، واتباع أهل الباطل دون الحق، والعمل بالهوى في كل أمر أو أجل الأمور، وطلب النزعات دون الحقائق، وظهور الدعاوى دون صدق، فظهروا بذلك بخمسة أشياء : الوسوسة في العبادات، والاسترسال مع العادات، والسماع والاجتماع في عموم الأوقات، واستمالة الوجوه بحسب الإمكان، وصحبة أبناء الدنيا حتى النساء والصبيان، واغتروا بوقائع القوم في ذلك أو ذكروا أحوالهم، ولو تحققوا لعلموا أن الأسباب رخصة الضعفاء والمقام بها بقدر الحاجة من غير زيادة، فلا يرسل معها إلا بعيد من الله، وإن السماع رخصة المغلوب أو راحة الكامل، وهي انحطاط في بساط الحق إذا كان بشرطه من أهله في محله وأدبه، وإن الوسوسة بدعة أصلها جهل بالسنة أو خبل في العقل، وإن التوجه لإقبال الخلق إدبار عن الحق لا سيما قارئ

مداهن أو جبار غافل أو صوفي جاهل، وإن صحبة الأحداث ظلمة وعار في الدنيا والدين، وقبول إرفاقهم أعظم وأعظم.

وقد قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: الحدث من لم يوافقك على طريقتك وإن كان ابن تسعين سنة. قلت وهو الذى لا يثبت على حال ويقبل كل ما يلقى إليه فيولع به، وأكثر ما تجد هذا فى أبناء الطوائف وطلبة المجالس فاحذرهم بغاية جهدك، وكل من ادعى مع الله حالا ثم ظهرت منه إحدى خمس فهو كذاب أو مسلوب: إرسال الجوارح في معصية الله والتصنع بطاعة الله والطمع فى خلق الله، والوقيعة فى أهل الله. وعدم احترام المسلمين على الوجه الذى أمر الله، وقل ما يختم له بالإسلام.

وشروط الشيخ الذى يلقى المريد إليه نفسه خمسة: ذوق صريح، وعلم صحيح، وهمة عالية، وحالة مرضية، وبصيرة نافذة.

ومن فيه خمسة لا تصح مشيخته: الجهل بالدين، وإسقاط حرمة المسلمين ودخول ما لا يعنى، واتباع الهوى فى كل شىء وسوء الخلق من غير مبالاة.

وآداب المريد مع الشيخ والإخوان خمسة: اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه. واجتناب النهى وإن كان فيه حتفه، وحفظ حرمته حاضرا أو غائبا حيا وميتا والقيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير، وعزل عقله وعلمه ورياسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه ويستغنى عن ذلك بالإنصاف والنصيحة وهى معاملة الإخوان، وإن لم يكن شيخ مرشد أو وجد ناقصا عن شروطه الخمسة اعتمد فيها ما كمل فيه وعومل بالأخوة فى الباقى.

انتهت الأصول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

قال رحمه الله: وينبغى لك مطالبتها كل يوم مرة أو مرتين وإلا فى كل جمعة حتى تنطبع معانيها فى النفس ويقع تصرفك على مقتضاها، فإن فيها غنية عن كثير من الكتب والوصايا، فقد قيل: إنما حرموا الوصول من تضييع

الأصول، ومن تأمل ما قلناه عرف ذلك، ثم لا يزال يتعهدها قصدا للتذكر بها، وبالله التوفيق.

وأما الرسالة التي سماها الأمهات فقال رحمه الله:

فصل

في أمهات ما ينبني عليه المريد في هذه الأزمنة وغيرها وذلك أمور

أولها: التزام التقوى بترك المحرمات، وحفظ الواجبات من غير إخلال ولا إفراط، ويحرص على تحقيق ما يحتاج إليه منها، وهو النوع الذي يعتريه كثيراً كالغيبة عموما والحسد خصوصا أو نحو ذلك، ويكون حرصه على الصدق مع الله فيها بأن يهتم بما لا يعيبه الناس أكثر مما يعيبونه، لأن هذا لا يحمله على تركه إلا خوف الله، بخلاف الآخر فإن فيه شائبة وإن كان من حق الله ومساويا للآخر في حكمه، فالنفس تأباه لا يلحق من أجله فيكون معانا على تركه، وإذ لا يصح له فعله بحال فافهم.

الثاني: العمل بالأسباب التي تكمل بها التقوى وتستدام كترك الشبه الواضحات التي لا تدع إليها ضرورة ملحة، فإنه لا يبلغ الرجل درجة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر. ومن تعمق في الأمور قل أن يثبت له قدم، لكن ما وضح كونه شبهة ترك، وما خفي أمره فعند الاستغناء عنه «ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» وكانوا يتركون بينهم وبين الحرام وقاية من الحلال، ومن عز عليه دينه سهل عليه كل شيء. ويرحم الله الشيخ إسحاق الجبنياني حيث يقول: اكتسب بالعلم، وكل بالورع. ثم من أقبح الورع ما أدى لمحرم، ككسر قلب مسكين لغير أمر بين، أو التنطع في عبادة بأمر يؤدي إلى المقت والغيبة، والتوقف في عادة على حد لا تسلم معه المروءة، وهذا أصل كبير يحتاج إلى علم وتنوير.

الثالث: التيقظ لموارد الأشياء ومصادرها بحيث يكون قلبه عند جوارحه فكل جارحة تتحرك منه يقابلها بحكم حركتها وقصدها، فإن الله يبغض الرجل الأمقت، المشاء من غير أرب، الضحاك من غير عجب. الذى يكون مع كل قوم بما هم فيه.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: ما سلم من النفاق عبد يعمل على الوفاق.

وقال أيضاً: أوصانى حبيبى وقال: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا (وقليل ما هم) انتهى وهو عجب.

الرابع: صحبة أهل المعرفة والعلم، الذين يبصرونك بعيوب نفسك، ويدلونك على ربك، فقد قال سيدى عبد السلام رضى الله عنه: من دلك على غير الله غشك، ومن دلك على العلم فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك. قلت: وذلك بأن يحصل على اللجأ إليه فى المبادئ، والشكر إليه فى المناهى، والرضا عنه فى الإرادات، والصبر له فى المكاره، والتسليم فى الأقدار، وإيثار حقه على كل شيء وفى كل شيء.

قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه: لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه قل ما يدوم، واصحب من إذا ذُكر ذُكر الله، فالله يغنى به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب. قلت: علامته الإعراض عن كل شيء سوى مولاه بحيث لا يبالى بالخلق فى إقبال ولا إدبار وإن كان يتأثر بهم، فلا يرجع إليهم عند الحاجة ولا يعتب عليهم عند اللجاجة لوقوفه مع مولاه فى كل أحواله.

الخامس: مجانبة أهل الغرة والأغرار، فقد قال سهل رضى الله عنه: احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس: القراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين، والجبابرة النافلين. قلت: فمن ابتلى بهؤلاء، فليعامل الأولين بالتعظيم

والإكرام، والآخرين بالتسليم والاحتشام، والآخرين بالحذر والاستسلام مع خلو قلبه منهم وإلا هلك دنيا وأخرى. وقال بعض المشايخ: الإخوان ثلاثة: أخ لدينك فلا تراع فيه إلا الدين، وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا حسن خلقه، وأخ لتأنس به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره. قلت: وهؤلاء لابد منهم فالزم أدبهم تفلح وإلا كنت ضحكة في دينك ودنياك.

وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه: لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله. قلت: وهو من سوى العارف، وهذا في باب الصداقة والانتفاع، والله أعلم.

السادس: التزام الأدب، وقد قال الشيخ أبو الحسن: أربعة آداب إن خلا الفقير المتجرد عنها فاجعله والتراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنصاف من النفس، وترك الانتصاف لها، وأربعة آداب إذا خلا المتسبب عنها فلا تعبأن به وإن كان أعلم البرية: مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة ذوي الفاقة وملازمة الخمس في الجماعة.

وقال أبو حفص الحدادي رضي الله عنه: التصوف كله أدب، لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ترك الأدب فهو مطرود من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن الوصول، انتهى بمعناه، وبالله التوفيق.

السابع: إعطاء الأوقات حقها: فقد جاء في صحف إبراهيم «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه» قلت: وهي من السحر إلى طلوع الشمس قال «وساعة يحاسب فيها نفسه» قلت: وهي من العصر إلى الغروب، أعني يوقع في هذين الوقتين ما تيسر له من ذلك، ومتى تيسر له منها قال «وساعة يمضي فيها إلى إخوانه الذين يبصرونه بعيوبه، ويدلونه على ربه» قلت: ويعينها متى تيسر له ولهم من نهاره وليله قال «وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين شهواته المباحة» قلت: وهي كالتي قبلها والأوقات كلها ﴿ وهو

الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا ﴾ فما فاتك من وردك فى الليل استدركته فى النهار وبالعكس، واسأل عن علم ما يخصك، ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطلب نفسه لله فذلك حال الجاهلين، نسأل الله السلامة.

الثامن: ألا ترى فى العالم إلا أنت وربك فتراقبه حق المراقبة بأن تتخذ ما عنده كنزا، وتنفق منه فى ظاهر أمرك وباطنه، ولا تتشوف لأحد سواه. واحذر أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك، أو يرى منك التفاتا لغيره. فقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه: عمى البصيرة فى ثلاثة أشياء: إرسال الجوارح فى معاصى الله والتصنع بطاعة الله، والطمع فى خلق الله، فمن ادعى البصيرة مع واحد من هذه فقلبه هدف لظنون النفس ووساوس الشيطان انتهى.

وقال بعضهم: من أشار إلى الحق وتعلق بالخلق أحوجه الله إليهم ونزع الرحمة من قلوبهم عليه.

وقال بعضهم لمن استوصاه: احذر أن يرى فى قلبك غيره فإنه غيور لا يحب أن يرى فى قلب عبده سواه، ولله ما أحسن قول على كرم الله وجهه لبشر الحافى حين رآه فى المنام، فقال بشر: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا للثواب، فقال له على كرم الله وجهه: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة برب الأرباب، وفي معناه قيل:

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بعز فإن العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قرب وذى رحم ... إن الغنيَّ من استغنى عن الناس

التاسع: ترك التكلف في الحركات، وقد قال عليه الصلاة والسلام «أنا وأتقياء أمتى براء من التكلف»، وقال مولانا جلت قدرته تعليما لنا بواسطة نبيه وتبرئة له ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ فناهيك من خطة أمر بها سيدنا محمد ﷺ بالتبرى منها، وأصل التكلف حب المراضاة،

ومنه تقع الأيمان الفاجرة والرياء والسمعة والمصانعة وغير ذلك ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ فعليكم بالتوسط فى كل شىء فإنه النجاة من مذام الأمور بالإفراط والتفريط.

ومن كلام الحكماء: لا تتزين تزين العروس، ولا تتبذل تبذل العبيد، وقالوا أيضا: لا تكن حنظلا فترفض، ولا سكرا فتشرب، وفى معناه قيل:

كن حكيما ودع فلان ابن من كان   وكن حليما واجمع إلى الحلم علما
لا تكن سكراً فيأكلك النا   س ولا حنظلا تذاق فترمى

العاشر: عمارة القلب بما يحميه بدلا من نقيضه، وهو أربعة أسباب تقابلها أربعة:

أولها: ذكر غربتك فى الدنيا، وعملك على ذلك بعد الانتصاف لنفسك، والانتصاف منها، والاستسلام لما يجرى من النحس وغيره، ويقابله شغل القلب بلذاتها، ونيل الأغراض فيها من قطع النظر عما سوى ذلك حتى يقول دعنى أصل غرضى ودعنى أموت غدا والعياذ بالله تعالى.

الثانى: ذكر مصرعه عند الموت، وهو الذى ينسيه كل شىء من دنياه ويجهد فى الخلق إذ لا ينفعونه فى ذلك المحل بشىء، وبحسب ذلك يعمل فيما يرضى الحق دونهم، ويقابلها نسيان الأجل وبعد الأمل، وهو مفتاح خوف الخلق وهَم الرزق، وهما أصل كل بلاء فى الدنيا وكل محنة فى الآخرة، أعاذنا الله منهما بكرمه.

الثالث: ذكر وحشة القبر وهو الذى ينسيه أنس كل أنيس إلا من حيث يستشعر أنسه بمعاملة إذ ذاك، فلا يصحب إلا أولياء الله، ولا يجتمع إلا حيث يرجو الله ثوابا، ويقابله شمول الغفلة، والاغترار بأيام المهلة، وهو مفتاح ترك العمل، والتراخى عنه، والفكرة فيه، وطلب الرياسة وظهور البدع، لأن قصده أن يقضى من الدنيا غرضه ولا عليه مما وراء ذلك، نسأل الله السلامة.

الرابع: ذكر وقوفه بين يدى الله، وهو الذى يوجب أن لا يتحرك حركة ولا سكنة إلا بالله ولله، فيتبع الشرع فى جميع حركاته، ويحاسب نفسه فى جميع حالاته، ويستحى من مولاه فى عموم أوقاته، ويقابله الجرأة على الله والاغترار به مع ظنه أنه راح فيه، وقد صح أن كل راج طالب، وكل خائف هارب.

وقال الحسن رضى الله عنه: إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى لقوا الله وليست لهم حسنة، يقول أحدهم: أحسن الظن بربى وكذب، ولو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له، وتلا قوله تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ ومن أجمع الوصايا قول رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وقال عليه الصلاة والسلام: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» وقيل للحسن: الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب إلى متى؟ قال: ما أرى هذا إلا من أخلاق المؤمنين، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما أصر من استغفر ولو فى اليوم سبعين مرة» والاستغفار طلب المغفرة، وهو دون تقدم وانكسار تعب، والإقلاع توبة.

وقال بعض المشايخ: الله الله والناس الناس، نزه لسانك من ذكرهم، وعن التماثيل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عندك، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك وقد تم ورعك، وقل اللهم ارحمنى من ذكرهم، ومن العوارض التى تعرض من قبلهم، ونجنى من شرهم وأغننى بخيرك عن خيرهم، وتولنى بالخصوصية من بينهم إنك على كل شىء قدير.

وقال رجل لسيدى عبد السلام رضى الله عنه: يا سيدى وظف على وظائف وأورادا. فغضب رضى الله عنه وقال: أرسول أنا فأوجب الواجبات؟ الفرائض معلومة، والمعاصى مشهورة، كن للفرائض حافظا وللمعاصى رافضا واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء، وحب الجاه، وإيثار الشهوات

واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك، إذا خرج لك مخرج الرضا، فكن لله فيه شاكرا، وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابرا، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع لأنواع الكرامات، وحصول ذلك كله أربعة: صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، وصحبة أهل العلم، ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح انتهى كلامه رضي الله عنه.

ومن كلامه أيضا رضي الله عنه وهو الجوامع: الحمد لله، أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وأوصيكم بوصية رسول الله ﷺ لمن استوصاه، إذ قال عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وقال أيضا لمن استوصاه «قل ربى الله ثم استقم» فعليكم بشهود المنة واتباع السنة، وإياكم وبنيات السبل فإنها مهلكة، واطلبوا أمر السلف الأول ما أمكنكم فى عين التسليم لكل علماء الإسلام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «فى كل واد من قلب آدم شعبة، فمن تتبع قلبه ذلك الشعبة لم يبال الله فى أى واد أهلكه» وقال ﷺ : «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة والضلالة وصاحبها فى النار» وقال جلت قدرته: ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وقال سبحانه: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ فاطلبوا الحق بالدليل تسعدوا، وإياكم واتساع الرأى والتأويل فتبعدوا. واعلموا أن الله لا يسأل الخلق عن قضائه وقدره، ولا عن ذاته وصفاته، ولا عن أمره ونهيه، فالزموا أورادكم وراعوا أوقاتكم، وجاملوا إخوانكم، واخدموا المسلمين ما أمكنكم. وإياكم وترهات البطالين الذين ينسوكم من الله بذكر قصوركم وتقصيركم، ويغوصون عليكم طريقكم، فما هى ألا الفرائض المشهورة تؤدى، والمحرمات المعلومة تترك والسنن المأثورة تتعاهد، وشكر ما قلَّ وجل من النعمة واللجأ إلى الله فى كل ملمة ونعمة، والفتح من الله، فإنما على العبد الأسباب، وعلى الله فتح الباب وأى فتح أعظم

مما أنتم فيه من الاستناد لجناب الله، والمحبة لأولياء الله، فالحمد لله على ذلك، وهو المرجو لتكميل ما هنالك.

وأوصيكم بوصية مباركة وهي أن تسلموا لكل أحد ماهو فيه من أعمال وأحوال وعلوم ولا تنازعوه بل تتركوه وما دفع إليه، فمراد الحق منه ما هو عليه، ولا تقتدوا بغير ما صح في الكتاب والسنة وحسن دعاء وغيره فلكم أن تأخذوا بما اتضح معناه من الأدعية الواقعة للأولياء كالشاذلي ونحوه ولابن سبعين وشبهه. وجانبوا طريقة البوني كل المجانبة، وكذا كتب الحاتمي فإنها قواطع، وكذا كتب الغزالي فإنها متلفة إلا مع غيرها، ودعوا الإكثار من النوافل إلا في الندرة، فإن ذلك مما يخل، وإياكم وتتبع الفضائل فإنه مدهش، وعليكم بالجماعة والألفة، ولاحظوا في ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ الآية ونستودعكم الله ظاهرا وباطنا والسلام.

وقال رضي الله عنه أيضاً فيما كتب به لبعضهم أثر أذكار لقنه إياها: واعلم أيدك الله وحماك، وأصلح آخرتك ودنياك، أن مدار أمر الدين على خمس هي أصوله الباطنة: علو الهمة، ونفوذ العزمة، وحسن الخدمة، وحفظ الحرمة، وشكر النعمة، فمن رفع همته أعلا الله درجته. ومن أنفذ عزمته أوجب الله كرامته. ومن أحسن خدمته يسر الله طاعته، ومن حفظ الحرمة حفظ الله حرمته، ومن شكر النعمة تمم الله عليه نعمته، فعلو الهمة شأن الفقير الصادق ولذلك لا يطمع ولا يرفع ولا يتبع ولا يخضع ومتى ترك واحدة من هذه فقد أخطأ طريقه، وحرم توفيقه، ونفوذ العزمة شأن الأمير وإلا كان في محل التقصير، وحسن الخدمة شأن العابد وإلا كان متلاعبا متهاونا، وحفظ الحرمة شأن الفقيه وإلا كان فقهه رسما لا حقيقة، وشكر النعمة لازم كل ذي جد وأولى الناس السلاطين، لأنهم في محل النيابة. وأركان الشكر فرح بالمنة، وقيام بما أمكن من الحق، ونفي ما يغير في وجه الفضل، والذي يجب لكم

علينا حسن نصيحة واضحة بحسب الإمكان، ودعوة صالحة على أى وجه كان، والإكرام عند الملاقاة، والسمع والطاعة فى عموم الأوقات والسلام، والحمد لله على التمام.

وقد انتهت رسالة الأمهات، وهى رسالة الأصول عمدة فى طريق الشاذلية، فاحتفظ بها.

وقد تقدم قبل كلام سيدى أبى الحسن الشاذلى مبنى طريقته فى كلام ابن عطاء الله فى لطائف المنن قال فيها: وكان لا يحب المريد الذى لا سبب له، وكان يدل المريدين على الانجماع على حبه، ولا يلزم المريد أن يرى غيره. وكان إذا دخل المريد فى أوراد بنفسه وهواه أخرجه عنها، وكان مكرما للفقهاء ولأهل العلم وطلبته إذا جاءوه. ومن طريقه فى اللبس الإعراض عن لبس زى ينادى على سر صاحبه بالإفضاء، ويفصح عن طريقته بالإبداء، ومن لبس الزى فقد ادعى، ولا تفهم رحمك الله أن نعيب بهذا القول على من لبس زى الفقراء، بل قصدنا أن لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء، فلا حرج على اللابس ولا على غير اللابس إذا كان من المحسنين (ما على المحسنين من سبيل). وأما لبس اللباس اللين، وأكل الطعام الشهى، وشرب الماء البارد، فليس القصد إليه بالزى يوجب العتب من الله إذا كان معه الشكر. قال: إن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع، ولكن يعذب على تعب يصحبه الكبر اهـ.

وقال بعض المشايخ: العمدة فى طريق الشاذلية الصحبة الصالحة مع الاهتداء، والمحبة الصادقة مع الاقتداء، وأما تلقين الذكر وإرخاء العذبة فلها عندهم أصل صحيح اهـ.

فقد تبين لك من جميع ما تقدم أن مبنى طريقتهم على الكتاب والسنة، وترك المعاصى وفعل الواجبات، واتباع السنن المأثورة حتي قال بعضهم: للحالف أن يحلف ولا يستثنى أن طريق الشاذلى كان عليه بواطن الصحابة،

ولذا قيل فى وصف الشيخ رضى الله عنه أنه مسهل الطريقة على الخليقة، لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها، وقد تقدم أن أهل اليمن بنوا طريقهم على رؤية الحق والفناء فيه من أول قدم، والعمل على ذلك بالانحباس إليه وهو طريق الشاذلية ومن نحا نحوهم. وأيضا مبنى طريقته الجمع على الله، وعدم التفرقة، وكثير من كلام الشيخ يدل على ذلك إذا تأملته، لكن هذا الكلام يحتاج إلى إيضاح وتأويل، وهو كما قال سيدى زروق اللجأ إلى الله فى المبادى، والشكر له فى المناهى، والرضا عنه فى الواردات، والصبر له فى المكاره، والتسليم له فى الأقدار، وإيثار حقه على كل شىء وفى كل شىء.

واعلم أن باب هذا الجمع استدامة الذكر مع الفكر : أى الاستحضار، وذلك أن يستحضر الشخص فى غالب أوقاته أنه بين يدى الله، وأن الله تعالى مطلع ورقيب عليه، وأنه خالق لحركاته وسكناته وأقواله وإرادته، وما وقع عليه أو منه من خير أو شر ونفع أو ضر، كل ذلك هو خلق الله وتقديره، فإذا حصل له هذا الاستحضار أوجب له اللجأ إلى الله فى المبادئ إلى آخر ما ذكر سيدى زروق، وأن يخشى الله تعالى ويرجوه دون غيره، لأنه لا يرى النفع والضر إلا منه والمحبة لله، لأنه لا يرى الإحسان إلا منه، والحياء من الله لرؤية قربه منه، فيقدم حقه على كل شىء، وأن لا يتعزز ولا يفرح بفعل محمود صدر منه من طاعة وغيرها، ولا يزدرى من وقع منه فعل مذموم لرؤيته أن ذلك خلق الله وتقديره، فيكون بظاهره منفذا للأمور الشرعية، وهو بباطنه شاكر الله الذى وفقه، خائف من الابتلاء بالخذلان وسلب التوفيق، ولابد لصاحب هذا الاستحضار من حفظ عقيدة معتمدة، ليعرف ما يجب لله سبحانه وما يستحيل وما يجوز، ليسلم استحضاره من التصورات الفاسدة، ولذلك كانت طريق الشاذلية مبناها على طلب العلم وكثرة الذكر مع الحضور، وكانت بهذا الاستحضار الذى هو الجمع أسهل الطرق وأقربها وليس فيها كثير مجاهدة، لأن ما فى النفس من النور الأصلى يتعاضد ويقوى بنور العلم لمن يشتغل به أو بنور الذكر، حتى يندفع به ما فيها من الرذائل، ويزداد إقبالها على حضرة

القدس وإدبارها من الدناءة حتى تنمحق عنها بالكلية ويحرق الذكر من القلب ما سوى المذكور لا سيما إن صحح مقصده فى ابتداء أمره، وهو أن يكون قصده التقربُ إلى الله والتعبد محبة له، من غير التفات إلى غير ذلك، وليكن مبتهلا إلى الله تعالى فى تحصيل مقصده متوسلا إليه بالأدعية التى تنوه بذكر ذلك كأحزاب الشيخ رضى الله عنه، فإذا عمل على هذا الأسلوب فتح له فى أقرب مدة إن شاء الله تعالى.

فصل

فيما جاء فى وصف الشاذلية على العموم نثرا ونظما، وما خصوا به

قال سيدى داود باخلا فى شرحه لحزب البحر: فليتأمل المنصف أحوال الشاذلية، وسداد طريقهم، وقوة يقينهم، وكثرة أنوارهم، وفتحهم، وكشفهم، وذكاء قلوبهم مع غرق كثير منهم فى الأسباب، وتلبسهم ظاهرا بأحوال العوام، فتراهم أبدا محفوظين فى أحوالهم، محافظين على أعمالهم، قد انفتق فى قلوبهم أسرار العلوم، ولاح لهم حقائق الحكم والفهوم، فترى أحدهم فى صفة العامى وهو يلهج بالحقائق وينطق بالحكم والدقائق، مما يعز وجوده لأرباب الانقطاع والخلوات، وأهل التجلى والمشاهدات، وهذا يدل على كثرة الأنوار وحصول العناية، وأنهم فى صون وحماية. فانظر رحمك الله بعين الأدب إلى هذه الطائفة أرباب المقامات السنية، وإلى ما خصهم الله من العلوم المدنية والمنازلات العرشية. وعليكِ بحبهم، فعسى تظفر بقربهم، وتدخل حماهم، وتصير من حزبهم، كما قال ابن عطاء الله السكندرى:

نسك بحب الشاذلية تلق ما ... تروم وحقق ذاك منهم وحصل
ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ... نجوم هدى فى أعين المتأمل
ولا تحتجب عنهم بلبس لباسهم ... فأنوارهم فى السر تعلو وتنجلى

وجاهد تشاهد كي تراهم حقيقة فما فقدوا كلا ولكن بمعزل
على كل غير ليس ينحو طريقهم مطيع لشيطان غوى وأندل
وما حجبوا إلا عن كل أكمه قد عدا عميا عن البدر المنير المكمل
تراهم إذا جليت مرآتك التي تعاينها محجوبة بتغفل
هم أهل بيت للفضائل قد حووا فيا حبذا بيت حوى كل أفضل
وخذ عنهم وصف الكمال لعل أن تحوز مقاما للسماك الأعزل
فهم قادة لله جل جلاله وهم مطر يسقى به كل أمحل
وهم رحمة منشورة وكرامة وهم مرهم يشفى بهم كل معضل

وقال سيدى محمد المغربى :

الشاذلية قادرية وقتهم قد خصصوا بحقائق العرفان
يهنيهم ما قد علاهم منة من نور معرفة وعلم بيان
صرح بذكر فضلهم تحظى بما قد شاهدوا من فضله بعيان

ومن خواصهم ما قاله الأستاذ رضى الله عنه : قيل لى : يا على ما شقى من رآك بعين المحبة والتعظيم ولا من رأى من رآك ، ولو شئت لأطلقت ذلك إلى يوم القيامة .

وكان سيدى شمس الدين الحنفى يقول : إن أدنى رسل الشاذلية لمن عاداهم العمى والكساح وخراب الديار وأنا منهم . وكان يقول : خصت الشاذلية بثلاث ، لم تحصل لأحد قبلهم ولا بعدهم : الأول أنهم مختارون من اللوح المحفوظ . الثانى أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو . الثالث أن القطب منهم إلى يوم القيامة . قال سيدى أبو الحسن الشاذلى : سألت الله أن يكون القطب الغوث من بيتى إلى يوم القيامة ، فسمعت النداء : يا على قد استجيب لك . وإلى هذا المعنى أشار الأستاذ سيدى على وفا بقوله :

• تلميذهم أستاذ كل زمان •

ومن خواصهم التربية بالهمة، والنظر، كما حكى عن سيدى أبى الحسن: نحن كالسلحفاء تربى أولادها بالنظر.



واعلم أن الانتساب إلى الشاذلية وغيرهم يكون بالأخذ عنهم.

قال سيدى إبراهيم المواهبى: اعلم أن الأخذ على أربعة أقسام: أحدها أخذ المصافحة، والتلقين للذكر، ولبس الخرقة والعذبة للتبرك أو للنسبة فقط. وثانيها أخذ رواية، وهى قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها، وهو قد يكون للتبرك أو للنسبة أيضا فقط. وثالثها أخذ دراية، وهو حل كتبهم لإدراك معانيها كذلك فقط من غير عمل بها فهذه الأقسام الثلاثة لا وجود فى الغالب لغيرها،وليس على الآخذ حرج فى تعدد الأشياخ فيها بالغا ما بلغوا. ورابعها أخذ تدريب وتهذيب وترق فى الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة، والفناء فى التوحيد والبقاء به، فلا يعتدى المقتدى به إلا بإذنه أو بفقده، وهو المراد العزيز وجوده أيها الأحباب انتهى.

قلت : وهو الذى عليه المعول فى هذا الطريق، كما تقدم أن الشاذلية معولهم على الصحبة الصالحة مع الاهتداء، والمحبة الصادقة. مع الاقتداء. قلت: ويصح الانتساب أيضا بالمتابعة والمشاركة ولو فى شىء يسير مع المحبة لهم، كتلاوة حزب من أحزابهم. والدليل على ذلك قول الشيخ: من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا. قال ابن عباد: له ما لنا من الحرمة، وعليه ما علينا من الرحمة.

قال سيدى زروق: والذى يظهر من قوة الكلام أن ذلك إثبات بأنه فى حوزة الشيخ ودائرته بما هو أعم من الحرمة والرحمة، وهذا جار فى كل أحزابه وجميع طريقته، لأنه إذا كان الإيمان بطريقهم ولاية فكيف بالدخول فيها بأدنى جزء؟ نعم ولا يستعمل ذلك أحد إلا بعد المحبة لهم، ومن أحب قوما

حشر معهم، كما قال عليه الصلاة والسلام. وقال أيضا ﷺ للرجل الذى سأله عن المرء يحب القوم ولم يلحق بهم «أنت مع من أحببت».

ويرحم الله الشيخ أبا عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم قال: اللهم إنا نتوسل إليك بحبهم فإنهم أحبوك، وما أحبوك حتى أحببتهم، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نتوصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك، فتمم لنا ذلك حتى نلقاك.

وقال أبو يزيد البسطامي: إذا رأيت مؤمنا مصدقا بكلام أهل هذه الطريقة فاسأله الدعاء فالله مجيب الدعاء.

وقال أبو عبد الله القرشي: من صدق بهذا الأمر فهو ولى، ومن أدرك منه مقاما أو نال منه حالا فهو بدل.

وقال سيدى زروق: اعلم أن من تشبه بقوم كان منهم، ومن لم يعمل بأعمالهم كان بعيدا عنهم، وحب القوم بلا اتباع ليس فيه فائدة ولا انتفاع انتهى.

(تنبيه) اعلم أن عدم الاجتماع بالشيخ لا يقدح في محبته بعد أن بلغه مناقبه وطريقته بالتواتر، فليس لقائل أن يقول: كيف يقتدى به وهو ميت؟ فإنا نقول: إنما نقتدى بما بلغنا عنه من طريقته وأخلاقه الحميدة لا بصورته الجسمية، كما أنا نحب رسول الله ﷺ وأصحابه ولم نجتمع بهم، وإنما نقتدى بما بلغنا من آثارهم اهـ.

وفى الطراز المذهب لسبط المرصفى سؤال: هل يجوز للشخص أن يعتقد بقلبه ميتا أو غائبا لم يره أو حاضرا ولم يكن بينه وبينه عهد ولا عقد ويقول فلان شيخى أم لا؟ الجواب. نعم له ذلك إذا اشتهر الشيخ المعتقد فيه بالمشيخة، وعرف سيره وأدبه وأوراده وما يأخذ به نفسه وأصحابه ولا يتوقف عن الحضور معه، ونحن نرجو من الله تعالى الاقتداء بنبينا محمد ﷺ، وكذلك أئمة أصحاب المذاهب يقتدى بهم كذلك، فمن أعانه الله تعالى على الخير باقتدائه بشيخ أو اتباعه فى وظائفه من العبادات، فما أسعده اهـ.

وينبغى لمن انتسب إلى ولى من أولياء الله أن يتشبه به فى أصول طريقته وفروعها المهمة ثم لا عليه من دقائقها، ويعلم أن هذا الولى باب من أبواب الله تعالى يقف به ليأتيه من ذلك الباب نفحة رحمة على حسب مراده، وليكن قصده القرب لله تعالى دون ما سواه، ويعظمه تعظيما يرى فيه رضاء الله عنه لأنه تعالى ينوب عن وليه إذا فقد، ويغنى عنه إذا شهد ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب، والله الموفق للصواب.

واعلم أن التشبه يكون فى الزى وفى الخرقة وفى العمل، فالتشبه بهم فى الزى جائز لدفع المضرة وغيرها لقوله تعالى ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ الآية، فأباح الزى لدفع المضرة وغيرها، ولبس الخرقة للتميز من ذلك وللدخول فى القوم بالتشبه، لكن بشرط اجتناب الكبائر، وصغائر الخسة وما لا يرضاه ذو الهمم الدينية ثم المتشبه والمسند أما محب فجزاؤه أن يحب فيوضع له القبول فى الخلق، وأما المستند فجزاؤه أن يحترم فتوضع له الحرمة فى القلوب، فلا يراه أحد إلا احترمه وعظمه. وأما الطالب فجزاؤه أن ينصح ويفاد فتيسر له الخيرات، وتصرف عنه الشرور الدنية على قدر القبض والقصد، الهمة فى جميع ذلك.

• على قدر أهل العزم تأتى العزائم •

وشرط الشيخ الذى يستند إليه أن ينصح الجميع بما أمكنه فيدلهم على التقوى والاستقامة، وينهاهم عن المنكر والملالة، ويدعو لمن قبل منهم بالثبات، ويعلمه ما أمكنه من أمر دينه ويشفق عليه فى دنياه، ويدعو لمن لم يقع له عزوب عن الباطل بالتوفيق ويجتهد فى ذلك بما يجتهد لنفسه، لأن من قصد قوما وجب حقه عليهم، وينظر لكافة خلق الله تعالى بعين الرحمة كما قيل :

ارحم بنى جميع الخلق كلهم ... وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة

وقر كبيرهم وارحم صغيرهم ... وراع فى كل خلق حق من خلقه

فصل في بيان طريقة الذكر

اعلم أن الله تعالى جعل للعبد أسبابا يصل بها إلى حضرته الربانية ويعكف بها فى معتكف الحضرات الرحمانية، وتلك الأسباب تارة تكون باطنة، وتارة تكون ظاهرة. فالباطنة نحو مراقبة الحق سبحانه وتعالى واستحضار العبد فى سائر أوقاته أو غالبها أنه بين يدى الله وأن الله جل وعلا وتقدست أسماؤه مطلع عليه وناظر إليه، فيحمله ذلك على ترك معصيته، ويجلب استنارة سريرته وأن يحفظ باطنه من الغل والحقد والشحناء والحسد والرياء وسائر المعاصى القلبية، وأعظم سبب يعين العبد بإذن الله تعالى على ذلك المراقبة السابقة مع حفظ الأسباب الظاهرة: فمنها ملازمة الطاعات من إقامة الجمعة والجماعات، والمشى إلى المساجد ومواطن الخيرات، والصدقة بما تيسر وطابت النفس به خارجا عن الزكاة الواجبة، وحفظ اللسان عن التكلم إلا بذكر الله تعالى وبما لابد للسان منه نحو محادثة عياله فى بعض أحيانه وقضائه لحاجة بعض إخوانه، وأولى صيغ الذكر «لا إله إلا الله» بحضور تام وأدب مع المذكور سبحانه وتعالى، فإن النبى ﷺ قال ما معناه «إن الله تعالى يقول: أنا جليس من ذكرنى وأنا مع عبدى إذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه» فما أشرف هذا المقام. ومن معانى مجالسة الحق سبحانه وتعالى لعبده تقريب رحمته، وعنايته ومدده وقبضه وفتحه ونور أسمائه وصفاته من عبده، بحيث إذا صدق فى ذكره عمر قلبه بتلك الأسرار وملأه بتلك الأنوار.

ومن آداب الذكر على بعض طرق مشايخ الشريعة طهارة الإنسان عن الحدث والخبث وصلاة ركعتين يقرأ فى الأولى ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفى الثانية ﴿قل هو الله أحد﴾ سرا نهارا وجهرا ليلا، فإذا فرغ من صلاة الركعتين استمر على هيئة جلوسه للتشهد الأخير، واستغفر الله سبحانه وتعالى قائلا: استغفر الله العظيم وأتوب إليه سبعين مرة، ثم يقرأ الفاتحة إحدى عشرة مرة، ثم يقول: يا رب أنت الله يسر لنا علم لا إله إلا الله كذلك، ثم يذكر الله تعالى خافضا صوته بذكره إلا أن يغلب عليه خاطر فيرفع صوته بقدر ما يدفع

ذلك الخاطر، فإن لم يندفع برفع صوته بالذكر أعاد الاستغفار والقراءة كما سبق، ثم يذكر. ويتعين على العبد أن يلازم فى ذلك سائر أوقاته، فإن لم يتيسر فعقب الصلاة المفروضة ورواتبها، فإن لم يتيسر له ذلك فعقب صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء، فإن لم يتيسر فمرة فى الليل والنهار بحيث لا ينقص كل مجلس عن نصف ساعة والساعة هنا خمس عشرة درجة.

وقد وضع سيدى إبراهيم المواهبى الشاذلى فى لا إله إلا الله رسالة سماها: كتاب (التفريد بضوابط قواعد التوحيد).

فلنأت منها هنا بما ذكره فى هيئة الذكر ومعنى الكلمة. قال فى الجلوس للذكر التربع، ونتيجته، التمكن وسر دوام الوضوء هذا ظاهرا وأما باطنا فإشارة إلى التمكن بكمال اعتدال القابلية، وإن أحب جلس كالمتحى أى المتشهد حيث لا ألم، ثم الاعتماد باليدين على الركبتين مع سدل الكمين، لتقوى فى ذلك على الحركة الجامعة للقلب المشتت هذا ظاهرا، وأما باطنا فالاعتماد بيد الصدق والإخلاص على حد مستندى الكتاب والسنة، ليجتمع فيك خصائص الخواص ثم غمض العيون استعانة على خلو الباطن من تصرف المحسوسات هذا ظاهرا. وأما باطنا فيغمض عين الظاهر والباطن عما سوى الظاهر والباطن، ثم الأخذ بلا إله من الجانب الأيسر الذى هو مشكاة فتيلة القلب النورانى المعنوى مارا بها من أسفل الصدر إلى الجانب الأيمن، ثم إلى أعلاه راجعا حتى تصل إلى المأخذ الذى أخذ لله منه، فيكون المأخذ هو المحط، والمأخوذ ما تضمنه كلمة النفى، والموضوع ما تضمنته كلمة الإثبات، والنفى مصحوبك فى ذهابك من أسفل الصدر وفى إيابك من أعلاه راجعا إلى المأخذ فتفارقه بالإثبات. وسر ذلك أن القلب برزخ بين العالم العلوى والسفلى، ففى أخذك منه إلى أسفل الصدر إشارة إلى استيعاب العالم السفلى بلا إله، ثم بها فى دعواك إليه من أعلا الصدر استيعاب أيضاً للعالم العلوى نافيا كل ما سوى معنى «لا إله إلا الله».

ومن الآداب الترتيل لها على الدوام ما لم يغلب وارد الذكر بحيث أن يقيد ذكرك بمجلس فيكون مختتمه كمفتتحه فنسلم بذلك من التشبيه بأهل الوجد فيها فإن الله ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ وتتمكن من حسن التأدية للآية كما أنزلت مع التمتع بمعرفة معناها مكررا في كل مرة لذوقك فإنه المقصود من تلاوتها فافهم ومعانيها أي ما يراد بها. أما للعموم فنفي الألوهية عما سواه تعالى ومعنى الإله عند أكثر المتكلمين المعبود بحق. وعند بعضهم: المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، فقولك لا إله إلا الله، لا إله معبود بحق إلا الله، ولا مستغني عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه إلا الله. وأما للسالك فمعناها لا مقصود إلا الله للمبتدى، لأن مقتضاه الطلب، أو لا معبود إلا الله للمتوسط، لأن مقتضاه العبادة، أو لا موجود إلا الله للمنتهى، لأن مقتضاه الفناء لما سوى الله والبقاء به قلت: ولهذا المنتهى أربع حالات: إما أن يكون في توحيد الأفعال فيكون المنفى بلا إله إلا الله كل فاعل سوى الله، أو في توحيد الصفات فيكون المنفى بها كل ما عداها أو في توحيد الذات فيكون المنفى بها كل ما سواها أو في توحيد الجمل باعتباره مفصلا فينفى عنه شهود الإجمال بشهود التفصيل. وصاحب هذه الأربعة: هو من لا يشتبه عليه صحة المعتقد الحق على وفق العلم الحق، من حيث معرفة الواجبات لله والمستحيلات عليه والجائزات له، ثم إن الطريق إلى ذلك صعب لعزة بيان المسلك، وعزة وجود المسلك فيه بالحق، لكثرة المدعين وغلطهم في الدين، حبا للرياسة وتشبيها بأهل السياسة، ونتائجها منها ما يكون مع عدم الملازمة فمعلوم شرعا، ومنها ماهو بشرط الملازمة كانطباعها المثمر عند غلبة سكرات الموت والنوم والنطق بها طبعا، والمكسب لمرآة القلب جلاها مما سوى الرب، والاستعداد لقبول تجلياته من حيث مراتب اطراد القرب، والمجالسة له تعالى على بساط الأنس بروح قوله «أنا جليس من ذكرنى» وهذا مقصود أهل الحضرة منها لا ما سواه مما تثمر لأطفال الطريق مما لم يخرج عن حضرة الكون، لأن حجاب القلوب وجود صور ما سوى المحبوب، وقولك الله هي كلمة صفا خلصها من شوائب النفي بالإثبات المحض لثبوت

مدلولها أزلاً وأبدا فتمحض فيها ثبوت وحدته تعالى. ولها حقوق وآداب ومعان وأسرار اهـ. ما نقلته من كلام سيدى إبراهيم المواهبى.

وقال بعض المشايخ الأجلاء فى رسالة سماها: (شفاء العليل فى فضائل التهليل) فى آداب الذكر بلا إله إلا الله، أن يتوضأ، ويلبس طاهرا، ويجلس فى مكان طاهر كما للصلاة اعتناء بشأنها، وينفرد عن الخلق ما استطاع، ويتحرى الأزمنة الشريفة يجعل ورد فيها كما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد العصر إلى غروبها أو ما يمكن منه من بعض ذلك، وبين العشاءين والسحر يستقبل القبلة معرضا عما سوى الله تعالى، وتفتتحها بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاثا، ثم يقول: «اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ثلاثا، ثم يقول: أستغفر الله من جميع ما ذكره الله قولا وفعلا وخاطرا وناظرا ثلاثا، ثم يقول:

اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ثلاثا، ثم يقول: يا غياث المستغيثين أغثنا ثلاثا، ثم يقول: سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبعا، ثم يقول مشيرا للخواطر الرديئة واضعا يده اليمنى على القلب: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ ثم يقول ناويا لتلاوة القرآن: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ عشرا فصاعدا إلى ما شاء الله وكيفيته أن يبتدئ من جانبه الأيسر من تحت السرة ويمد لا النافية مدا طويلا ثم يبين الهمزة المكسورة ويظهرها من أقصى حلقه ويفتح هاء بسكن لطيف لاويا عنقه إلى عاتقه ناويا فى ذلك نفى الآلهة الباطلة، ونفى كل شىء سوى الله من جاه ومال ونساء وبنين ودينار ودرهم ومدح وذم ونحو ذلك، ثم يقول: إلا الله ويبين كسر همزة الاستثناء ويظهرها من أقصى حلقه مع الضرب على الطلب، فى الجانب الأيمن فوق النداء، ويمد لفظ الجلالة مدا طويلا لطيفا، ويستشعر فى ذلك إثبات الحق جل

جلاله بصفات الكمال مع التنزيه عن صفات الحدوث والنقصان على وفق العقيدة، وإذا لم يستشعر ذلك في قول لا إله إلا الله فكأنه لم يقل لا إله إلا الله، لكن لا يكن ذلك، موجبا لترك الذكر، وليداوم على الذكر فإن المداومة تستدعي : استحضار معناها في قلبه إن شاء الله تعالى، فقد قال ابن عطاء الله في الحكم : لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك مع وجود ذكره، فعسى يرفعك من ذكر عن وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكره مع وجود غيبة عما سوى المذكور ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ فإذا أراد الفراغ من الذكر يقول بعده «محمد رسول الله» ثم يصلى على النبي ﷺ يقول : اللهم خذ منا وتقبل منا وافتح علينا أبواب لا إله إلا الله كما فتحتها على أهل لا إله إلا الله، نسألك يا لا إله إلا الله بحق لا إله إلا الله أن تحيينا بلا إله إلا الله، وأن تميتنا على لا إله إلا الله، وأن تحشرنا في زمرة من قال : لا إله إلا الله، وأن تنور قلوبنا بلا إله إلا الله، وأن توفقنا إلى إخراج درر معاني لا إله إلا الله من بحر لا إله إلا الله، وأن تزيل من قلوبنا أخلاق الشياطين، وأن تثبت في قلوبنا أخلاقنا منك يا رحمن، وأن تهيئ أسرارنا لقبول لا إله إلا الله، وأن تصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، ثم تقول : اللهم أصلح الإمام والأئمة والراعي والرعية وألف بين قلوبهم في الخيرات ثلاثا، ثم تقول (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم - سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ثم يقرأ الفاتحة مع الإخلاص ثلاثا مفتتحا بالصلاة ومختتما بها.

ويهب ثواب ذلك لمشايخ الطريقة خصوصا لمن هو في سلسلته، فيقول مثلا اللهم إني وهبت ثواب ذلك إلى روح سيدنا ومولانا الداعي إليك والدال عليك سيدى أبي الحسن الشاذلي وإلى أرواح الآخذ عنهم والآخذين عنه، وفي صحيفة ممن كان سببا لاتصالنا في سلسلته وداعينا إلى طريقة أستاذنا فلان، ثم يدعو لهم بالمغفرة والرحمة، فيقول : اللهم اغفر لهم وارحمهم وتجاوز عن

سيئاتهم ثلاثا، ثم تقول: اللهم اغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولمن توسل إلينا ولمن انتسب بنا ولمن أحبنا ولمن أوصانا بالدعاء، ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين.

فإذا داوم على ما ذكرنا من مفتتحات الكلمة الطيبة ومختتما من رعاية معناها حصل له من فوائدها ونتائجها ما لا يمكن تحريره بالبنان ولا تقريره باللسان: منها خلو الباطن من الميل إلى الدنيا الفانية، وفراغ القلب من الثقة بها، وتلك نعمة عظمى وشراب على أسنى. ومنها التوكل على الله اعتمادا بضمان الله فيكون ساكنا عن الاضطراب عند تعذر الأسباب ثقة بمسبب الأسباب، وهذه نعمة جليلة ومنة جسمية. ومنها إغناء القلب لسلامته من فتن الأسباب، فلا يعترض على أحكام بلو ولا لعل. ومنها حصول التقوى، وهو الاجتناب عما ليس لله تعالى. ومنها المحبة، وهو أعظم المقامات وأهم المهمات؟ وطريق تحصيلها السلوك وكثرة الذكر مع الشروط والآداب دائما، مستقبلا مع الحضور كما مر بيانه اثنا عشر ألفا كل يوم فى ثلاثين ألفا ثم سبعين ألفا حتى تسقط الحركة اللسانية ويجرى دون اختيار، ثم يرجع إلى القلب ثم تنمحق الحروف ويبقى المعنى، ثم يرتفع العدد ويصير حاله مستدامة، وحينئذ تحدث محبة الله فى قلب الذاكر فلا ينساه ثم يغيب عن جميع الأشياء ظاهرا وباطنا حتى عن النفس وصفاتها فى المذكور، وهو القرب، ثم يغيب عن الذكر أيضا فى شهود المذكور وهو الفناء، ثم يحدث الصحو وهو البقاء، ويشاهد ظهور النور والغفلة عن الشواغل ويصير من ملوك الدين والحمد لله رب العالمين اهـ.

وينبغى أيضا أن يكثر من الصلاة على النبى ﷺ لما فى ذلك من التقرب إليه ﷺ والتحبب له فيراه مناما، ويحصل له منه الإرشاد والهداية، ويحصل بذلك تسهيل الطريق لأنه ﷺ الواسطة بين الحق والخلق، وهو باب الله الأعظم ومن أحب صيغ الصلاة عليه صلاة التشهد، ويكفى أن يقال: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: وذكر بعض المشايخ أن من قال كل يوم خمسمائة مرة: اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى

الأمي وعلى آله وصحبه وسلم قامت له مقام الشيخ الواصل في التسليك اهـ.

واعلم أن ما تقدم في الآداب من طهارة المحل والوضوء والصلاة قبل الذكر، وكذلك الأذكار التي قبله وبعده ليس شرطا في الذكر، وإنما ذلك على وجه الكمال، فلا ينبغي للشخص أن يترك الذكر توقفا على وجود ذلك، بل متى توجهت همته للذكر وأقبل قلبه عليه فليذكر على أي وجه كان، إما على صورة ما تقدم وهو الأكمل أو بلاه، لكن لابد من الاستحضار.

واعلم أن الحاصل مما تقدم، ترك جميع المنهيات، وفعل الواجبات، وما استطاع من المستحبات، ومداومة الذكر مع استحضار معناه، فهذا مبدأ الطريق.

وقد انتهى ما يتعلق بطريق الشاذلية من كلامهم، ولنقل في بيان الطريق على العموم وتفصيل درجاتها الأربع:

فصل
مراتب الطريق أربع

اعلم أن مراتب الطريق أربع، لا يضع السالك قدمه في ثاني مرتبة منها حتى يحكم الأولى، ولا يدخل في واحدة حتى يعمل ما قبلها: فالأولى مرتبة التوبة، والثانية مرتبة الاستقامة، والثالثة مرتبة التهذيب، والرابعة مرتبة التقريب، وليس بعد ذلك إلا مواهب القريب المجيب.

المرتبة الأولى: وهي مرتبة التوبة، فالتوبة أصل كل مقام وحال، وهي أول المقامات، وهي بمثابة الأرض للبناء. فمن لا أرض له لا بناء له، ومن لا توبة له لا حال ولا مقام له. وهي على ضربين: إنابة، واستجابة، فالإنابة أن تخاف الله من أجل قدرته عليك، والاستجابة هي أن تستحي من الله لأجل قربه منك.

والتوبة في اللغة الرجوع عن الذنب، وهي على قسمين: توبة عوام، وتوبة خواص: فتوبة العوام على ثلاث مراتب:

الأولى للكافرين: توبتهم إلى الإيمان والإسلام، لأن حق العبد أن يعرف نفسه بالعبودية، ويعرف ربه بالربوبية، وكل من غفل عن عبوديته للمولى، وشغلته الدنيا عن العقبى يحصل له العرفان عن الشيطان.

الثانية من توبة العوام توبة الفاسقين: أى الذين ارتكبوا الكبائر والمخالفات، فتوبتهم بست معان: أولها الندم على ما مضى، وهو الركن الأعظم الباعث على ما بعده. ثانيهما ترك الذنوب فى الحال، والعزم على أن لا يعود فى الاستقبال. ثالثا رد المظالم إلى أهلها. رابعها إعادة الفرائض التى فاتت. والخامس إذابة النفس فى الطاعة كما ذيبت فى المعصية. والسادس البكاء فى الأسحار، فى حضرة الملك الجبار من خشية الذنوب.

والثالثة من توبة العوام: توبة عوام المؤمنين عن الصغائر التى صدرت بسهو وغفلة وجهل ونسيان، كما قال الله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾ وهى مقام عوام المؤمنين وخواص الفاسقين، الذين كانوا فى الصف الثالث من الأرواح.

والقسم الثاني من التوبة: توبة الخواص، وهى على مرتبتين، توبة الخواص، وتوبة خواص الخواص. فتوبة الخواص تكون عن الأفكار والأخطار عن واردات أمور الدنيا وتسويلها، وهى مقام عوام الأولياء، وخواص المؤمنين الذين كانوا فى الصف الثانى من الأرواح، وتوبة خواص الخواص عن اشتغال القلوب بغير ذكر الله تعالى، وهي مقام خواص الأولياء الذين كانوا فى الصف الأول من الأرواح، وأشار إلى هذا المقام قوله عليه الصلاة والسلام «إنه ليران على قلبى فأستغفر الله سبعين مرة».

قال بعضهم: التوبة على ثلاثة أقسام: توبة العوام عن المعاصى، وتوبة الخواص عن الغفلات، وتوبة خواص الخواص من رؤية الطاعات، فشتان ما بين من يتوب من الزلات، ومن يتوب من الغفلات، ومن يتوب من رؤية الحسنات.

وأما شرائطها فأمران: الأول أن يخرج عما تسمح به نفسه من الأموال

والأملاك على قدر همته ويصرفه على الفقراء والصالحين وعلى أصحابه الفقراء أولى وأتم، وهذا الشرط من المهمات، لأن حقيقة التوبة ترك المعاصي والمخالفات باطنا، فوجب أن يترك شيئا مما بيده ظاهرا ليوافق ظاهره باطنه. والثاني أن يصوم ثلاثة أيام متواليات بنية صوم التوبة، وهذا الصوم سنة أبينا آدم عليه السلام على ما ورد في التفسير أنه حين أهبط من الجنة ودار في الأرض نحو ثلاثمائة سنة واسود جسده من أثر الشمس، فلما تاب الله عليه أمره بصوم ثلاثة أيام، وهي الأيام البيض، لأنه لما صام اليوم الأول ابيض ثلث جسده، واليوم الثاني ثلثاه، واليوم الثالث جميعه.

وأما آداب التوبة: فأن يصلي التائب ركعتين بنية صلاة التوبة، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿قل يا أيها الكافرون - و - قل هو الله أحد﴾ وفي الثانية بعد الفاتحة المعوذتين، فإذا سلم من صلاته يقول بقلب خاضع خاشع: أستغفر الله سبعين مرة وسبحان الله كذلك، والحمد لله كذلك، ولا إله إلا الله كذلك والله أكبر كذلك، فإذا فرغ من التسبيحات يسجد بنية الشكر ويدعو بما شاء من أمر دينه، فإن في ذلك باب العرش مفتوح، ودعاء التائب مستجاب إن شاء الله تعالى، فإذا أتى التائب بما تقدم من الآداب والأذكار فقد تمت توبته، ونرجو من كرم الله تعالى أن تكون توبة نصوحا، وقد حصل على أول مرتبة في الطريق، وآن له سلوك الثانية.

(وأما المرتبة الثانية) وهي الاستقامة على الطاعات واجتناب المخالفات بشروطه وأركانه وسننه من غير إخلال بذلك، مع التواضع لله، وشهود المنة، والتوفيق منه تعالى بذلك، والخوف من الخذلان والسلب، ثم التخلق بالكمالات والتحقق بالحالات، فيترك العيوب ويجتنب الذنوب، ويبتدر المندوب، وليس له سبيل إلى ذلك إلا بثلاثة: إقامة الأوراد، واتباع المراد، وإيثار السداد، فالأوراد تعمير الأوقات بالعبادات التي هي الغدوة والروحة والدلجة فالغدوة للتبجيل، والروحة للتفضل، والدلجة للتوصل، والسحر وقت المناجاة وذكر ما بعد الصبح مفتاح الطاعات، وما بعد العصر استغفار من الواقعات،

والمعتدل من أوراد الصلاة خمسون ركعة بين فرض ونفل: في الضحى ست، وقبل الظهر أربع وبعدها اثنتان، وقبل العصر أربع، وبعد المغرب ركعتان، ومن الليل ثلاث عشرة أولاهن ركعتان خفيفتان وآخرهن الشفع والوتر، ما تركها ﷺ في سفر ولا حضر، وربما اقتصر على سبع أو زاد على سبع عشرة بحسب الزيادة والنقصان في النهار ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ وفي الفجر ركعتان. والفرائض سبع عشرة أولاها الظهر وآخرها الصبح، وقد صح الترغيب في الذكر أدبار الصلوات، وبعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وقبل الغروب إليه، والسنة في ذلك معلومة مشهورة، وأنواعها كثيرة فلنذكر بعضها.

اعلم أن أولى ما اعتنى به الصادق مع الله تعالى، اتباع السنة وشهود المنة، وتجنب النميمة والبدعة، فإذا استيقظ من منامه فليقل «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» و«أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله رب العالمين. اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره وهداه وبركته ونوره، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده» ثم إذا خرج من بيته قال «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثلاثا، فإنها كفاية وهداية ووقاية» ويقول: «بسم الله عند دخول الخلاء فإنها ستر بين أعين الجن وعورات بني آدم» فإذا توضأ قال «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي واقنعني بما رزقتني ولا تفتني بما زويت عني» بين ظهراني وضوئه، وعند انتهائه يقول «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين»، ويختم بـ«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» وعند دخول المسجد يقول «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك» ويدخل بيمينه ويخرج بشماله عكس الخلاء، بخلاف المنزل فإنه باليمين فيهما، ويقرأ في ركعتي الفجر الفاتحة و (قل يا أيها الكافرون) و(قل هو الله أحد) ويقول أثره «اللهم إني

أسألك بوجهك الكريم تمام عافيتك وتمام نعمتك ثلاثا يا الله يا الله يا الله. اللهم اجعل لى نورا فى قلبى، ونورا فى قبرى، ونورا فى سمعى، ونورا فى بصرى، ونورا فى شعرى، ونورا فى بَشرى ونورا فى دمى، ونورا فى لحمى، ونورا فى عظمى، ونورا بين يدى، ونورا من أمامى ونورا من خلفى، ونورا عن يمينى، ونورا عن شمالى، ونورا من فوقى، ونورا من تحتى. اللهم زدنى نورا، وأعطنى نورا، واجعل لى نورا» وبعد صلاة الصبح يستغفر الله ثلاثا ثم يقول «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام» مرة، ثم يقول «اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ثلاثا وثلاثين ويختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» مرة، ثم يدعو بما تيسر له، ويقرأ آية الكرسى والمعوذتين والإخلاص وكذلك فى دبر كل صلاة، ويختم ذلك بـ «سبحان ربك وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير عشرا» و(حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عشرا، ثم يلزم محله للذكر إلى طلوع الشمس أو قرب طلوعها، ومما يذكر فى ذلك الوقت (قل هو الله أحد) والمعوذتين ثلاثا مساء وصباحا تكفيك من كل شر و«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا مساء وصباحا لم تضره حية» أى ذات سم وهو أمان للمسافر إذا قالها عند نزوله فى السفر لم يضره شىء حتى يرتحل، ويقول «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاثا صباحا ومساء لم تصبه فجأة بلاء، ويقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا، مع ثلاث آيات من آخر سورة الحشر (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) إلى آخرها، إن قالها مساء حفظ حتى يصبح، وإن قالها صباحا حفظ حتى يمسى، و«سبحان الله وبحمده ثلاثا بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة المغرب أمان من البرص والجذام والجنون والفالج» و«سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا

نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ثلاثا» لها فضل كثير، «وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك ثلاثا كفارة المجلس وبركته» و«أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثا صباحا ومساء كفارة لذنوب يومه وليلته».

ومن قال: اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم عن حب لرسول الله ﷺ وشوق له توجب شفاعته، وقد ورد هذا كله فى الأحاديث المقبولة مع أذكار أخر قد جمعناها فى وظيفة لأصحابنا، وذكر مستندها فى غير هذا التعليق لنا، ثم إن اتسع الوقت فليقل «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير مائة مرة» لأنها غفران وزيادة درجات ولم يأت أحد بمثل ما عمل، ويوقى كل شر، وكذلك «سبحان الله وبحمده مائة مرة»، و«سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة كذلك» وكل ذلك صحيح، «والباقيات الصالحات» «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» إن ذكرها مائة مرة وأضاف التسبيح الأول للثانى فكان الجميع ثلاثمائة فى الصورة وثمانمائة فى الحقيقة، ويزيد لها الاستغفار مائة، والصلاة على النبى ﷺ مائة تكون ألفا ثم يدعو بما تيسر له، ويتلو من القرآن ما قدر له، ويجعل أوقاته كلها لله سبحانه وتعالى على أى وجه كان، ولا يهمل طلب العلم، وتحرى الحلال، وترك ما لا يعنيه فإنه الأصل وليقرأ عند نومه الإخلاص والمعوذتين بعد قوله «باسمك اللهم وضعت جنبى وباسمك أرفعه، اللهم إن أمسكت نفسى فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين من عبادك» ويقول «أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثا» فقد صح «تغفر ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ورمل عالج وورق الأشجار وعدد أيام الدنيا» وإذا تعار من الليل: أى انتبه فليقل «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى

العظيم» فإنه إن دعا استجيب له، وإن استغفر غفر له، وإن صلى قبلت صلاته كذا صح عن رسول الله ﷺ، وسبل الخير كلها ثلاث: خشية الله تعالى فى السر والعلانية، والرضا عن الله عز وجل بالقليل والكثير، ومحاسنة الخلق فى الإقبال والإدبار، فقد قال عليه الصلاة والسلام «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

واعلم أن البلاء مجموعه فى ثلاث: خوف الخلق، وهم الرزق، والرضا عن النفس.

واعلم أن العافية والخيرات مجموعة فى ثلاثة: الثقة بالله فى كل شيء، والرضا عن الله بكل حال، واتقاء شرور الناس، وهى أضداد الثلاثة المتقدمة، فمن وثق بالله تعالى لم يغتر بغيره فى إقبال ولا إدبار، ولا ينظر لسواه فى نفع ولا إضرار، ومن رضى عن الله عز وجل لم يحزن على فائت ولا يفرح بآت، ولا ينظر لمستقبل ولا ماض، ومن استكفى شرور الناس كف شره عنهم فيكفى شرورهم، فإذا كمل السالك هذه المرتبة على ما ذكر وتوطنت نفسه فيها ثم علت همته إلى التخلق بالأخلاق الحميدة وترك الأخلاق الذميمة، فإنه بذلك يكون التقرب والقرب، فليدخل فى مرتبة المجاهدة والرياضة وهى مرتبة التهذيب.

المرتبة الثالثة مرتبة التهذيب: اعلم أن لها أركانا أربعة: الصمت، والعزلة، والصوم، والسهر:

بيت الولاية شيدت أركانه	ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم	والجوع والسهر النزيه العال

وقال سيدى عبد الكريم الجيلى فى عينيته:

فواظب على شرطين ذكر أحبة	وخالف إذا نفسا أتتك تخادع
فلا تهملن ذكر الأحبة لمحة	ودوام خلاف النفس فهى تطاوع

واعلم أن الجوع والسهر ليس المراد بهما الإفراط بحيث يتأذى من ذلك الجسم ويحصل به الضرر، بل المراد أن يكون الأكل والنوم بمثابة الدواء لا يتعاطاه إلا عند الاحتياج والضرورة إليه، وأن يكون الجوع أحب إليه من الشبع، والسهر أحب إليه من النوم.

واعلم أن الإكثارمن الصمت والاعتزال ضرورة ليس بشرط، فلا يتكلم إلا فيما يعنيه، ولا يختلط إلا بمن يتعاون به على التقوى.

واعلم أن كل واحد من هذه الأربعة يدفع عنك عدوا، فالشيطان سلاحه الشبع، وسجنه الجوع والهوى، وسلاحه الكلام، وسجنه الصمت، والدنيا سلاحها إلقاء الخلق، وسجنها العزلة، والنفس سلاحها النوم، وسجنها السهر.

واعلم أن الإفراط من الجوع مضر بالفكرة، والإفراط من الصمت مضر بالحكمة، والإفراط من السهر مؤذ للحواس، والإفراط من اعتزال الخلق يؤدى إلى الاختلاط، لكن خير الأمور أوساطها، وهو مع ذلك يجاهد نفسه إلى التنصل من الأخلاق الذميمة، من العجب والكبر والحسد والشح وجميع ما كرهته من غيرك، بخلاف النفس ومدافعتها إذا أردت ارتكاب شيء من ذلك والتخلق بالأخلاق الحميدة من التواضع والكرم وما أحببته من غيرك، فإذا تركت النفس الأخلاق المذمومة، وتخلقت بالأخلاق المحمودة، وتوجهت إلى ما وجهها إليه من غير تكلف ولا مدافعة منها فى ذلك، فحينئذ قد مالت إلى الزوال، وآن لها التقريب من حضرة القريب المجيب، وإنما مرتبة التقريب هو أن يدخل السالك إلى الخلوة ويداوم الذكر، ولا يتركه ساعة حتى يصير الذكر له بمثابة النفس يجرى من غير اختيار ولا قصد ولو صمت اللسان، ثم تأخذه القوة النفسانية من طريق العادة والطبع فتنصبغ به انصباغا لا يمكنها الانفكاك عنه، ثم تجوهر به القلب فصار يجرى بالذكر وإن صمت اللسان، وكان له ذلك بمثابة جرى الغذاء فى الأجسام بحيث يسرى سريانا ولا يتفطن له وتوجد به قوة لا يعرف وجهها غير أنه إن فقده وجد أثره، فعلم سريانه ونفعه بذلك،

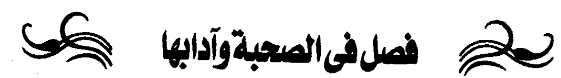
فإذا حصل له ذلك اتسعت ميادين أنواره ومرافق أسراره فبدأه من نور الحق ما كشف له الوجود وذلك نتيجة إفراد وجهته.

وحاصل هذا الموقف أن يطلع على مخبآت الغيوب على حسب قوته وبقدر استعداده. فأما من طريق الفراسة والتخييل، وإما من طريق الكشف، لأن قلبه صار مرآة والوجود محاذ له أبدا، غير أنه لإعراضه عن صورته لا تعرض له وقد تعرض عليه فيعرض عنها، أو لتوجهه مخبآتها تعرض عليه مغيباته فيدرك العلوم عند الناس على حقيقة دون احتياج إلى قليل، والمجهول عندهم على الحقيقة من غير احتياج إلى برهان سواء تشكل له في عالم التصوير أو ظهر له بطريق الكشف العلمي، وإلى هذا المعنى أشار ابن عطاء الله رضي الله عنه حيث قال: الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب، مسجون بمحيطاته، ومحصور على هيكل ذاته اهـ.

ثم بعد هذا الكشف قد تزل قدم المريد بالوقوع والاشتغال ببعض ما رآه من العجائب فيوكل إليه أو يكلمه فيثبت فيه، وقد يثبته الحق سبحانه بالتزام أصل طريقته، من طلب مطلوب واحد فيتخطى كل ما يتأتى إليه من صور الأكوان وحقائق الكشف مغضيا عنه متوجها لما هو فيه، غير أنه لا يخرج من موقف حتى يبدو له منه ما هو مقصود باعتبار وقته وهو في كل ذلك خائف من مقته. وبالجملة فكل مورد له فيه مخاطبات وتنزلات ومداومات كلها خارجة عن مقصوده، وإن كانت مصحوبة يكشف له ذلك منها عند فراغ مدده المودع فيها، حتى إذا انتهى لطور القلب خوطبت عوالمه اللطيفة بالأشياء على سبيل الإلقاء بنوع من الإلهام، وهو على أنواعه فافهم. فإذا صارت حالة المريد إلى بساط المحادثة كان مطلوبه في تفريق وجوده لا غير، لأن المقصود الأول الذى دخل لأجله لا يزال مشوقا له حتى يرى أن شغله بالأكوان هو الذى حجبه عن معرفة مكونة فيبينها عن قلبه بوجه لا يمكنه قبولها كما قيل:

بين التذلل والتدلل نقطة في فهمها يتحير النحرير
هى نقطة الأكوان إن جاوزتها كنت المراد وعندك الإكسير

يعنى المراد للحضرة الربانية، وعندك الإكسير الذى تلقب به صباغ الحقائق إلى حقيقة ما عندك، فإذا فنى من رؤية العوالم هو خلع نعل الكون لم ير فى الكون غير المكون، فإذا تمكن من مقام الفناء عاد عنده عدما لاستغراقه بالحقيقة وهى غاية الطريقة، ثم إن شاهد الحقيقة يقضى له بالحق فيصير غريق الأنوار، مطموس الآثار، قد غلب سكره على صحوه، وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه، وغيبته على حضوره، وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وهو مقام النهاية، ولم يبق إلا ما يهيئه الله له من أنواع الكرامات، والله أعلم.



فصل فى الصحبة وآدابها

اعلم أن للصحبة ثلاث فوائد:

الأولى: أن صحبة أهل الخير حصن للمريد من الانقلاب والعود إلى البطالة، وإبعاد للنفس من التشوف والتشوق لها، فإن البعد عن المعاصى يثقل فعلها فى النفس، والقرب من الطاعات يهون أمرها على النفس كما هو معلوم.

الثانية: أن علم القلوب لا يصاد إلا بالصحبة، فإن من تحقق بحالة لم يخل حاضروها منها والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يعلم. و«المرء على دين خليله» و«المؤمن مرآة أخيه» وماكان من المرئيات انطبع فى المرآة المقابلة لها فافهم. ولذلك كان معول الشاذلية على الصحبة بأهل الصلاح.

واعلم أن الداعى للصحبة بين اثنين وجود الجنسية والنسبة بينهما، فلا يصحب شخص شخصا إلا لوجود نسبة بينهما: أى حالة موجودة فى كل واحد منهما، فإنك تجد أهل الشر مثلا يميل بعضهم إلى بعض، وكذلك غيره من الحيوان يميل كل نوع إلى بعضه أكثر من ميله إلى النوع الآخر. وكميل ملة إلى بعضها. وكميل أهل الطاعة إلى بعضهم، وكذلك أهل المعصية، وكميل أهل الشريعة إلى بعض، وكذلك أهل الطريقة وأهل الحقيقة، وكميل كل أهل علم

إلى بعض، وكذلك أهل كل حال، وأهل كل مقام، وكميل أهل كل خرقة إلى بعض، ويؤيد ذلك قوله ﷺ «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فإذا علمت أن الموجب للصحبة وجود الجنسية، فتفقد نفسك عند الميل إلى صحبة شخص وما الحالة التى فيه من أجلها أحببته، وزن ذلك بميزان الشرع، فإذا رأيت أحواله مسددة خصوصا الحالة التى فيه من أجلها أحببته، وزن ذلك بميزان الشرع، فإذا رأيت أحواله مسددة خصوصا الحالة التى فيه من أجلها ملت إليه فارجع إلى نفسك باللوم، فإن تلك الحالة القبيحة مركوزة فى نفسك وفر منه فرارك من الأسد، فإنكما إن اصطحبتما زدتما ظلمة كما قيل :

وقاطع لمن واصلت أيام غفـــلة فما واصل العذال إلا مقاطـــع

فينبغى لمن أيقظه الله من سنة الغفلة أن يقتدى من مشايخ زمانه بمن هو مشهور بالديانة والصيانة والأمانة، برئ من البدع والأهواء والخيانة، بعد أن يتحقق أن طريقته موافقة كتاب الله وسنة رسوله، وأفعال الصحابة والمشايخ الراسخين فى العلم العارفين بالله سبحانه وتعالى ذاتا وصفاتا وأفعالا.

والفائدة الثالثة من فوائد الصحبة وهى المهم الأكبر أن السالك مقبل بنفسه فإذا عمل وحده ربما ظهر له أنه على شيء ولم يكن كذلك، وربما ظفر منه الشيطان بخيالات وغيرها يوهمه أن ذلك من الأحوال والوصول وهو لا يدرى ذلك، لا سيما والمبتدى تولع نفسه بما لا عادة له، وإذا لم يولع فإنه يشوش عليه طريقه، فلابد من الصحبة بأخ صالح أو شيخ ناصح ينبهه من رعونات النفس وغيرها، والله أعلم.

فصل فى التلقين والسند

ولما كان من لوازم هذا الطريق الصحبة، لما تقدم من فوائدها، وكان الانتساب إلى شيخ من شيوخ الطريق، إنما يحصل بالتلقين من شيخ مأذون له عن شيخ مأذون له، إلى شيخ صاحب الطريق وهو رسول الله ﷺ وكان الذكر

لا يفيد إفادة فى الأغلب إلا بالتلقين، كما قال بعض المشايخ، بل جعله بعضهم شرطا فيه، وكان الشيخ هو الأب فى الدين وهو مقدم على الأب فى النسب كما قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

نسب أقرب فى شرح الهوى   بيننا من نسب من أبوى

وكان السالك لابد له من مرشد حسى كالشيخ، أو مرشد معنوى كالإلهام أو حسن التفقه فى الكتاب والسنة، مع التيقظ والاعتبار والتفكر، بمساعدة التوفيق والعناية، أو يغنيه الله تعالى عن ذلك كله بمنح من فضله يجذبه بها فيصل من غير مشقة كما قاله بعضهم:

لابد من مرشد حسى أو منح   من فضل أو معنوى للدلالات

أحببت أن أذكر هنا سندى إلى سيدى أبى الحسن الشاذلى. قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ونفعنا ببركاته : اعلم أن من لم يعرف أباه وأجداده فى الطريق فهو دعى وربما انتسب إلى غير أبيه، فيدخل فى قوله ﷺ «لعن الله من انتسب إلى غير أبيه» وقد درج السلف الصالح كلهم وهم مجمعون على أن من لم يصح له نسب ألقوه ويأذن له شيخه فى أن يجلس للناس لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس، ولا أن يأخذ عليهم عهدا، ولا أن يلقنهم ذكرا إذ السر فى الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الحق جل جلاله، فمن لم يدخل فى سلسلة القوم فهو غير معدود منهم، وأقل ما فى الاتصال بسلسلتهم أنك إن تحركت أجابك بالتحريك كل حلقة من شيخك إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الحق جل وعز.

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق: روى الإمام أحمد والطبرانى وغيرهما أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه جماعة وأفرادا، فأما تلقينهم جماعة فقد قال شداد بن أوس «كنا عند النبى ﷺ فقال: هل فيكم غريب؟ يعنى من أهل الكتاب، قلنا لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب فقال: ارفعوا أيديكم

وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله، ثم قال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال ﷺ: ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم.

وأما تلقينه ﷺ لأصحابه فرادى، فروى سيدى الشيخ يوسف الكوراني العجمي رضى الله عنه بسنده الصحيح «أن عليا رضى الله عنه سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى، وأسهلها على عباده، وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال ﷺ: أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله ثم قال رسول الله ﷺ: يا على لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله، فقال على رضى الله عنه: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع، فقال ﷺ: لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع، ثم قال على كرم الله وجهه: لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى ﷺ يسمع» هذا أصل سند القوم.

وقد تقدم اتصال السند من رسول الله ﷺ إلى سيدنا ومولانا أبى الحسن الشاذلى شيخ الطريق، وعنه أخذ سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد بن عمر المرسى وهو خليفته ووارث مقامه وأجل أصحابه، وعنه أخذ سيدنا ومولانا تاج الدين أبو العباس أحمد بن عطاء الله السكندرى، وعنه أخذ الشيخ على بدر القرافة، وعنه أخذ الشيخ أحمد بن عقبة الحضرى، وعنه أخذ سيدنا ومولانا الشيخ الولى القطب أبو العباس أحمد المعروف بزروق الفاسى، وعنه أخذ سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد بن يوسف الملياني، وعنه أخذ سيدنا ومولانا أبو الحسن على بن عبد الله السلجماسي الوفائى، وعنه أخذ سيدنا ومولانا أبو القاسم الغازى، وعنه أخذ أبو العباس أحمد بن على الدرعى، وعنه أخذ سيدنا ومولانا قطب الأصفياء عبد الله بن حسين الدرعى، وعنه أخذ سيدنا ومولانا

شيخ عصره وقطب وقته، سلالة الأصفياء والأولياء، مربى المريدين وموصل السالكين صاحب المؤلفات العجيبة، العارف بالله تعالى والدال عليه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ناصر بن عمر الدرعى المغربي الشاذلى رحمة الله عليه وأعاد علينا من بركاته وصالح دعواته، وعنه أخذ مَنْ مَنَّ الله علينا بالأخذ عنه والاجتماع عليه، الدال على الله تعالى والداعى إليه، أول من كان سببا لوصلتنا بسلسلة الأنوار ونسبتنا بالسادة الأخيار. سيدنا ومولانا الشيخ الأستاذ الكامل، العالم العامل، الصالح الناصح، الخاشع المتواضع، الصوام القوام الفقيه النسيب، ذو الطريقة المرضية، الموافق لكتاب الله والسنة المحمدية سيدنا الشيخ مصطفى بن محمد النويهمى المصرى الشاذلى، رحمه الله تعالى، وأعاد علينا من بركاته وصالح دعواته. كان رحمه الله تعالى متخلقا بالأخلاق الحميدة، من الحياء والتواضع والأدب والاجتهاد فى منافع المسلمين، وإخفاء الأعمال الصالحة والتنزيل لكل أحد على قدر حاله، وتوقير من دونه فضلا عن من هو مثله، والشفقة والمحبة للناس، وإظهار محاسن إخوانه والمدح لهم ولا يرى نفسه شيئا، لا تجده إلا مادحا غيره مظهرا لفضله عليه وإن كان دونه، ما رأيته تكلم بقبيح ولا ذم فى أحد، ولا اغتاب أحدا ولو كان مسيئاً فى حقه، وكان يحب الصالحين ويحبونه كثير الاعتقاد مسلما للناس أحوالهم لم أر أحوط لدينه وأحرص على فعال الخير وصحبة الأولياء والصالحين ومحبتهم، وأكثر تخلقا بمحاسن الأخلاق منه، وهذا ما حضرنى من مناقبه رحمه الله، وعنه تلقن الذكر وله صحب، واقتدى الفقير إلى ربه الجواد أحمد بن محمد بن عياد، غفر الله ذنوبه، وستر فى الدارين عيوبه آمين، ولم يشترط شيخنا فى الطريق شيئا سوى ترك المعاصى كلها والمحافظة على الواجبات وما تيسر من المندوبات، وذكر الجلالة الشريفة مهما أمكن وقدر عليه، وأقل ذلك ألف مرة فى كل يوم، والاستغفار مائة، والصلاة على النبى ﷺ ما أمكن، وأقل ذلك مائة، وكان يرغب فى فضل الصلاة على النبى ﷺ ويحض عليها، ويحيل ذوى الحاجات والكربات عليها، ويوصى بصلاة ركعتين فى الليل بالكافرون والإخلاص.

فصل فى آداب الذكر كما ذكر الشعرانى رضى الله عنه

وهى كثيرة، ولكن يجمعها عشرون أدبا خمسة سابقة على التلفظ بالذكر واثنا عشر فى حال الذكر، وثلاثة بعد الفراغ من الذكر.

فأما الخمسة التى هى سابقة على الذكر فالتوبة، وحقيقتها ترك العبد ما لا يعنيه قولا وفعلا وإرادة. ثانيها الغسل والوضوء. ثالثها السكوت والسكون، ليحصل الصدق، بأن يشغل قلبه بالله بالفكر دون اللسان حتى لا يبقى خاطر مع الله، ثم يوافق اللسان القلب بلا إله إلا الله. رابعا أن يشهد بقلبه عند شروعه فى الذكر همة شيخه. خامسها أن يرى استمداده من النبى ﷺ، لأنه نائب.

وأما الاثنا عشر التى فى حال الذكر: فالأول الجلوس على مكان طاهر كجلوسه فى الصلاة. الثانى أن يضع راحتيه على فخذيه. الثالث تطييب المجلس للذكر بالرائحة الطيبة وكذا ثياب بدنه. الرابع لبس الثياب الحلال الطيب. الخامس اختياره الموضع المظلم إن أمكن. السادس تغميض العينين، لأنه بتغميض عينيه يسد عليه طرق الحواس الظاهرة، وسدها يكون سببا لفتح حواس القلب. السابع أن يجعل خيال شيخه بين عينيه، وهذا عندهم آكد الآداب. الثامن الصدق فى الذكر، بأن يستوى عنده السر والعلانية. التاسع الإخلاص، وهو تصفية العمل من كل شوب، وبالصدق والإخلاص، يصل الذاكر إلى درجة الصديقية بشرط أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه، وإن لم يظهر ذلك كان خائنا وحرم الفتح والله لا يحب الخائنين. العاشر أن يختار من صيغ الذكر لفظة لا إله إلا الله فإن لها أمرا عند القوم لا يوجد فى غيرها من الأذكار الشرعية، فيذكر بها جهرا بقوة تامة بحيث لا يبقى فيه متسع ويحضر قلبه المعنوى مع معناها. الحادى عشر إحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجاته فى الترقى ويعرض ما ترقى فيه من

الأذواق على شيخه ليعلمه الآداب فيه. الثاني عشر نفى كل موجود من القلب سوى الله تعالى بلا إله إلا الله ليكون تأثير إلا الله بالقلب ويسرى إلى الأعضاء كما قالوا: ينبغى للرجل إذا قال الله يهتز من فوق رأسه إلى أسفل قدميه، وهذه حالة يستدل بها على أنه سالك يرجى له القدم الأعلى منها إن شاء الله تعالى.

وأما التى بعد الفراغ من الذكر، فالأول أن يسكن إذا سكت، ويخشع ويحضر مع قلبه مترقبا لوارد الذكر، فقد قالوا: لعله يرد فيعمر وجوده فى لحظة أعظم مما تعمره الرياضة والمجاهدة فى ثلاثين سنة. والثانى أن يردد نفسه مرارا، قالوا لأنه أسرع للتنوير فى البصيرة وكشف الحجب وقطع الخواطر النفسانية والشيطانية. والثالث منع شرب الماء. لأن الذكر يورث حرارة فى قلب الذاكر شوقا وتهييجا إلى المذكور وهو المطلوب الأعظم من الذكر، وشرب الماء عقب الذكر يطفىء ذلك. وقد قال الشيخ رضى الله عنه: فليحرص الذاكر على هذه الآداب الثلاثة، فإن نتيجة الذكر إنما تظهر بها والله أعلم.

فصل
فى التوجه بلا إله إلا الله

اعلم أيها المريد الصادق إذا أردت التوجه بهذا الاسم العظيم المحترم وسيف الإسلام وحجة الأنام، فليكن توجهك بعد طلوع الشمس، بعد طهارة ثوبك وبدنك من الأدناس، وباطنك من الوساوس، والظنون والفواحش، كان كل من توجه قلبه لغير الله حجب عن الله، وكل من ذكر وقلبه بغير مذكوره حجب بألف حجاب، فإذا تطهرت ظاهرا وباطنا فقل «لا إله إلا الله» اثنا عشر ألف مرة، وإياك أن يكون ذكر عدد فتكون كالذى يعد الجوهر والدر وما هى له، وأصل الذكر التلذذ والحلاوة، فإن غلب عليك خشوع ودموع واحتراق فذلك علامة الفتح، ولا يزال الذاكر يذكر حتى يدرك العجائب والغرائب ثم يحرك

لسانه عن الذكر ويبقى الفكر وهو مقام الأكابر، والكلام هنا ضيق، فاعرف هذا التوجه فإنه سريع الفتح، وأكثر العباد تركوا العبادات والرياضات، واشتغلوا بالتوجهات حتى أحرق الذكر من قلوبهم ما سوى الله، فإذا كان ذكر مع رياضة حصل الكمال الأعظم والله أعلم.

انتهى ما يسره الله من الطريق جملة وتفصيلا وبسطا وإيجازا، وقد أحببت أن ألحق ذلك بأربعة فصول في بعض خواصها، والفرق بين الخواطر، والفرق بين الأحوال، والفرق بين الحقيقة والشريعة.

فصل في بعض خواص الطريق

منها أن من كان يخشى شيئا فليقل بعد صلاة الصبح استكفى كل شر بلا إله إلا الله مائة مرة فإنه يكتفى ما يخاف، ومن تخوف قلبه من أحد من العالمين، فإن عانده من بعد ذلك هلك.

وأما وفقها وخواصها كتابة، فمن كتبها على خاتم فضة في الساعة الأولى من يوم الجمعة انشرح صدره، وانبسط فكره وتيسر أمره، وزال همه، وانجلى كربه، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه. ومن كتبه في جام بعدده ومحاه بماء وشربه على الفطور، أحيا الله قلبه بنور الإيمان، وفجر من صدره أنوار العرفان. ومن داوم على شربه، وقاه الله شر قساوة القلب، وفتح باطنه لقبول الحقائق الإيمانية والأسرار الروحانية، وهو مخصوص بعطف القلوب إلى حامله وعدد قلبه يشير إلى اسمه الدائم، وهذه صورته:

٤١٤	٤١٩	٤١٢
٤١٣	هـ هـ	٧ هـ
٤١٨	٤١١	٤١٦

ومن كتب خاتمها وتلا عليه عدده ووضعه تحت رأسه رأى ما أراده في منامه بشرط العزلة والطهارة. وذكر السهروردي في عوارف المعارف أن من قالها ألف مرة على طهارة في صبيحة كل يوم يسر الله عليه أسباب الرزق من نفسه. وكذلك من قالها عند منامه العدد المذكور، باتت روحه تحت العرش تتغذى من ذلك العالم حسب قواها. وكذلك

من قالها عند قوة الشمس ضعف منه شيطان الباطن . وكذلك من قالها عند دخول مدينة أمن من فتنتها . وكذلك من قالها بجمع فكره وأرسلها لظالم أو جائر قطعته . وكذلك من قالها بقصد التطلع إلى العلويات كشف له عن غيب ما قصده . ولها خواص كثيرة لسنا بصددها ، ولا ارتباط للخواص بالطريق . وإنما ذكرنا ذلك ترغيبا .

فصل

فى الفرق بين الأحوال الربانية والطبيعية والشيطانية

لابد من معرفتها لمن أراد الاشتغال بالذكر لطروها عليه حالة الذكر وإلا وقع فى الغلط . قال صاحب التدبيرات الإلهية : المدعى السماع له حالات ثلاث :

فالحالة الأولى تقتصر على شيء منها ، وهو أن الإنسان إذا كان صاحب صدق ، فإذا ورد عليه شيء أو ألقى إليه شيء فتشتغل الروح معه ، وتنحدر الجوارح ، وينحرف الطبع ، ويتغير المزاج ، فإن الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقى إليه ، فإذا انصرف عنه النور الملكى سرى عنه وقد عرق جبينه واحمر وجهه وقام كأنه نشط من عقال ، وهى الحادثة ، ولأولياء الله فى هذا مشرب شهى ، ومتى اشتد الحال وغاب عن الوجود الحسى ، فإن حصل له فى تلك الغيبة علم يعقله هناك ويعقله إذا رجع إلى حسه ، ويعبر عنه على قدر ما أعطاه الله تعالى من العبارة ، فذلك هو الحال الإلهى ، ويملأ القلب عند الإفاقة سرور ، وربما غزته إبرة فذلك حال صحيح .

والحالة الثانية إن غلب ثم رد ولم يجد إلا أنه أخذ عنه بقبضة قبض عليه لم تتم له فائدة ، ولكن غاب عن حسه ، فهذا حال من المزاج لما حمى القلب بالذكر أو بالتخيل صعد منه البخار من التحريف الكثير إلى الدماغ ، فحجب العقل ، ومنع الروح الحيوانى من السريان ، ورمى بصاحبه كالمصروع فهذا حال صحيح ، ولكن من الأمزاج الطبيعى ليس له فائدة ، ولهذا إذا سألته يقول لك

رأيت كأني كسيت برنسا أسود أو سحابة مرت على عيني فعميت، وهو ذلك البخار الذي ذكرناه.

وأما الحالة الثالثة الكذاب هو الذي يعقل أهل مجلسه في السماع أو في حال خلوته أيضا فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس، قد سخر به الشيطان، فكل ما يلقى إليه يتخيل أنها علوم وهي سموم، فلا يعول على كل ما يخاطب به في هذه الحالة ولو صادف الصحة فيها، قال السادة الفقهاء: من صلى جاهلا بكيفية الوضوء والصلاة لا تصح صلاته وإن صادف الصحة، فكما أن هذه المسألة أصل عظيم عند السادة العلماء فكذلك هذه عند السادة الصوفية نفعنا الله بهم، فلا يعول على ما يخاطب به هذا الجاهل بطريق الحق، فإنه لا يحسن أن يفرق بين الحق والباطل، فكيف يعول على قوله، فإن هذه حالة شيطانية وإنه ليس في قوة الشيطان أن يغيبك عن حسك ثم يلقي إليك وتغفل عنه، وإنما هو على أحد وجهين: أما أن يغيبك مثل الصرع ولكن لا يلقي إليك شيئا، لأنه لا يجد من يأخذه عنه، وإما أن لا يغيبك ويلقي إليك وأنت مع حسك وفي باطنك شيء من حرارة وتوهم واستماع إلى بعد وضرب من استعداد الخطاب، فإنه إن عرفه أنه تمكن منه في هذا المقام إليك خطابا فيحس بمواقع الخطاب بنفسه على حسب ما يلقى إليه، فيخبر عما وجده فإخباره أنه وجد هذا في نفسه صحيح وكونه ينسب ذلك إلى الحق باطل وربما يقول له في مواقع خطابه عبدي أنا ربك لا تنظر إلى إلا بي، فإن نظرت إلى أشركت، فأنا الناظر والمنظور، وما أشبه هذا النوع من الخطاب، ويقنع إبليس منه أن يعتقد أن ذلك من الله تعالى، فيستولي عليه، ويصير محلا له طول عمره فلو علم هذا الجاهل أن مخاطبة الحق لا تنزل إحساسا، وليست بالوهم، ولا بالتخيل، ولا بالاستعداد، ولا بالانتظار، ولا بخاطر يخطر بالبال، ولا ببقاء الحس لكان رجع عن جهله، فلو علمت أن هذا من جهلك بنفسك وبغرور الشيطان بك لتبت إلى الله ورجعت إليه، وعرضت هذه الأمور على شيخ مرشد يعرفك طريق الحق إلى الحق، والله الموفق.

فعليك بالفناء فى محض حب الله، ولا تلتفت إلى ما سواه، فإن لم تجد شيئا فهو أسلم لك من الفتنة، فإن وجدت معه شيئا فهو المطلوب وارتفع التلبيس فلا مدخل هناك لإبليس، فهكذا ينبغى أن تكون، وأن تعرف هذه الأسرار من نفسك، ولا تكن من الجهلة بحيث أن يعرف منك غيرك ما لا تعرفه من نفسك، ثم لتعلم أن الروحانيين ليس لهم إلقاء الأمر والنهى، إنما لهم الإخبار، لأنه لا فائدة لأمرهم، فإذا استولت عليك روحانية تدبيرك فانظر فإن أمرتك ونهتك بضرب من العبارات فتلك شيطانية فاهرب منها، وأكثر من الذكر وقراءة القرآن وآية الكرسى، وإن لم تأمرك ولكن تخبرك بما وقع فى الكون من أمر مغيب من خوارق العادات فأنت فيها على الاحتمال، من أن تكون شيطانية أيضا وغير ذلك، ويميز بينهما بسرعة التوقع فى الإلقاء وإن لم يلق إلا شيئا ثم شيئا آخر ثم آخر فهو روح شيطان، وإن استمر أمرا واحدا فإنك معه فى حال الفتنة أيضا فلا تقبل من الإلقاء إن أردت التصحيح إلا ما حصل لك فى حال الفناء الكلى من نفسك، وحسك، ولا يبقى من تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما يكون منه، فإن سر المشاهدة للبهت، وسر الكشف للعلم، وسر البقاء للأدب، وسر القبض للافتقار وسر البسط للسؤال والأسرار كثيرة، وفيما ذكرناه دواء نافع لمن استعمله.

فصل فى الفرق بين الخواطر

اعلم أن الهاجس يعبرون به عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الربانى، ويقال له الرحمانى والمزعج، ويسميه سهل السبب الأول وهو الخاطر، فإذا تحقق فى النفس سموه إرادة فإذا تردد فى الثالثة سموه هما، وفى الرابعة سموه عزما، وعند التوجه إلى الفعل إن كان خاطر فعل سموه قصدا، ومع الشروع فى الفعل سموه نية، وإن لم يكن خاطر فعل سموه إلهاما أو علوما وهبية أو لدنية، فالإلهام يكون عاما (فألهمها فجورها وتقواها) والوهبى واللدنى خاص بالأولياء (وعلمناه من لدنا علما) والخواطر خطاب يرد على الضمائر، فقد تكون بإلقاء الحق، وقد تكون بإلقاء ملك، وقد تكون أحاديث النفس، وقد

تكون بإلقاء الشيطان، ويسمون الملكي إلهاما، ويسمون الشيطاني وسواسا، والرباني يرد بالرحمة والعظمة والحكمة، فإذا أورد بالرحمة أبقى في القلب أنسا، وإذا أورد بالعظمة أبقى في القلب هيبة، وإذا أورد بالحكمة أبقى في القلب سكونا، والملكي يرد مبشرا أو منذرا أو منبها، فإذا بشر أبقى في القلب سكونا، والملكي يرد مبشرا أو منذرا أو منبها، فإذا بشر أبقى في القلب بسطا، وإذا أنذر أبقى في القلب قبضا، وإذا ورد منبها ترك في القلب علما والنفساني يدعو إلى الحظ والأمنيات والشهوات، واستشعار الكبر، والشيطان يشوق للمعاصي ويخوف من الفقر، ويأمر بالفحشاء، ويحض على الكفر.
وفرق الجنيد رحمه الله بين هواجس النفس ووسواس الشيطان، فقال إن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت فلا تزال تعاود وتصمم ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها وتحصل مقصودها اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة حتى تموت حظوظها وتسكن عن أغراضها فيستريح السالك من آفاتها، وأما الشيطان إذا دعا إلى زلة فخالفته بتركها فهو يوسوس بزلة أخرى، لأن جميع المخالفات عنده سواء، وإنما يريد أن يكون داعيا أبدا إلى زلة ما، ولا غرض له في تخصيص ذنب دون غيره، وكل خاطر يكون من الملك، فإنه يأمر بالمعروف ويشوقه إلى الفضائل، ويزين له كسب الحسنات، ويحذره من اكتساب السيئات، ويعلم السالك جميع ما يحتاج إليه، وكأنه أستاذ الولي وزاجره في ضميره وليس له غرض في تخصيص فعل خير دون غيره.

تفصيل آخر في الخواطر

اعلم أن الخواطر هي موازين يحفظ بها الولي بدايته ويخلص بمعرفتها نهايته.

والخواطر أربعة : أولها الرباني وهو مصيب أبدا، وبه تكون الفراسة للمؤمن الكامل والمكاشفة عند السالك الواجد، ويرد بثلاث تجليات : بالجلال والجمال والكمال، فإذا ورد بالجلال يمحق ويفني، وإذا ورد بالجمال يثبت ويبقى وإذا ورد بالكلمات يصلح ويهدي.

وللخواطر موارد أربعة: فالخاطر الرباني يرد على الروح، والملكي على العقل، والنفساني على القلب، والشيطاني على الطبع،

واعلم أن الخاطر الأول أبدا لا يكذب. والثاني أبدا لا يصدق. والثالث أبدا لا يغش. والرابع أبدا لا ينصح، وأكثر ما يرد الخاطر الرباني إذا خرج من خلوة وانفصل عن غيبه أو فكر في حقيقة، وهو المفيد للولي حال الكمال ويهبه الاستقامة والاعتدال، ويكون خارقا للعادة في عالم الغيب والشهادة، والخاطر الملكي يرد واعظا وآمرا وناهيا وناصحا، والخاطر النفساني يرد بالكبر والغضب والعجلة، وثوراته عند أكل الحرام، ومعاشرة اللئام، ومجالسة أهل الجدال، والشيطاني يرد عند الجبل إلى الطبع، والفرار من قيود الشرع.

وأقول الخاطر الرباني يبلغ منازل المقربين، ويكاشف من اختصه الحق بعلوم الأولين والآخرين، والملكي يحض على مقامات أهل اليمين، ويشوق لمنازل الصالحين والنفساني يرغب في العاجل، ويزهد في الآجل، ويدعي في الرتب، ويفرض العلة والسبب، ويزدري بأحوال المتقين، وينزل بالهوى إلى أسفل سافلين، والشيطاني يعد بالفقر، ويزيد الأماني بالكفر.

واعلم أن لكل خاطر مقدمة وبساطا، فمقدمة الخاطر الرباني الإسلام، وبساطة الصمت، وبساط الخاطر الملكي: العزلة، ومقدمته الذكر، وبساط الخاطر النفساني الأماني، ومقدمته الجهل، وبساط الخاطر الشيطاني الكفر، ومقدمته الكبر، وكل خاطر يدعو إلى ما يناسبه. وبالجملة إنك تزن كل خاطر ورد عليك بميزان الشرع، فإن كان مما أمرت به فبادر إليه، وإن كان مما نهيت عنه فهو من الشيطان فاحذره ولا تفعله، والله أعلم.

فصل في الشريعة والطريقة والحقيقة

اعلم أن الحقيقة أن ترى أن الله عز وجل هو المتصرف في خلقه، يهدي ويضل، ويعز ويذل، ويوفق ويخذل ويولي ويعزل، فالخير والشر والنفع

والضر، والإيمان والكفر، والفوز والخسران، والزيادة والنقصان، والطاعة والعصيان، بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيئته لفظة ناظر، ولا فلتة خاطر، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه وقدره، ولا مهرب لعبده من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بإرادته ومعونته ومحبته، فعرفنا أن هذه الصفات التى صدرت بالقضاء والقدر حقيقة.

ثم إن الله تبارك وتعالى جعل للعبيد كسبا واختيارا ميزهم به عن الجمادات والبهائم، فجعل العبد قادرا على الفعل، وخلق فه نية قصد يختار بها الفعل، ليمتاز به عن المكروه والمحظور، ثم إنه سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب والإيمان والطاعة، ونهى عن الكفر والمعصية، وأخفى عن العباد ما علمه من أحوالهم، وما أراد من أفعالهم، فما كان فى علمه القديم وسابق مشيئته سعيدا يسر له الطاعة، ومن كان فى علمه القديم وسابق مشيئته شقيا منعه الطاعة، فالاعتبار بالخاتمة وهى السابقة، وله الحجة البالغة، وسطوة قهره للباطل دامغة (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون).

فنقول: إذا قيل ما الفرق بين الشريعة والحقيقة؟ الجواب: الشريعة ما ورد به التكليف، والحقيقة ما ورد به التعريف، فإذا الشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مؤيدة بالشريعة فمن كل وجه كل شريعة حقيقة وكل حقيقة شريعة، وفى عرف القوم يفرقون بينهما، فالشريعة بواسطة الرسل، والحقيقة تقريب بغير واسطة، وربما يشار بالشريعة إلى الواجبات بالأمر، والزجر بالحقيقة إلى المكاشفات بالسر، والشريعة وجود الأفعال له. والحقيقة شهود الأحوال به والشريعة القيام بشروط الفرق، والحقيقة الكون بحقوق الجمع، والشريعة القيام بشروط العلم، والحقيقة الاستسلام لغلبة الحكم، والشريعة خطابه لعباده وكلامه الذى أوصله إلى خلقه بأمره ونهيه، ليوضح لهم المحجة ويقيم به الحجة، والحقيقة تصريفه فى خلقه، وإرادته ومشيئته التى يخص بها من اختاره من أحبابه، ويقضى بها على من أبعده عن بابه. وقيل الشريعة أوامر الله

ونواهيه، والحقيقة تصريفه فيما يقضيه، وقيل الشريعة خطابه وكلامه، والحقيقة تصريفه وأحكامه، وقيل الشريعة النهى والأمر، والحقيقة ما قضى وقدر وأخفى وأظهر، وقيل الشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، وقيل الشريعة دعوته والحقيقة تقريبه ومودته، وقيل الشريعة الكتاب والسنة، والحقيقة مشاهدة القهر والمنة.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الشريعة والحقيقة فى آيات كثيرة.

فمنها قوله تعالى ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ وهذه شريعة ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ فهذه حقيقة. ومنها قوله تعالى ﴿فمن شاء ذكره﴾ فهذه شريعة ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ فهذه حقيقة. ومنها قوله تعالى تعليما لنا (إياك نعبد) حفظا للشريعة (وإياك نستعين) إقرارا بالحقيقة و(إياك نعبد) فيه إثبات الكسب للعبد وإضافة العبادات إليه (وإياك نستعين) فيه رد الأمر إلى الله وأن العبادة بعونه وتسخيره، وقيل (إياك نعبد) أى لا نعبد إلا إياك ولا نشرك فى عبادتك غيرك، فهذا مقام الشريعة، فإياك نعبد مقام الأبرار وإياك نستعين مقام المقربين، فالأبرار قائمون لله، والمقربون قائمون بالله، وأن إياك نستعين أى لا نستعين إلا بك بأنفسنا وحولنا. فالعمل الأول هو العمل لله، فالعمل لله يوجب المثوبة، والعمل بالله يوجب القربة، والعمل لله يوجب تحقيق العبادة، والعمل بالله يوجب تصحيح الإرادة، والعمل لله نعت كل عابد، والعمل بالله نعت كل قاصد، والعمل لله القيام بالأحكام الظواهر، والعمل بالله القيام بالضمائر.

فإذا عرفت ذلك يا أخى فلا تكسل فى السعى، فإن فاتك أمر مع الاجتهاد فارجع إلى الحقيقة وقل كذا قدر، وهكذا ينبغى للعبد أن يسعى امتثالا للأمر وهو بباطنه معتمد على التقدير والحكم فإن أعطى شكر، وإن منع سلم وصبر، وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال «تحاج آدم وموسى قال موسى : أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: أنت موسى الذى

اصطفاك الله برسالته وبكلامه، تلومني على أمر قدر على قبل أن أخلق؟ فحج آدم موسى ثلاثا».

فإن قيل إن موسى عاتبه على مخالفة الأمر فاحتج هو بالحقيقة ونفوذ الحكم فإن كان هذا الاحتجاج مقبولا فلم لا يقبل من المشركين في قولهم (لو شاء الله ما أشركنا) وفي قوله (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) فإنه احتجاج بالحقيقة ونفوذ الحكم، وهو احتجاج لا يعارض به الشريعة.

فالجواب أن الاحتجاج بالحكم مع مخالفة الأمر والإصرار على المعصية لا يقبل فإذا دعى الكافر إلى الإيمان والعاصي إلى التوبة فقال لا حول ولا قوة إلا بمشيئة الله، فإن هذا الاحتجاج لا يقبل. قال بعض العلماء في قول المشركين (لو شاء الله ما أشركنا) هذا كلام حق أرادوا به باطلا فلا يقبل منهم، فإنهم لم يقولوه توحيدا ولا تسليما فلو قال ذلك عاص تاب من ذنبه نادما على ما سلف ثم عيره إنسان بذنبه بعد توبته ورجوعه إلى حال الصلاح فاحتج بالحكم، فذلك مقبول في الشريعة. وقال لي أستاذي: قل نؤمن بالقدر ولا نحتج به إلا في المصائب لا في المعائب إلا للتائب.

أمثلة: فيمن زعم أن التمسك بالحقيقة يغني عن اتباع الشريعة.

وقد تبين أن الحكم بالأسباب ومراعاة الأمر والنهي فرق وعبودية وشريعة والنظر إلى تصريف الله في خلقه جمع وتوحيد وحقيقة، فالحقيقة إذاً باطن الشريعة، ولا يغني ظاهر عن باطن ولا باطن عن ظاهر.

فمثال المتمسك بالشرع الغافل عن التصريف والحكم مثال عبد مملوك أعطاه سيده مالا وعلمه التجارة وكان لسيده حرمة يرعاه بها حيث ما توجه، فاتجر العبد زمانا وسافر شرقا وغربا في جاه سيده حتى حصلت له أرباح كثيرة، فغفل عن منة سيده وإسبال جاهه ورعايته لأجله، ونظر إلى اجتهاده وكسبه فمن أولى من هذا باللوم والعتاب ومن أحق منه بالطرد والحجاب.

ومثال الناظر إلى التصريف والحكم المعوض عن الشرع مثال عبد سلم إليه سيده خزائن ماله وأمره بالإنفاق على عياله والقيام بمصالح بهائمه، فقال في نفسه أنا من جملة العبيد وسيدي يطعم من يريد، وهو الغني الحميد، فخالف أمر سيده وضيع عياله، وأهلك أهله وأمواله، فهذا مثال من خالف وصف العبيد وزعم أنه معتمد على التوحيد، وهو كمن ألقى نفسه من فوق جبل وقال لا يموت أحد إلا بالقضاء والأجل، أو كمن شرب السم القاتل وقال كل مقدور حاصل، أو سرق مال مسلم وأكله، وقال هذا رزق يسره الله لي وسهله، ويا ليت شعري كيف يترامى المخالف لأوامر الله المستخف بشريعة الله، المتهاون بأحكام الله، إلى التوحيد، وهو من شرار العبيد، وإنما أهل التوحيد قوم اشتغلوا بالله عن حظوظ أنفسهم، واستفرغوا أوقاتهم في طاعة الله وذكروه وغابوا عن رؤية أعمالهم بحمده وشكره، علما منهم أنه ذكرهم فذكروه، ووفقهم فشكروه، وألهمهم فوحدوه، وجذبهم إليه فوجدوه، فأما من يضيع أوقاته بشهواته، ويقطع عمره في غفلاته، ويجعل اجتهاده في تحصيل لذاته، فكيف يدعي أنه من أهل التوحيد، أو يزعم أنه من أصحاب التفريد، فنسأل الله العفو من ذلك بمنه وحوله وقوته، قال الله تعالى ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ قوله «اصبر» تكليف وقوله «وما صبرك إلا بالله» فالعامل لله من يقصد بأعماله التقريب إلى الله، والعامل بالله من يرى الأعمال منة من الله.

واعلم أن الحقيقة نتيجة الطريقة لا الطريقة نتيجة الشريعة، كأنك إذا صفيت الشريعة يعني إذا عملت بما هو أقرب إلى الورع والتقوى غير ملاحظ إلى الرخصة تظهر منها الطريقة، وإذا انفتحت الطريقة يظهر منها أسرار الحقيقة، وليس المراد بالرخصة هنا ما هو كقصر الصلاة والجمع والفطر وغيرها بل المراد مثل مدارات الناس والإقبال على الأسباب من وجه حلال، وادخار الأموال بعد إخراج زكاتها، وإعدادها للنوائب، فهذا كله مباح في الشرع إلا أنه نزول عند القوم عن درجة الزهد والتوكل.

قال بعضهم عن الشريعة والطريقة والحقيقة : إذا أكل الصائم عمدا بطل صومه فى الشريعة، وإذا اغتاب أفطر صومه فى الطريقة، وإذا خطر بباله ما سوى الله أبطل صومه فى الحقيقة، فلا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة إلا بإثبات الأعمال المبينة ببيان صاحب الشرع، لأن كل طريقة تخالف الشريعة هى كفر، وكل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة فهى إلحاد وزندقة.

قال الشيخ نجم الدين : الشريعة كالسفينة، والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدر، فمن أراد الدر ركب فى السفينة ثم شرع فى البحر ثم وصل إلى الدر، فمن ترك هذا الترتيب لا يصل إلى الدر، فأول شيء وجب على الطالب فهو الشريعة والمراد منها أوامر الله ورسوله من الغسل والوضوء والصلاة والصوم وغير ذلك من الأوامر والنواهى، والطريقة هى الأخذ بالتقوى، وما يقربك إلى الله زلفى من قطع المنازل والمقامات، وأما الحقيقة فهى الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلى، قيل فى الصلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة فى الشريعة، والقربة فى الطريقة والوصلة فى الحقيقة، والصلاة جامعة لهذه الخصال الثلاث، كما قيل : الشريعة أن تعبد الله، والطريقة أن تحضره، والحقيقة أن تشهده. وروى عن النبى ﷺ أنه قال «الشريعة أقوال، والطريقة أفعال، والحقيقة أحوال، والمعروف رأس المال» وأما طهارة الشريعة بالماء والتراب، وطهارة الطريقة بالتخلية عن الهوى، وطهارة الحقيقة خلو القلب عما سوى الله تعالى، فمن زعم أن العبور من حجب البشرية، والوقوف على أسرار الطريقة والحقيقة ما يخالف الشريعة، فقد غلبت عليه الضلالة والنسيان واستهوته الشياطين فى الأرض حيران، حتى أوبقته فى أودية الهجران، وأهلكته فى قيعان الخسران انتهى.



فصل

فى الواقعات التى تظهر للسالك بين النوم واليقظة

وهو أنه إذا شرع فى رياضة النفس تظهر له العبودية فى عالم الملك والملكوت وفائدتها فى نظر السالك من يطلع على أحوال نفسه من الزيادة

والنقصان، والرفعة والوجد، والشوق إلى المنازل والمقامات والدرجات من العلوى والسفلى والحق والباطل، وبها يعرف أى صفة غالبة عليه من النفسانية والحيوانية والشيطانية والسبعية والقلبية والروحية والملكية والرحمانية؟ فإن كانت مستولية صفة من الصفات المذمومة: كالحرص والحسد والبخل والحقد والكبر والغضب والشهوة وغيرها، فإنها تظهر فى الواقعات حيوانات، فإن كانت صفة الحرص مستولية عليه تظهر بصفة الفأرة والنملة، وإن كانت صفة الحقد غالبة عليه تظهر بصفة العقارب والحيات، وإن كانت صفة الكبر غالبة عليه تظهر بصورة النمر، وإن كانت صفة البهائم غالبة تظهر بصورة الأغنام، وإن كانت صفة الشهوة غالبة تظهر بصورة الحمير، وإن كانت السبعية مستولية تظهر بصورة السباع، وإن كانت الشيطانية مستولية تظهر بصورة الشياطين والمردة والأباليس والغيلان، وإن كانت الحيلة والمكر غالبة تتمثل بالأرنب والثعلب، فإن رأى هذه الأشياء يعلم أن هذه الصفات غالبة عليها، فإن رأى الأنهار الجارية الصافية والكواكب والقمر والسماء مصحية يعلم أن هذه الصفات القلبية، وإن رأى الأنوار والصعود والعرض وطى الأرض، والذهاب إلى السماء والجو وكشف المعانى والعلوم اللدنية والإدراكات بلا واسطة الحواس، علم أنها من مقامات الروحانية، وإن رأى مطالعة الملوك والهواتف والأفلاك والأنجم والعرش والكرسى، علم أنها من صفات الملكية وحصول الصفات الحميدة، وإن رأى مشاهدات أنوار الغيب ومكاشفة صفات الإلهية والإلهامات والإشارات والوحى والتجلى لصفات الربوبية، علم أنها من مقامات التخليق بأخلاق الرحمانية.

وعلى الجملة من كل صفة كانت غالبة على النفس رآها السالك فى صورة تشاكل تلك الصفة.

واعلم أنه إذا بلغ مقام لا علم له به وانقطع عن السلوك فلابد له من شيخ، لأنه إذا كان سلوكه فى صفات النفس والقلب لابد له من شيخ، ولكن إذا بلغ بالمقام الروحانى فلا يمكن عبوره إلا بتصريف صاحب الولاية.

واعلم أن الواقعات القلبية والروحية والملكية تكون مع الذوق، ويحصل للنفس منها قوة وشرب وشوق، ويظهر لها التنفر عن المخلوقين ومستلذات عالم الشهوات ومشتهيات عالم الجسم، ويحصل لها الاستئناس مع المغيبات وعالم الروحانى، ولما ينكشف لها عالم الأسرار والحقائق تنقطع بالكلية إلى عالم الغيب، ثم بعد ذلك تحصل المشاهدة؟ وهى أن مرآة القلب إذا صقلت بلا إله إلا الله وحصلت لها الصقالة وذهب عنها الصدأ تظهر لها أنوار الغيب بحسب الصقالة فتكون أولا كالبرق واللوامع واللوايح، ثم كالسراج، ثم كالشمع ثم كالمشعل، ثم كالكواكب، ثم كالهلال، ثم كالبدر، ثم كالشمس، ثم أنوار مجردة، ووصف ذلك يطول، ثم من بعدها التجليات، ويليها المكاشفات، ثم الوصول إلى حقيقة المعرفة، وهذا آخر ما تيسر جمعه فى هذا الباب، بعون الله الملك الوهاب.

الباب الخامس
فى أحزابه ودعواته وأوراده وأذكاره
وما كان يعلمه لتلامذته فى المهمات

اعلم أن حقيقة الحزب هو الورد الوارد المعمول به تعبدا ونحوه، وهو فى الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية وتوجهات، وضعت للذكر والتذكر والتعوذ من الشر وطلب الخير، واستنتاج المعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله، ولم تكن فى الصدر الأول ولا من بعدهم بقليل، لكن جرت على أيدى المشايخ الصوفية وصالحى الأمة بحكم التصرف والنظر السديد، إشفالا للطالبين، وإعانة للمريدين، وتقوية للمحبين، وحرمة للمنتسبين، وترقية للمتوجهين من العباد والزهاد، وأهل الطاعة والسداد، فتحا للباب حتى يدخله عوام المؤمنين، لما رأوا قصر الهمم، وضعف العزائم، وبعد النيات، ونقص القرائح، واستيلاء الغفلة، ومرض القلوب، وقلة اليقين. وأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم مؤيدة بعلوم مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكرامتهم حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فى شأن حزبه الكبير: من قرأه كان له ما لنا وعليه ما علينا، وقد تقدم بيان ذلك.

واعلم أن أحزاب الشيخ رضى الله عنه جامعة بين إفادة العلم وآداب التوحيد وتعريف الطريقة وتلويح الحقيقة، وذكر جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، وذكر حقارة النفس وخستها، والتنبيه على خدعها وغوايتها، والإشارة لوصف الدنيا والخلق، وطريقة الفرار من ذلك ووجه حصول، والتذكر بالذنوب والعيوب، والتنصل منها مع الدلالة على خاص التوحيد وخالصه، واتباع الشرع ومطالبه، فهى تعليم فى قالب التوجه، وتوجه فى قالب التعليم، من نظرها من حيث العلم وجده كامنا فيها، ومن نظرها من حيث العمل فهى عينه، ومن نظرها من حيث الحال وجده كامنا فيها، وقد

شهد شاهدها بذلك عند الخاص والعام، فلا يسمع أحد من كلامها شيئا إلا وجد له أثرا فى نفسه ولا يقرؤها إلا كان مثل ذلك، ما لم يكن مشغولا ببلوى، أو مشغوفا بدنيا، أو مصروفا بدعوى، أعاذنا الله تعالى من البلاء.

واعلم أن للشارع فى كل باب من المطالب إفادة، وللأولياء من ذلك زيادة فمن جمع بين إفادة الشارع وزيادة الأولياء كان على اهتداء واقتداء، ومن أفرد أحدهما كان نقصه بحسب ذلك، لكن نقص الاهتداء يمنع الإفادة، ونقص الاقتداء قد لا يضر، لأنه مقو فقط، والوقوف معه بهجران ما ورد عن الشارع مضر دنيا وأخرى، فإذا أردت العمل بذكر ورد عن ولى فى باب فقدم ما ورد عن الشارع فى ذلك، وسأذكر لك فى ذلك سبعة أمثلة:

أولها: إذا أردت استعمال حزب البحر للسلامة من عطبه فقدم عند ركوبه (بسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) إذ جاء فى الحديث أنه أمان من الغرق.

والثانى: إذا أردت الخروج من الضيق إلى السعة بما كان يعلمه لأصحابه من قوله «يا واسع يا عليم، ياذا الفضل العظيم، أنت ربى وعلمك حسبى، إن تمسنى بضر فلا كاشف له إلا أنت وإن تردنى بخير فلا راد لفضلك، تصيب من تشاء من عبادك وأنت الغفور الرحيم» وتقدم ملازمة الاستغفار، إذ جاء أن الله يجعل لملازمه من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ويرزق من حيث لا يحتسب، واستعمل دعاء الكرب المروى فى البخارى، «لا إله إلا الله الحكيم الكريم لا إله إلا الله رب العرش العظيم» وما جاء فى سنن أبى داود عن أبى أمامة رضى الله عنه الذى اشتكى ديونا وهموما اعترته فعلمه عليه الصلاة والسلام «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن» إلى آخره قال له قله بعد الصباح والمغرب.

الثالث: إذا أردت النصر على الأعداء باستعمال ما كان الشيخ يعلمه

أصحابه لذلك من قوله : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون. اللهم اجعل كيدهم فى نحورهم، واكفنا شرورهم، حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى حسبنا الله ونعم الوكيل وقال يذكر سبعا دبر كل صلاة، فيقدم عليه ما كان النبى ﷺ يقوله إذا خاف عدوا قال «اللهم اكفنا بما شئت وكيف شئت» وكان عليه الصلاة والسلام إذا خاف قوما قال «اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك فى نحورهم».

الرابع : إذا أردت السلامة من ظالم تدخل عليه باستعمال ما أشار به الشيخ رضى الله عنه من قوله تعالى (وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) فقدم ما جاء فى الحديث لمن خاف سلطانا أو ظالما أن يقول الله أكبر الله أعز من خلقه جميعا الله أعز مما أخاف، أعوذ بالله الذى لا إله إلا هو الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس. اللهم كن لى جارا من شرهم، جل ثناؤك وعز جارك ولا إله غيرك ثلاث مرات» كما رواه الطبرانى وغيره.

الخامس: قال الشيخ رضى الله عنه : إذا أردت أن لا يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم ولا كرب، ولا يبقى عليك ذنب، فأكثر من سبحان الله وبحمده لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. اللهم ثبت علمها فى قلبى، واغفر لى ذنبى واغفر للمؤمنين والمؤمنات، والحمد لله وسلام على عباده، الذين اصطفى، فمن أراد فليستعمل معه «اللهم إنى عبدك ابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك، ماضٍ فىّ حكمك عدل فى قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى وبصرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، فما قاله أحد ألا أذهب الله همه، وأبدله مكان همه فرجا».

السادس : حزب البحر والحفيظة التى أولها : بسم الله المهيمن، موضوع كلاهما للجلب والدفع. وقد جاء فى الحديث «أعوذ بكلمات الله التامات من

شر ما خلق ثلاثا» عند نزول المنزل في السفر أمان حتى يرتحل منه، وجاء أن لإيلاف قريش لنفي وحشة المنزل، وجاء أن (قل هو الله أحد) والمعوذتين ثلاثا صباحا ومساء تكفيك من كل شيء، وجاء أيضا «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» من قالها ثلاثا صباحا لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي، ومن قالها مساء كذلك حتى يصبح.

السابع: قد ذكر المشايخ وجوها وأذكارا لطلب الغنى، وفي الحديث: «يقول بين الفجر والصبح: سبحان الله العظيم وبحمده سبحان من يمن ولا يمن عليه، سبحان من يجير ولا يجار، سبحان من يبرأ من الحول والقوة إليه، سبحان من التسبيح منة منه على من اعتمد عليه، سبحان من يسبح كل شيء بحمده، سبحانك لا إله إلا أنت يا من يسبح له الجميع تداركني بعفوك فإني جزوع ثم يستغفر الله مائة مرة فإنه لا يأتي عليه أربعون يوما إلا وقد أتته الدنيا بحذافيرها» وهو مجرب الفائدة.

والحاصل من هذا كله أن أسرار الأولياء مقيدة بأسرار الشريعة، فمن أراد نجح مقصده فليقدم الشرعيات ثم يتبعها بما هو من نوعها، وقد أشار لذلك أبو العباس البوني في كتابه (قبس الاقتداء إلى وفق السعادة) حيث قال من عرف أوراده إلى آخره، فانظر واعلم أن الذكر والدعاء لا يبدل قدرا ولا يغير قضاء، وإنما هي عبودية اقترنت بسبب كاقتران الصلاة بوقتها، ورتب عليها الإجابة كما رتب ثواب الصلاة عليها. وبالجملة فهو يفيد عين المقصود أو اللطف في القضاء وسهولة الأمر على النفس حتى تبرد حرقة الاحتياج التي هي مقصود الطالب، فتوجه مفوضا مستسلما حسن الظن بالله عز وجل فيما تطلب، وأتبع ذلك بالرضا والتسليم وربك الفتاح العليم.

ولنبدأ من الأحزاب بحزب البحر، لأن الشيخ رضي الله عنه نبه على فضله وأوصى به أصحابه عند موته كما تقدم، واعتنى به المشايخ كثيرا، ووضعوا له شروحا وخواص. وقال سيدي زروق في شرحه عليه: واختصاص

تسميته، بحزب البحر لأنه وضع فيه ومن أجله، وفيه وقع أول التوجه به، ولذكر البحور المذكورة لما ذكرت به من أسمائها وأماكنها ولأنه بحر في علمه وخواصه بحيث إنه لو توجه أحد بالشرح على حقيقته لم يقدر على استيفاء معانيه، ويكفي في ذلك ما فيه من الفواتح أعني الحروف المرموزة في أوائل السور، فقال سيدنا على كرم الله وجهه: إنه لو شاء وضع وقر سبعين بعيراً في معاني كهيعص، وكذلك القول فيما هو من نوعها.

وأما سبب وضعه، فإن الشيخ سافر في بحر القلزم مع نصراني بقصد الحج فتوقف عليهم الريح أياما فرأى النبي ﷺ في مبشرة فلقنه إياه فقرأه وأمر النصراني بالسفر، فقال وأين الريح؟ فقال افعل فإنه الآن يأتيك، فكان الأمر كما قال: وأسلم النصراني بعد ذلك.

وأما التصرف بهذا الحزب، فهو بحسب النية والهمة يتصرف به في الجلب والدفع، وينوى المراد عند قوله وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى كذا قال ابن عياد رحمه الله فيما رأيت بخطه وهو صحيح. قال ابن عطاء الله في لطائف المنن هو ورد بعد العصر والحزب الكبير وبعد صلاة الصبح. وحزب الشيخ أبي العباس بعد العشاء، قلت: ومناجاة حكم ابن عطاء الله عند السحر ولكل سر يخصه، يعرفه المواظب لها في أقرب مدة إذا لازم التقوى والاستقامة دون كثير تكلف، والله أعلم انتهى من شرح الحزب لسيدى أحمد زروق.

قال الشيخ عبد الرحمن البسطامي في حزب البحر: أنه قد بسط في الأرض وكثر ونشر لواؤه وظهر وقرئ في المساجد والجوامع وأعلن به في الأماكن والمواضع. وقد قال العلماء إن فيه الاسم الأعظم والسر الجامع الأكبر حتى جاء عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي أنه قال: لو ذكر حزبي في بغداد لما أخذت، وهو العدة الوافية، والجنة الواقية التي فيها تفرج الكروب بلطائف الغيوب، وما قرئ في مكان إلا سلم من الآفات، وحفظ من حوادث العاهات، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية، ولأهل النهايات أنوار صافية. ومن

ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله دعوته، وفرج كربته، ورفع بين الناس قدره، وشرح بالتوحيد صدره، وسهل أمره، ويسر عسره، وكفاه شر الإنس والجن، وآمنه من شر طوارق الليل والنهار، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه، وإذا قرأه عند جبار أمن من شره. ومن قرأه دبر كل صلاة أغناه الله عز وجل عن خلقه، وآمنه من حوادث دهره، ويسر عليه أسباب السعادة فى جميع حركاته وسكناته. ومن ذكره فى الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته فى القلوب. قال بعض العلماء: ومن كتبه على شيء كان محفوظا بحول الله وقوته. ومن استدام على قراءته لا يموت شريقا ولا غريقا ولا حريقا ولا بريقا. وإذا حبس الريح على أهل سفينة وذكروه جاءهم الريح الطيب بإذن الله تعالى. ومن كتبه على سور حائط مدينة أو دار حرس الله تلك المدينة والدار من شر طوارق الحوادث والآفات، وله منافع جليلة فى الحروب. ومن كتبه فى رق طاهر والمريخ فى شرفه أو فى الساعة الأولى من السبت والقمر زائد فى النور بجمع همة وحسن حال شاهد من بديع صنع الله ما تقصر عنه الألسنة، وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم جنها وإنسها، وقد اختصرنا فى ذكر منافعه، ولله در من قال:

ففى البحر فاذكره يريك عجائبا ... وتيسير أسباب وأمراً مسددا
ترى البحر مطواعا ترى الريح لينا ... ترى اللطف من قرب ترى الوقت مسعدا

وهو هذا الحزب المبارك نفعنا الله به آمين:

حزب البحر

بسم الله الرحمن الرحيم، يا على يا عظيم يا حليم يا عليم، أنت ربى وعلمك حسبى، فنعم الرب ربى، ونعم الحسب حسبى تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم نسألك العصمة فى الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام، الساترة للقلوب من مطالعة الغيوب، فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) فثبتنا وانصرنا وسخر لنا

هذا البحر كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الجن والشياطين لسليمان، سخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء، والملك والملكوت. وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء كهيعص ثلاثا، انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، وهب لنا ريحا طيبة كما هي في علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك، وحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير. اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا، وكن لنا صاحبا في سفرنا وخليفة في أهلنا واطمس على وجوه أعدائنا، وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجئ إلينا (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) شاهت الوجوه ثلاثا (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما – طس – حمعسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) حم حم حم حم حم حم حم، حُمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير) بسم الله بابا تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهيعص كفايتنا، حمعسق حمايتنا (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ثلاثا، ستر العرش مسبول علينا وعين الله ناظرة إلينا، بحول الله لا يقدر علينا (والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ – فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) ثلاثا (إن وليِّيَ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى

الصالحين) ثلاثا (حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) ثلاثا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ثلاثا هذه رواية سيدى زروق وفى رواية يزاد «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم» ثلاثا «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» ثلاثا وهذا الحزب ورد بعد العشاء قال فى لطائف المنن: إنه لسيدى أبى العباس وبعضه من كلام الشيخ. وقال صاحب درة الأسرار إنه رواه عنه قال: وحدثنا به الشيخ الصالح أبو حرز مسعود الكردى عام خمسة عشر وسبعمائة وهو :

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد) إلى آخرها (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق) إلى آخرها (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس) إلى آخرها ثم تبسمل وتقرأ الفاتحة ثم تبسمل وتقرأ (الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين - إلى المفلحون - وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم - الله لا إله إلا هو الحى القيوم) إلى قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه) إلى آخر السورة، ثم تقرأ (الٓمٓ الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان - يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر - اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان... تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام).

سبحان ربى العظيم ثلاثا (سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذى خلق السموات

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) اللهم يا من هو كذلك وعلى ما وصفه به عباده المخلصون من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء الموقنين والأولياء المقربين من أهل سمواته وأرضه وسائر خلقه أجمعين، أسألك بها وبالآيات كلها، وبالعظيم منها وبالأم والسيدة وبخواتم سورة البقرة، وبالمبادئ والخواتم، وبآمين على الموافقة، وبراء الرحمة وحاء الحمد وميم الملك ودال الدوام (محمد رسول الله والذين معه) إلى آخر السورة «أحون قاف ادم حم هاء آمين» كهيعص اغفر لي وارحمني برحمتك التى رحمت بها أنبياءك ورسلك ولا تجعلني بدعائك رب شقيا وإني خفت وأخاف ثم لا أهتدى إليك سبيلا، فاهدني إليك وأمني بك من كل خوف ومخوف في الدين والدنيا إنك على كل شيء قدير.

اللهم يابديع السموات والأرض يا قيوم الدارين، يا قيوما بكل شيء، يا حي يا قيوم يا إلهنا وإله كل شيء لا إله إلا أنت كن لنا وليا ونصيرا، وآمنا بك من كل شيء حتى لا نخاف إلا أنت، واجعلنا في جوارك واحجبنا بالذى حجبت به أولياءك فترى ولا يراك أحد من خلقك، واصبب علينا من الخير أكمله وأجمله، واصرف عنا من الشر أكبره وأصغره طس حم عسق (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) اللهم إنا نسألك الخوف منك، والرجاء فيك، والمحبة لك، والشوق إليك، والأنس بك، والرضا عنك، والطاعة لأمرك على بساط مشاهدتك ناظرين منك إليك وناطقين بك عنك، لا إله إلا أنت سبحانك ربنا ظلمنا أنفسنا وقد تبنا إليك قولا وعقدا فتب علينا جودا وعطفا، واستعملنا بعمل ترضاه، وأصلح لنا في ذريتنا إنا تبنا إليك وإنا من

المسلمين، يا غفور يا ودود يا بر يا رحيم، اغفر لنا ذنوبنا. وقربنا بودك، ووصلنا بتوحيدك، وارحمنا بطاعتك، ولا تعاقبنا بالفترة ولا بالوقفة مع شيء دونك، واحملنا على سبيل القصد، واعصمنا من جائرها إنك على كل شيء قدير. اللهم جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصدق والنية والإخلاص والإرادة، والخشوع والهيبة والحياء والمراقبة، والنور واليقين والعلم والمعرفة، والعصمة والنشاط والفصاحة، والحفظ والقوة والبيان، والفتح فى القرآن، وخصنا منك بالمحبة والاصطفاء، والتخصيص والتولية، وكن لنا سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا، وآتنا العلم اللدنى، والعمل الصالح، والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا، ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة، على بساط التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع، وأدخلنا مدخل صدق، وأخرجنا مخرج صدق، واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا، يا على يا عظيم، يا حليم يا عليم، يا سميع يا بصير، يا مريد يا قدير، يا حى يا قيوم، يا رحمن يا رحيم، يا من هو يا هو، أسألك بعظمتك التى ملأت أركان عرشك، وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شيء، وبعلمك المحيط بكل شيء، يا من هو أقرب إلى من كل شيء، قد قل حيائى، وعظم افترائى، وبعد منائى، واقترب شقائى وأنت البصير بمحنتى وحيرتى وشهوتى وسوأتى، تعلم ضلالتى وعمايتى وفاقتى وما قبح من صفاتى، آمنت بك وبأسمائك وصفاتك، وبمحمد رسولك، فمن ذا الذى يرحمنى غيرك. ومن ذا الذى يسعدنى سواك، فارحمنى وأرنى سبيل الرشد، واهدنى إليه سبيلا، وأرنى سبيل الغى، وجنبنى إياه سبيلا، واصحبنى يا مبين، يا فتاح افتح قلبى بنورك، وعلمنى من علمك، وفهمنى عنك، وأسمعنى منك، وبصرنى بك، وقدرنى بنور قدرتك، وأحينى بنور حياتك، واجعل مشيئتى مشيئتك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنى أمسيت أريد الخير وأكره الشر، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فاهدنى بنورك

لنورك، فيما يرد على منك، وفيما يصدر منى إليك، وفيما يجرى بينى وبين خلقك، وضيق على بقربك، واحجبنى بحجب عزتك وعز حجبك، وكن أنت حجابى حتى لا يقع شىء منى إلا عليك، وسخر لى أمر هذا الرزق، واعصمنى من الخلق والحرص والنصب فى طلبه، ومن شغل القلب وتعلق الهم والنفس به، ومن الذل للخلق بسببه، ومن التفكر والتدبر فى تحصيله، ومن الشح والبخل بعد حصوله، وما يعرض فى النفس من ذلك، وتخلقه بقدرتك على علمك وإرادتك، ومن ضرورة الحاجة إلى خلقك، واجعله اللهم سببا لإقامة العبودية ومشاهدة أحكام الربوبية، وهب لنا حصة من حصاتك، ونورا من أنوارك، وذكرا من أذكارك، وسرا من أسرارك، وطاعة من أنبيائك، وصحبة لملائكتك. وتولى أمرى بذاتك، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك، واجعلنى حسنة من حسناتك، ورحمة بين عبادك، نهدى بها من تشاء إلى صراط مستقيم (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور).

اللهم اهدنى لنورك بقدرتك، وأعطنى من فضلك، وامنعنى من كل عدو لك، ومن كل شىء يشغلنى عنك. وهب لى لسانا لا يفتر عن ذكرك، وقلبا يسمع بالحق منك، وروحا يكرم بالنظر إلى وجهك، وسرا ممتعا بحقائق قربك، وعقلا حامدا لجلال عظمتك، وزين ما ظهر وما بطن منى بأنواع طاعتك، يا الله يا سميع يا عليم يا عزيز يا حكيم.

اللهم كما خلقتنى فاهدنى، وكما أمتنى فأحينى، وكما أطعمتهم فأطعمنى وأسقنى، ومرضى لا يخفى عليك فاشفنى، وقد أحاطت بى خطيئتى فاغفر لى وهب لى علما يوافق علمك. وحكما يصادف حكمك، واجعل لى لسان صدق بين عبادك، واجعلنى من ورثة جنتك، ونجنى من النار بعفوك، وأدخلنى الجنة حالا ومآلا برحمتك، وأرنى وجه نبيك محمد ﷺ، وارفع الحجاب فيما بينى وبينك، واجعل مقامى دائما بين يديك، وناظرا منك إليك، وأسقط البين عنى حتى لا يكون بين بينى وبينك، واكشف لى عن حقيقة الأمر

كشفا لا أطالب بعده لغيرك من المزيد المضمون بكريم وعدك، إنك على كل شيء قدير، يا الله يا عزيز يا حكيم. أنت الذى أيدت من شئت بما شئت كيف شئت على ما شئت، فأيدنا بنصرك لخدمة أوليائك، ووسع صدورنا بمعرفتك عند ملاقاة أعدائك، واجلب لنا من رضيت عنه حتى نخضع له ونذل ما جلبته لمحمد رسولك، واصرف عنا كيد من سخطت عليه كما صرفته عن إبراهيم خليلك، وآتنا أجرنا فى الدنيا بالعافية من أسباب النار، ومن ظلم كل جبار، وسلامة قلوبنا من جميع الأغيار. وبغض لنا الدنيا وحبب لنا الآخرة، واجعلنا فيها من الصالحين إنك على كل شيء قدير، يا الله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بر يا رحيم، عبدك قد أحاطت به خطيئته، وأنت الرحيم العظيم وندائى كأنه لا يسمع وأنت السميع، وقد عجزت عن سياسة نفسى وأنت العليم وأنى لى برحمتها وأنت البر الرحيم؟ كيف يكون ذنبى عظيما مع عظمتك، أم كيف تجيب من لم يسألك وتترك من سألك؟ أم كيف أسوس نفسى بالبر وضعفى لا يعزب عنك؟ أم أرحمها بشيء وخزائن الرحمة بيدك؟

إلهى عظمتك ملأت قلوب أوليائك فصغر لديهم كل شيء، فاملأ قلبى بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم عليه شيء، واسمع ندائى بخصائص اللطف فإنك السميع لكل شيء. إلهى ستر عنى مكانى منك حتى عصيتك وأنا فى قبضتك واجترحت ما اجترحت فكيف بالاعتذار إليك. إلهى جذبك لى أطمعنى فيك وحجابى عنك آيسنى منك، فاقطع حجابى حتى أصل إليك، واجذبنى جذبة حتى لا أصل بعدها إلى غيرك، إلهى كم من حسنة ممن لا تحب لا أجر لها، وكم من سيئة ممن تحب لا وزر لها؟ فاجعل سيئاتى سيئات من أحببته، ولا تجعل حسناتى حسنات من أبغضته، فإن كرم الكريم مع السيئات أتم منه مع الحسنات، فأشهدنى كرمك على بساط رحمتك، ورضنى بقضائك، وصبرنى على طاعتك فيما أجريت على من أمرك ونهيك، وأوزعنى شكر نعمتك، وغطنى برداء عاقبتك حتى لا أشرك بك غيرك، وامنن على بالفهم عنك إنك على كل شيء قدير.

إلهى معصيتك نادتنى بالطاعة وطاعتك نادتنى بالمعصية، ففى أيهما أخافك وفى أيهما أرجوك؟ إن قلت بالمعصية قابلتنى بفضلك فلم تدع لى خوفا، وإن قلت بالطاعة قابلتنى بعدلك فلم تدع لى رجاء، فليت شعرى كيف أرى إحسانى مع إحسانك؟ أم كيف أجهل فضلك مع عصيانى لك «قاف جيم» سران من سرك وكلاهما الآن على غيرك، فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعنى لغيرك، إنك على كل شىء قدير، يا الله يا فتاح يا غفار يا منعم يا هادى يا ناصر يا عزيز هب لى من نور أسمائك ما أتحقق به من حقيقة ذاتك، وافتح لى واغفر لى وأنعم على واهدنى وانصرنى وأعزنى، يا معز يا مذل لا تذللنى بتدبير مالك، ولا تشغلنى عنه بمالك، فالكل كلك، والأمر أمرك، والسر سرك، عدمى وجودى ووجودى عدمى، فالحق حقك، والجعل جعلك، ولا إله غيرك، وأنت الحق المبين، يا عالم السر وأخفى، يا ذا الكرم والوفاء، يا ذا الجلال والإكرام، علمك قد أحاط بعبدك وقد شقى فى طلبك، فكيف لا يشقى من طلب غيرك؟ تلطف لى حتى علمت أن طلبى لك جهل وطلبى لغيرك كفر، فأجرنى من الجهل واعصمنى من الكفر، يا قريب أنت القريب وأنا البعيد، قربك قد آيسنى من غيرك، وبعدى عنك ردنى إلى الطلب إليك، فكن لى بفضلك حتى تمحو طلبى بطلبك، إنك على كل شىء قدير، يا قوى يا عزيز.

اللهم لا تعذبنا بإرادتنا وحب شهواتنا، فنشغل أو نحجب أو نفرح بوجود مرادنا، أو نحزن أو نسخط أو نسلم تسليم النفاق عند الفقد وأنت أعلم بقلوبنا، فارحمنا بالنعيم الأكبر والمزيد الأفضل والنور الأكمل، وغيبنا وغيب عنا كل شىء، وأشهدنا إياك بالإشهاد، وانصرنا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الإشهاد، يا الله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم. اللهم إنا نسألك بالقدرة العظمى، وبالمشيئة العليا، والآيات الكبرى، والأسماء كلها. وبهذا العظيم منها أن تسخر لنا هذا البحر وكل بحر هو لك فى الأرض والسماء والملك والملكوت، وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل بحر وسخر لى كل جبل، وسخر لى كل حديد، وسخر لى كل شيطان من الجن والإنس، وسخر لى

نفسى وسخر لى كل شىء، يا من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه، يا على يا عظيم ياحليم يا عليم «أحون قاف آدم حم هاء آمين» (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم وارض عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهذا الحزب الكبير

الذى قال فى حقه الشيخ رضى الله عنه: من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا. وقال: ما كتبت منه حرفا إلا بإذن الله ورسوله، وهو ورد بعد الصبح ولا يتكلم حال تلاوته، وله سر عظيم فى كل شىء لا يعلمه إلا الله وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم - بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) الر كهيعص حم عسق (رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون - طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) ثلاثاً.

اللهم إنك تعلم أني بالجهالة معروف، وأنت بالعلم موصوف، وقد وسعت كل شيء من جهالتي بعلمك، فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك، واغفر لي إنك على كل شيء قدير يا الله يا مالك يا وهاب، هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك، واكسنا كسوة تقينا بها من الفتن في جميع عطاياك، وقدسنا بها عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به في علمك عمن سواك، يا الله يا عظيم يا علي يا كبير، نسألك الفقر عما سواك، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك، والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك، واكسنا جلابيب العصمة في الأنفاس واللحظات، واجعلنا عبيدا لك في جميع الحالات، وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين في المحيا والممات.

اللهم أنت الحميد الرب المجيد الفعال لما تريد، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا؟ وتعلم حزننا كذلك، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا، ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد، بروح من عندك فيما تريد، كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فهنيئا لمن عرفك فرضي بقضائك، والويل لمن لم يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك.

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك، فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته وظهرت الشقاوة علي من غيرك ملكه فهب لنا من مواهب السعداء، واعصمنا من موارد الأشقياء.

اللهم إنا عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم، وقد أمرتنا ونهيتنا والمدح والذم ألزمتنا، فأخو الصلاح من أصلحته وأخو الفساد من أضللته، والسعيد حقا من

أغنيته عن السؤال منك والشقى من أحرمته مع كثرة السؤال لك، فأغننا بفضلك عن سؤلنا منك، ولا تحرمنا من رحمتك مع كثرة سؤلنا لك، واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، يا شديد البطش يا جبار يا قهار يا حكيم، نعوذ بك من شر ما خلقت ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت، ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألكه نبيك سيدنا محمد ﷺ، عز الدنيا بالإيمان والمعرفة وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة، إنك سميع قريب مجيب.

اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو فى علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدى ذلك كله (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم) أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك ونور عينك وكمال أعينك أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك، وتعلقت به قدرتك، وأحاط به علمك، واكفنا شر ما هو ضد لذلك، وأكمل لنا ديننا وتمم علينا نعمتك، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة والموتة الحسنة، وتول قبض أرواحنا بيدك، وحل بيننا وبين غيرك فى البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك وجميل فضلك، إنك على كل شيء قدير يا الله يا على يا عظيم يا حكيم يا كريم، يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد وسوء الخلق، واغفر لنا ذنوبنا، واقض عنا تبعاتنا، واكشف عنا السوء، ونجنا من الغم، واجعل لنا منه فرجا ومخرجا، إنك على كل شيء قدير، يا الله يا الله يا الله، يا لطيف يا رزاق يا قوى يا عزيز، لك مقاليد السموات والأرض، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم

لنا بالسعادة التى ختمت بها لأوليائك، واجعل لنا برزخا بيننا وبين أعدائك، واجعلْ خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة، وأدخلنا بفضلك فى ميادين الرحمة، واكسنا من نورك جلابيب العصمة، واجعل لنا ظهيرا من عقولنا، ومهيمنا من أرواحنا، ومسخرا من أنفسنا ﴿كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا﴾ وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة، وافتح أسماعنا وأبصارنا، واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن ما تذكرنا به إذا ذكرناك، وارحمنا إذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك، واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك، فإنك بكل شيء عليم.

اللهم إنا نسألك لسانا رطبا بذكرك، وقلبا منعما بشكرك، وبدنا هينا لينا لطاعتك، وأعطنا مع ذلك مالا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما أخبر به رسولك ﷺ حسبما علمته بعلمك، وأغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك، وبرزخا بينهم وبين أعدائك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك إيمانا دائما ونسألك قلبا خاشعا، ونسألك علما نافعا، ونسألك يقينا صادقا، ونسألك دينا قيما، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس.

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة، والمغفرة الشاملة، والمحبة الجامعة، والخلة الصافية والمعرفة الواسعة، والأنوار الساطعة، والشفاعة القائمة، والحجة البالغة، والدرجة العالية، وفك وثاقنا من المعصية، ورهاننا من النعمة، بمواهب المنة، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى

طرائقها، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنبناه منها، واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها، وأفض علينا من بحر كرمك وفضلك وجودك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها، بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها.

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا تابعة إليك منا، وهب لنا التقي منك كتقي آدم عندما تلقى منك الكلمات، ليكون قدوة لولده في التوبة والأعمال الصالحات وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس الغواة، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف، فآمن خوفنا، ولا تخيب رجاءنا وأعطنا سؤلنا، فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك، وكتبت وحببت وزينت وكرهت وأطلقت الألسن بما به ترجمت، فنعم الرب أنت، فلك الحمد على ما أنعمت فاغفر لنا، ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا.

اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على طاعتك وعن معصيتك، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الإيمان بك والتوكل عليك، حتى لا نخاف غيرك، ولا نرجو غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئا سواك، وأوزعنا شكر نعمائك، وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، يا نعم المجيب ثلاثا، يا من هو هو في علوه قريب، يا ذا الجلال والإكرام، يا محيطا بالليالي والأيام، أشكو إليك من غم الحجاب، وسوء الحساب، وشدة العذاب،

وإن ذلك لواقع ما له من دافع إن لم ترحمني، (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ثلاثا.

ولقد شكى إليك يعقوب فخلصته من حزنه، ورددت عليه ما ذهب من بصره، وجمعت بينه وبين ولده، ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولدا من صلبه بعد يأس أهله وكبر سنه، ولقد علمت ما نزل بإبراهيم فأنقذته من نار عدوه، وأنجيت لوطا وأهله من العذاب النازل بقومه فها أنا ذا عبدك إن تعذبني بجميع ما علمت فأنا حقيق به، وإن ترحمني كما رحمتهم مع عظم إجرامي فأنت أولى بذلك وأحق من أكرم به، فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن تحسن إلا لمن أحسن إليك وأنت المفضال الغني، بل من الكرم أن تحسن إلى من أساء إليك وأنت الرحيم العلي، كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا فأنت أولى بذلك منا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

يا الله يا الله يا الله يا رحمن يا رحيم، يا حي يا قيوم، يا من هو هو هو يا هو، إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهلا أن تنالنا، يا رباه يا مولاه يا مغيث من عصاه أغثنا ثلاثا، يا رب يا كريم وارحمنا يا بر يا رحيم، يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبي من هم الرزق، وخوف الخلق، واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء؟ كلا إني أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني، إنك على كل شيء قدير (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله

الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وارحم محمدا وآل محمد، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت ورحمت وباركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد.

اللهم وارض عن ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء وعن الصحابة أجمعين، وعن أزواج نبيك أمهات المؤمنين وعن التابعين وتابعى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العالمين.

وهذا حزب الآيات

رواه صاحب درة الأسرار مع الحزب المتقدم ولم يفصل بينهما وسمى مجموعهما الحزب الكبير العظيم والحجاب الشريف الكريم، وغالب النسخ أن الحزب المتقدم أوله (وإذا جاءك الذين) كما تقدم مجردا عن حزب الآيات وكذلك قال سيدى تاج الدين فى لطائف المنن: وقد قيل إن الشيخ رضى الله عنه كان يقرؤه مجردا تارة وتارة مع هذه الآيات فاختلفت الروايات، وهو هذا:

(بسم الله الرحمن الرحيم) أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولولا رحمة الله الرحيم الرحمن لما قلتها نزهنا بها من الفتن والدنس والرجس والنجس، ومن الذنب والعيب، ومن سقوط الخشية فى الغيب (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) ربى الله (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم - على الله

توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين - على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين - قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب - قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون - حسبنا الله ونعم الوكيل) نسألك نعمة منك وفضلا ورضوانا، وسلامة من كل سوء فى الدنيا والآخرة وما بينهما فإنك ذو فضل عظيم، حسبى الله آمنت بالله، رضيت بالله، توكلت على الله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله (إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله إلى قوله وبشر المؤمنين - قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون إلى قوله هم فيها خالدون - إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إلى قوله وأجرا عظيما - إن الإنسان خلق هلوعا إلى قوله أولئك فى جنات مكرمون).

اللهم إنا نسألك صحبة الخوف وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر، ونسألك سر الأسرار المانع من الإصرار، حتى لا يكون لنا مع الذنب والعيب قرار، واجنبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التى بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بهن إبراهيم خليلك، (فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح، اسلك بنا سبيل أئمة المتقين.

(بسم الله الرحمن الرحيم - والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا أننا آمنا إلى قوله إن الدين عند الله الإسلام - إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار إلى قوله إنك لا تخلف الميعاد - ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين - ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا إلى آخر سورة البقرة - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إلى قوله إن الله لا يخلف الميعاد - ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول إلى قوله وذلك جزاء

المحسنين - وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله إلى قوله الكافرين - ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا - ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين -ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إلى قوله ومقاما - ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما إلى قوله وذلك هو الفوز العظيم - ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون - ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان إلى قوله رحيم - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا إلى قوله العزيز الحكيم - ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير).

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد) إلى آخرها ثلاثا (قل أعوذ برب الفلق) إلى آخرها ثلاثا (قل أعوذ برب الناس) إلى آخرها ثلاثا مع البسملة فى كل سورة مرة.

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور إلى قوله ويعلم ما تكسبون - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم إلى قوله رب العالمين - وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا إلى آخر السورة - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب إلى قوله ماكثين فيه أبدا - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون - الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج إلى الغفور - الحمد لله فاطر السموات والأرض إلى وهو العزيز الحكيم - ضرب الله مثلا عبدا مملوكا إلى قوله لا يعلمون - وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) إلى آخر السورة (هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) إلى آخر السورة (فسبحان الله حين تمسون إلى قوله تخرجون - سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).



وهذا حزب الفتح المشهور المعروف بالبركات



وبه فتح على الشيخ رضى الله عنه، ويسمى بحزب الأنوار أيضا وهو رواية ابن الصباغ فى درة الأسرار، وقراءته تكون بعد الصبح أيضا وهو هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إنا نسألك إيمانا لا ضد له. ونسألك توحيدا لا يقابله شرك، وطاعة لا يقابلها معصية بعد التنزيه من النقائص والأدناس. ونسألك محبة لا لشىء ولا على شىء وخوفا لا من شىء ولا على شىء. ونسألك تنزيها لا من نقص ولا من دنس بعد التنزيه من النقائص والأدناس. ونسألك يقينا لا يقابله شك ونسألك تقديسا ليس وراءه كمال. وعلما ليس فوقه علم. ونسألك الإحاطة بالأسرار وكتمانها عن الأغيار. رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى وهب لى تقواك، واجعل لى من كل ذنب وهم وغم وضيق وسهو وشهوة ورغبة ورهبة وخطرة وفكرة وإرادة وفعلة وغفلة، ومن كل قضاء وأمر مخرجا، أحاط علمك بجميع المعلومات، وعلت قدرتك على جميع المقدورات، وجلت إرادتك أن يوافقها أو يخالفها شىء من الكائنات حسبى الله ثلاثا، وأنا برئ مما سوى الله (لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) لا إله إلا الله، نور عرش الله، لا إله إلا الله نور لوح الله لا إله إلا الله نور قلم الله لا إله إلا الله نور رسول الله، لا إله إلا الله نور سر رسول الله لا إله إلا الله نور سر ذات رسول الله، لا إله إلا الله آدم خليفة الله لا إله إلا الله نوح رسول الله، لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله، لا إله إلا الله موسى كليم الله، لا إله إلا الله عيسى روح الله، لا إله إلا الله محمد حبيب الله، لا إله إلا الله الأنبياء خاصة الله، لا إله إلا الله الأولياء أنصار الله، لا إله إلا الله الرب الملك الإله النور الحق المبين، لا إله إلا الله الملك اللطيف الرزاق القوى العزيز ذو القوة المتين، لا إله إلا الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله الرب العظيم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم بسم الله وبالله ومن

الله وإلى الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) حسبي الله، آمنت بالله أتوب إليك بك منك إليك، ولولا أنت ما تبت إليك، فامح من قلبي محبة غيرك، واحفظ جوارحي من مخالفة أمرك، وبالله لئن لم ترعني بعينك وتحفظني بقدرتك لأهلكن نفسي ولأهلكن أمة من خلقك ثم لا يعود ضرر ذلك إلا على عبدك «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» بل أنت أجل من أن يثنى عليك، وإنما هي أعراض تدل على كرمك، وقد نسختها لنا على لسان رسولك، لنعبدك بها على أقدارنا لا على قدرك، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان منك؟ يا من به ومنه وإليه كل شيء أسألك بحرمة الأستاذ بل بحرمة النبي الهادي، وبحرمة الاثنين والأربعة، وبحرمة السبعين والثمانية، وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك، وبحرمة سيدة آي القرآن من كلامك، وبحرمة السبع المثاني والقرآن العظيم بين كتبك، وبحرمة الاسم الأعظم الذي هو هو (لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) وبحرمة (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) اكفني كل غفلة وشهوة ومعصية مما تقدم أو تأخر واكفني كل طالب يطالبني من خلقك بالحق أو بغير الحق في الدنيا والآخرة، فإن لك الحجة البالغة وأنت على كل شيء قدير، واكفني هم الرزق، وخوف الخلق، واسلك بي سبيل الصدق، وانصرني بالحق، واكفنا كل عذاب من فوقنا أو من تحت أرجلنا أو يلبسنا كلنا شيعا أو يذيق بعضنا بأس بعض، واكفنا كل هم وغم وكل هول دون الجنة واكفنا شر ما تعلق به علمك مما كان أو يكون إنك على كل شيء قدير، سبحان الملك الخلاق سبحان الخلاق الرزاق سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان محيي الموتى، سبحان من يحيي ويميت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الملك القادر سبحان العظيم القاهر (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير - قل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) أعوذ بالله من سوء القضاء ومن شماتة

الأعداء، وأعوذ بالله ربي وربكم ورب كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه انصرني بالخوف منك والتوكل عليك حتى لا أخاف غيرك، ولا أعبد شيئا سواك، يا خالق السبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن أشهد أنك على كل شيء قدير، وأنك قد أحطت بكل شيء علماً أسألك بهذا الأمر الذي هو أصل الوجود والمبدأ والمنتهى وإليه غاية الغايات أن تسخر لي هذا البحر بحر الدنيا وما فيه، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الريح والجن والشياطين لسليمان، وسخر لي كل جبل وسخر لي كل حديد، وسخر لي كل ريح، وسخر لي كل شيطان من الجن والإنس، وسخر لي نفسي، وسخر لي كل شيء، يا من بيده ملكوت كل شيء انصرني وأجمل أمري باليقين، وأيدني بالنصر المبين، إنك على كل شيء قدير، وصل الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذا حزب النور

رواه سيدي تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن مسمى بهذا الاسم، وهو متفق مع حزب الفتح المسمى بحزب الأنوار المتقدم لفظا وترتيبا، جميعهما لا يتغيران إلا في أوائلهما وأواخرهما كما ستراه، فأما أن يكون حزبا واحدا روى عن الشيخ بروايتين وسمي بأسماء بحسب ما فيه، أو جعلا حزبين لأن الشيخ قرأه على هذين الوجهين، فليحرر ذلك، وهذه رواية لطائف المنن كما ترى:

بسم الله الرحمن الرحيم يا الله يا نور يا حق يا مبين، افتح قلبي بنورك وعلمني من علمك، وفهمني عنك واسمعني منك، وبصرني بك وأحيني بروح منك وأقمني لشهودك، وعرفني الطريق إليك، وهونها علي، بفضلك، واكسني لباس التقوى منك وبك إنك على كل شيء قدير.

اللهم اذكرني وذكرني، وتب علي واغفر لي مغفرة أنسى بها كل شيء

سواك. وهب لى تقواك، واجعلنى ممن يحبك ويخشاك، ويفعل لى من كل هم.
من هنا متفق كله مع الحزب المتقدم إلى قوله: وأيدنى بالنصر المبين، صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلى قوله له الأسماء الحسنى) أسألك بهذا الاسم العظيم الذى حفظت به أولياءك الكرام إنك أنت الملك العلام أن تجعلنى بالأسوة الحسنة التى كانت (فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله إلى قوله حتى تؤمنوا بالله وحده) جل ربى أن يوجد لشىء أو يفقد لشىء، لأنه لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.

وهذا حزب من أحزاب الشيخ أيضا

رواه ابن عطاء الله فى لطائف المنن من غير تسمية وذكره ابن الصباغ أيضا فى درة الأسرار، لكنه أذكار متفرقة، وستأتى صورة ذلك فى أذكاره وهو:
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم الفاتحة إلى آخرها (آمن الرسول) إلى آخر السورة، أول آل عمران إلى قوله (لا إله إلا هو العزيز الحكيم - قل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب - الذى خلقنى فهو يهدين إلى قوله للغاوين سبح لله ما فى السموات والأرض إلى قوله بذات الصدور - هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) إلى آخر السورة (والضحى) إلى آخرها (ألم نشرح) إلى آخرها (إن الله اشترى من المؤمنين إلى قولهم وبشر المؤمنين - قد أفلح المؤمنون إلى قوله هم فيها خالدون - إن المسلمين والمسلمات إلى قوله وأجرا عظيما - إن الإنسان خلق هلوعا إلى قوله مكرمون).

اللهم إنا نسألك صحبة الخوف، وغلبة الشوق، وثبات العلم، ودوام الذكر ونسألك سر الأسرار المانع من الإصرار، حتى لا يكون لنا مع الذنب والعيب قرار، واجتبينا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التى بسطتها على لسان

رسولك وابتليت بهن إبراهيم خليلك (فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين) فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح واسلك بنا سبيل أئمة المتقين، بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) حسبى الله آمنت بالله، ورضيت بالله، توكلت على الله، لا قوة إلا بالله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب اغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات وتقرأ الفاتحة أيضا (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا فاغفر لى وتب على (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) يا ألله يا عظيم يا حليم يا عليم يا سميع يا بصير يا مريد يا قدير يا حى يا قيوم، يا أرحم الراحمين، يا رحمن يا رحيم، يا من هو هو هو يا هو، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) اللهم صلنى باسمك العظيم، وهب لى منه سرا لا تضر معه الذنوب شيئا، واجعل لى وجها تقضى به الحوائج للقلب والعقل والروح والسر والنفس والبدن، وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك وأفعالى تحت أفعالك، درج السلام وإسقاط الملامة، وتنزل الكرامة وظهور الإمامة، وكن فى ما ابتليت به أئمة الهدى من كلماتك وأغننى حتى تغنى بى وأحينى حتى تحيى بى ما شئت ومن شئت من عبادك، واجعلنى خزانة الأربعين ومن خاصة المتقين، واغفر لى فإنه لا ينال عهدك الظالمون، بسم حم عسق (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) وتقرأ الفاتحة مرة و(قل هو الله أحد) ثلاثا.

وهذا حزب اللطيف

يدعى به فى الشدائد والكربات فإن له سرا عجيبا لتفريج الكرب، وإزالة كل مؤلم من أمراض الظاهر والباطن، ويصلح أن يكون دعاء لاسمه تعالى لطيف وهو هذا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب

العالمين) إلى آخرها. اللهم اجعل أفضل الصلوات وأنمى البركات فى كل الأوقات، على سيدنا محمد أكمل أهل الأرض والسموات، وسلم عليه يا ربنا أزكى التحيات فى جميع الحضرات.

اللهم يا من لطفه بخلقه شامل، وخيره لعبده واصل، لا تخرجنا عن دائرة الألطاف، وآمنا من كل ما نخاف، وكن لنا بلطفك الخفى الظاهر، يا باطن يا ظاهر يا لطيف، نسألك وقاية اللطف فى القضاء والتسليم مع السلامة عند نزوله والرضا.

اللهم إنك أنت العليم بما سبق فى الأزل فحفنا بلطفك فيما نزل يا لطيف لم يزل، واجعلنا فى حد من التحصن بك يا أول، يا من إليه الملتجأ وعليه المعول.

اللهم يامن ألقى خلقه فى بحر قضائه وحكم عليهم بحكم قهره وابتلائه، اجعلنا ممن حمل فى سفينة النجاة، ووقى من جميع الآفات. إلهنا من رعته عين عنايتك كان ملطوفا به فى التقدير محفوظا برعايتك، يا قدير يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء، ارعنا بعين رعايتك يا خير من رعا، إلهى لطفك الخفى ألطف من أن يرى، وأنت اللطيف الذى لطفت بجميع الورى، حجبت سريان سرك فى الأكوان، فلا يشهده إلا أهل المعرفة والبيان، فلما شهدوا سر هذا اللطف الواقى ما دام لطف الدائم الباقى. إلهنا حكم مشيئتك فى العبيد، لا ترده همة عارف ولا مريد، لكن فتحت أبواب الألطاف الخفية المانعة حصونها من كل بلية، فأدخلنا بلطفك تلك الحصون. يا من يقول للشيء كن فيكون. إلهنا أنت اللطيف بعبادك لا سيما بأهل محبتك ووادك، فبأهل المحبة والوداد خصنا بلطفك يا جواد. إلهنا اللطف صنعتك والألطاف خلقك وتنفيذ حكمك فى خلقك حقك، ورأفة لطفك بالمخلوقين تمنع استقصاء حقك فى العالمين. إلهنا لطفت بنا قبل كوننا ونحن للطف غير محتاجين، أفتمنعنا منه من الحاجة له وأنت أرحم الراحمين؟ حاشا لطفك الكافى وجودك الوافى.

إلهنا لطفك هو حفظك إذا دعيت، وحفظك هو لطفك إذا وقيت، فأدخلنا سرادقات لطفك، واضرب علينا أسرار حفظك، يا لطيف نسألك اللطف أبدا، يا حفيظ قنا السوء وشر العدا يا لطيف ثلاثا، من لعبدك العاجز الخائف الضعيف؟

اللهم كما لطفت بي قبل سؤالي وكوني كن لي لا علي آمين (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز) آنسني بلطفك يا لطيف أنس الخائف في حالة الخيف. تأنست بلطفك يا لطيف، ووقيت بلطفك الردى وتحجبت بلطفك العدا، يا لطيف يا حفيظ (والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) نجوت من كل خطب جسيم بقول ربي (ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم) سلمت من كل شيطان وحاسد بقول ربي (وحفظا من كل شيطان مارد) كفيت كل هم في سبيل بقول حسبي الله ونعم الوكيل (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إلى آخرها (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر السورة (لإيلاف قريش) إلى آخرها اكتفيت بكهيعص واحتميت بحم عسق (قوله الحق وله الملك - سلام قولا من رب رحيم) أحون ق آدم حم هاء آمين.

اللهم بحق هذه الأسرار قنا شر الأشرار، وكل ما أنت خالقه من الأكدار (قل من يكلؤكم بالليل والنهار) بحق كلأة رحمانيتك اكلأنا ولا تكلنا إلى غير إحاطتك رب هذا ذل سؤالي ببابك، لا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم صل على من أرسلته رحمة للعالمين، محمد خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم ومجد وعظم وشرف وكرم، سيدي لا تخلني من الرحمة والأمان يا حنان يا منان، وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.



وهذا حزب الإخفاء

بسم الله الرحمن الرحيم، احتجبت بنور الله الدائم الكامل، وتحصنت بحصن الله القوى الشامل، ورميت من بغى عليّ بسهم الله وسيفه القاتل.

اللهم يا غالبا على أمره، ويا قائما فوق خلقه، وحائلا بين المرء وقلبه، حل بينى وبين الشيطان ونزغه، وبين من لا طاقة لى به من خلقك أجمعين.

اللهم كف عنى ألسنتهم واغلل أيديهم وأرجلهم، واربط على قلوبهم، واجعل بينى وبينهم سدا من نور عظمتك، وحجابا من قوتك، وجندا من سلطانك، إنك حى قادر مقتدر قهار. اللهم اعش عنى أبصار الأشرار والظلمة حتى لا أبالى بأبصارهم (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) بسم الله كهيعص، بسم الله حم عسق (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح - هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم - يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع - علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) (ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) شاهت الوجوه ثلاثا، وعميت الأبصار، وكلت الألسن ووجلت القلوب، جعلت خيرهم بين أعينهم وشرهم تحت أقدامهم، وخاتم سليمان بين أكتافهم، لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون، بحق كهيعص (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) (إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ثلاثا (حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سبعا (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) اللهم احفظنى من فوقى ومن تحتى وعن يمينى وعن شمالى ومن خلفى ومن أمامى ومن ظاهرى ومن باطنى ومن بعضى ومن كلى، وحل بينى وبين من يحول بينى وبينك يا ألله ثلاثا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. هذا الحزب يقرأ صباحا ومساء لدفع العدو وكل ذى شر وعقد لسان كل خصم. وإذا قرئ فى زمن الطاعون وقصد دفع ذلك عن نفسه وعمن يقصد حفظه فإن الله يدفع عنه وعمن قصده حفظه من شر ذلك كله، ويقرأ فى الطرقات المخيفة، وعند الدخول على الجبابرة فإنه أمان من كل مخوف بإذن الله تعالى.

وهذا حزب الطمس

وسيأتي أول هذا الحزب في الأذكار التي رواها ابن الصباغ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله السميع القريب المجيب، تجيب دعوة الداعى إذا دعاك، وتجيب المضطر وتكشف السوء، وتختار من تشاء في الأرض خليفة (إن ربى لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ولا تجعلني بدعائك ربى شقيا طه يس ق ن ص طس حم كهيعص (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) طسم (الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) أقسمت عليك بحاء الرحمة وميم الملك ودال الدوام (محمد رسول الله والذين معه) إلخ أحون قاف أدم حم هاء آمين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الحى القيوم لا تأخذك سنة ولا نوم لك ما في السموات وما في الأرض ولا يشفع عندك أحد إلا بإذنك، فأشفعنى ولا تردنى لغيرك، وسع كرسيك السموات والأرض ولا يئودك حفظهما وأنت العلى العظيم، فاحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ومن تحتى ومن ظاهرى ومن باطنى ومن بعضى ومن كلى، ونور قلبى بنور علمك وعظمتك وعزتك، إنك أنت الله العلى العظيم «حاء سين ميم زين قاف لام» (يس والقرآن الحكيم - ن والقلم وما يسطرون - ق والقرآن المجيد - ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) ما نورك ببعيد وإن رحمتك قريب من المحسنين أسألك بمجموعها وحقائقها وأسرارها وما بطن من أمرك فيها، عزا لا ذلّ معه وغنى لا فقر معه، وأنسا لا كدر فيه، وأسعدنا بإجابة التوحيد في طاعتك حيث ما كنا يوم الميثاق الأول في قبضتك، واطمس على وجوه أعدائنا، وامسخهم على مكانهم فلا يستطيعون المضى ولا المجئ إلينا (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم إلى قوله لا يرجعون) طه يس، شاهت الوجوه ثلاثا (وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما - صم بكم عمى فهم لا يعقلون) ولا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون ولا يتفكرون

ولا يتدبرون ولا يختارون (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ثلاثا بفضل بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل على نبيك الجامع الدال عليك محمد المصطفى خير البرية، عليه أفضل الصلاة والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذه الحفيظة وهي مثل حزب البحر، تقرأ للجلب والدفع، وقد ذكرها صاحب درة الأسرار في الأذكار، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم المهيمن العزيز القادر، أجمل كل شيء وهو ناصري ق ج ن ص انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، الم طس حم عسق (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) أسألك بها وبالآيات وبالأسماء كلها وبالأعظم منها، تجعل اللام طوع يدي والألف الحاكم على والنقطة وصلة منك إلى «أحون قاف أدم حم هاء آمين» الحكم حكمك، والأمر أمرك والسر سرك، ولا إله غيرك، أنت الحق المبين، (طه يس ن ق ص طس طسم ألم ألمص الر كهيعص حم) (والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذا حزب النصر

ويقال له حزب القهر، وهو لسيدي الكبير أبي الحسن الشاذلي، وفي نسخة أنه لأبي المواهب الشاذلي، وهو دعاء على آية (حسبنا الله ونعم الوكيل) التي هي سيف المؤمنين. وقال بعض العارفين: لم أر لتدمير الأعداء أشد ولا أقرب منه إجابة. وكيفية العمل به أن تصلي العشاء الأخيرة ثم بعد أن ينام الناس تجدد الوضوء وتصلي ركعتين وتجلس جلسة التشهد وتتلو قوله تعالى (حسبنا الله ونعم الوكيل) أربعمائة وخمسين مرة وهو عددها بحضور

تام وأنت متصور مطلبك، فإذا فرغت من قراءتها العدد المتقدم تتلو الدعوة سبعا ثم تتلو الآية العدد المذكور، ثم تتلو الدعوة سبعا وهلم جرا تتلو الآية عددها والدعوة سبعا بقدر ما يمكنك، وتفعل ذلك فى ليال متعددة متوالية حتى تقضى حاجتك فإنها سريعة الإجابة.

وقد ذكر بعض العارفين أنها جربت مرارا وأهلك الله بها أفرادا من الجبابرة المتمردين والظلمة الباغين، وإياك والدعاء على من لم يستحق بالوجه الشرعى فتدعو عليه لحظ نفس فيرجع وبال الدعاء عليك (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) وقد يدعى بها على الأعداء الباطنة المانعة من سبيل الرشاد السالكة سبيل المخالفة والعناد، فيقصدهم فى الدعوة وعند ذكر الأعداء، فافهم هذا التنبيه.

ومن قرأ الآية الشريفة دبر كل صلاة أربعمائة وخمسين مرة ثم دعا بالدعوة ثلاث مرات رزق الهيبة والوقار والمحبة من العامة والخاصة.

ومن قرأ الحزب عند غضب جبار سكن غضبه. ومن كان فى يد ظالم فليقرأ الحزب عند السحر إحدى عشرة مرة فإنه ينتصر على خصمه ويخذل الله ذلك الخصم الظالم، وهذا من المجربات التى لا شك فيها.

ومن كتب خاتم الآية الشريفة وحمله معه مع تلاوة الآية الشريفة عددها والدعوة ثلاث مرات كانت له هيبة عظيمة عند الأمراء والوزراء.

ومن كتب خاتم الآية الشريفة فى حريرة بيضاء فى طالع سعيد وحمله معه مع تلاوة الآية عددها والحزب ثلاثا تيسرت له الأسباب وكان ممن أجيبت دعوته بإذن الله تعالى وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم بسطوة جبروت قهرك. وبسرعة إغاثة نصرك وبغيرتك لانتهاك حرماتك ولحمايتك لمن احتمى بآياتك، نسألك يا ألله يا قريب يا سميع يا مجيب يا سريع يا جبار يا منتقم يا قهار يا شديد البطش،

يا من لا يعجزه قهر الجبابرة، ولا يعظم عليه هلاك المتمردة من الملوك الأكاسرة، أن تجعل كيد من كادني في نحره، ومكر من مكر بي عائدا إليه، وحفرة من حفر لي واقعا فيها، ومن نصب لي شبكة الخداع اجعله يا سيدي مساقا إليها ومصادا فيها وأسيرا لديها. اللهم بحق كهيعص اكفنا العدا، ولقهم الردى، واجعلهم لكل حبيب فدا، وسلط عليهم عاجل النقمة في اليوم والغدا. اللهم بدد شملهم، اللهم فرق جمعهم، اللهم قلل عددهم، اللهم فل حدهم، اللهم اجعل الدائرة عليهم وأرسل العذاب إليهم، اللهم أخرجهم عن دائرة الحلم، واسلبهم مدد الإمهال، وغل أيديهم، واربط على قلوبهم، ولا تبلغهم الآمال. اللهم مزقهم كل ممزق مزقته لأعدائك انتصاراً لأنبيائك ورسلك وأوليائك. اللهم انتصر عليهم لنا انتصارك لأحبابك على أعدائك. اللهم لا تمكن الأعداء فينا ولا تسلطهم علينا بذنوبنا حم حم حم حم حم حم. حمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون، حم عسق حمايتنا مما نخاف. اللهم قنا عسر الأسواء ولا تجعلنا محلا للبلواء. اللهم أعطنا أمل الرجاء وفوق الأمل، يا هو يا هو يا هو، يا من بفضله لفضله نسأل نسألك العجل ثلاثا، إلهي الإجابة ثلاثا، يا من أجاب نوحا في قومه، يا من نصر إبراهيم في أعدائه، يا من رد يوسف على يعقوب، يا من كشف الضر عن أيوب، يا من أجاب دعوة زكريا، يا من قبل تسبيح يونس بن متى، نسألك بأسرار أصحاب هذه الدعوات المستجابات أن تتقبل ما به دعوناك، وأن تعطينا ما سألناك أنجز لنا وعدك الذي وعدته لعبادك المؤمنين (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) انقطعت آمالنا وعزتك إلا منك، وخاب رجاؤنا إلا فيك.

إن أبطأت غارت الأرحام وابتعدت   فأقرب الشيء منها غارة الله
يا غارة الله جدي السير مسرعة   في حل عقدتنا يا غارة الله

***

عدت العادون وجاروا   ورجونا الله مجيرا
وكفى بالله وليا   وكفى بالله نصيرا

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، استجب لنا آمين آمين آمين (فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) وهذا جدول الآية الشريفة :

١٤٩	١٥٤	١٤٧
١٤٨	١٥٠	١٥٢
١٥٣	١٤٦	١٥١

الوكيل	ونعم	الله	حسبنا
حسبنا	الوكيل	ونعم	الله
الله	الله	الوكيل	ونعم
ونعم	حسبنا	حسبنا	الوكيل

وهذا حزب البر

بسم الله الرحمن الرحيم (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير إلى قوله الحكيم - غفرانك ربنا وإليك المصير - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) «شاهت الوجوه» ثلاثا (وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما) .

اللهم أنت القيوم الدائم بتدبير ما أوجدت من العوالم أنت المحيط بنا وبكل شيء دونك، فبعزتك يا عزيز، وبتذللى لك، وبخضوعى بين يديك، اصرف عنى وعمن تحيط به شفقة قلبى ضر الأضرار، ومكر الفجار، فى الليل والنهار، يا عزيز يا غفار، يا وهاب يا ستار، يا خفى يا بارئ يا شديد البطش يا قهار يا عزيز عزنى بعزتك؟ يا غفار اغفر لى ما عملته وظلمت به نفسى، فأنت المنعم والمتفضل على يا وهاب هب لى نفسى ومالى ودينى، وغطنى بسترك يا ستار، ياخفى كن بى حفيا، ويا بارئ اجعلنى فى عفوك واكتبنى من الأبرار يا شديد البطش حل بينى وبين من يؤذينى، يا قهار اقهر من كادنى بسوء وغل يده الباطشة، حم حم حم حم حم حم حم حم بحق حم عسق احمنا مما نخاف، يا خفى الألطاف نجنى مما نخاف (وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا إلى قوله عزيزا أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) إلى آخر السورة ش م

ن ص ن ص ا ق (قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) كهيعص اكفنا هم العدا، ق ص ن المر المص ألم طس طه يس (ما كان هذا القرآن حديثا يفترى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء إلى قوله يشركون - سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

وهذا حزب الكفاية

بسم الله الرحمن الرحيم (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس) إلى آخر السورة (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا).

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شىء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور.

اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر الشيطان الرجيم، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم (فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (بسم الله الرحمن الرحيم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) آمنت بالله، ودخلت فى كنف الله، وتحصنت بكتاب الله وآيات الله، واستجرت برسول الله محمد ﷺ ابن عبد الله، الله أكبر الله أكبر مما أخاف وأحذر «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم» حسبى الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، بسم الله على نفسى ودينى وأهلى وعيالى وأصحابى، وعلى كل شىء أعطانيه ربى، الله الحافظ الكافى، بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا،

يس سقفنا (والله من ورائهم محيط) إلى آخر السورة ستر العرش مسبول علينا وعين الله ناظرة إلينا، بحول الله لا يُقدر علينا ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لا نخشى من أحد بألف (قل هو الله أحد) إلى آخرها.

اللهم احفظني في ليلي ونهاري، وظعني وأسفاري، ونومي ويقظتي وحركاتي وسكناتي، وذهابي وإيابي، وحضوري وغيابي، من كل سوء وبلاء وهم وغم، ونكد ورمد ووجع وصداع وألم، وصمم وآفة وعاهة وفتنة ومصيبة وعدو وحاسد وماكر وساحر وطارق وخارق، وخائن وسارق، وحاكم وظالم وقاض وسلطان. واحرسني ونجني من جميع الشياطين والجن والإنس، ومن جميع الخلق والبشر والأنثى والذكر، ومن الحية والعقرب والدبيب، والهوام والطير والوحش، يا بارئ الأنام يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام. (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، سلام على نوح في العالمين) وسلام على الأنبياء والمرسلين، كهيعص حم عسق كفاية وحماية وحفظ لنا ووقاية. اللهم استجب دعائي، ولا تخيب رجائي، يا كريم أنت بحالي عليم. اللهم يسر لي أمري، واشرح لي صدري، واغفر لي ذنبي، واستر عيبي، وارحم شيبي، وطهر قلبي، وتقبل عملي وصلاتي، واقض حاجتي وبلغني أملي وقصدي وإرادتي، ووسع رزقي وحسن خلقي، واغنني بفضلك، وسامحني بكرمك، وبلغني مشاهدة الكعبة والبيت الحرام، وزمزم والمقام، ورؤية محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وجد برحمتك علي وعلى والديَّ وأهلي وأقاربي والمسلمين. وأدخلنا جنة النعيم.

يارب أنت الكريم	وفيك أحسنت ظني
فلا تخيب رجائي	وعافني واعف عني

يا غفور يا رحيم برحمتك ارحمني يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين.

وهذا حزب الشكوى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا مباركا كما يحب ربنا ويرضى، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على المخلوقين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى عدو بعيد يتجهمنى أو إلى صديق ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك، أو يحل بى سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك، رب أشكو إليك تلون أحوالى وتوقف سؤالى، يا من تعلقت بلطيف كرمه آمالى، يا من لا يخفى عليه خفى حالى، يا من يعلم عاقبة أمرى ومآلى. رب إن ناصيتى بيدك، وأمورى كلها ترجع إليك، وأحوالى لا تخفى عليك، وآلامى وأحزانى وهمومى معلومة لديك، قد جل مصابى، وعظم اكتئابى، وانصرم شبابى، وتكدر على ضعف شرابى، واجتمعت علىَّ همومى وأوصابى، وتأخر عنى تعجيل مطلبى، وتنجيز إعتابى، يا من إليه مرجعى ومآبى، يا من يعلم سرى وعلانية خطابى، ويعلم ما علة ألمى وحقيقة ما بى، قد عجزت قدرتى وقلت حيلتى، وبعدت أمنيتى، وعظمت حسرتى، وتصاعدت زفرتى، وفضح مكشوف سرى إسبال دمعتى، وأنت ملجئى ووسيلتى، وإليك أرفع بثى وحزنى وشكايتى، وأرجوك لدفع علتى، يا من يعلم مرقى علانيتى.

اللهم بابك مفتوح للسائل، وفضلك مبذول للنائل وإليك منتهى الشكوى وغاية الوسائل، اللهم ارحم دمعى السائل، وجسمى الناحل، وحالى الحائل، وسنادى المائل، يا من إليه ترفع الشكوى، يا عالم السر والنجوى يا من يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، يا رب يا رب الأرض والسماء، يا من له

الأسماء الحسنى يا صاحب الدوام والبقاء، عبدك قد ضاقت به الأسباب، وغلقت دونه الأبواب وتعذر عليه سلوك طريق الصواب، ودار به الهم والغم والاكتئاب، وقضى عمره ولم يفتح له إلى فسيح تلك الحضرات ومناهل الصفو والراحات باب، وتصرمت أيامه والنفس زائغة فى ميادين الغفلة ودرن الاكتساب، وأنت المرجو لكشف هذا المصاب، يا من إذا دعى أجاب يا سريع الحساب، يارب الأرباب يا عظيم الجناب، رب لا تحجب دعوتى، ولا ترد مسالتى، ولا تدعنى بحسرتى ولا تكلنى إلى حولى وقوتى، وارحم عجزى وفاقتى، فقد ضاق صدرى، وتاه فكرى، وقد تحيرت فى أمرى. وأنت العالم بسرى وجهرى، المالك لنفعى وضرى، القادر على تفريج كربى وتيسير عسرى، رب ارحم من عظم مرضه، وعز شفاؤه، وكثر داؤه، وقل دواؤه، وأنت ملجؤه ورجاؤه، وعونه وشفاؤه، يا من غمر العباد بفضله وعطائه، ووسع البرية جوده ونعماؤه ها أنا عبدك محتاج إلى ما عندك، فقير أنتظر جودك ونعمتك ورفدك، مذنب أسأل منك الغفران، جانٍ خائف أطلب منك الصفح والأمان، مسيء عاص فعسى توبة تجلو بأنوارها ظلمات الإساءة والعصيان سائل باسط يد الفاقة الكلية يسأل منك الجود والإحسان، مسجون مقيد فعسى يفك قيده ويطلق من سجن حجابه إلى فسيح حضرات الشهود والعيان، جائع عار فعسى أن يطعم من ثمرات التقريب ويكسى من حلل الأمان، وظمآن ظمآن تتأجج فى أحشائى لهيب النيران، فعسى يبرد عنه نار الكرب، ويسقى من شراب الحب ويكرع من كاسات القرب، ويذهب عنه البؤس والآلام والأحزان، وينعم بعد بؤسه وألمه، ويشفى من بعد مرضه، حين كان ما كان، ناء غريب مصاب قد بعد عن الأهل والأوطان، حين كان ما كان، ناء غريب مصاب قد بعد عن الأهل والأوطان، فعسى أن يذهب عنه صدأ القلب والشقاء، ويعود له القرب واللقاء، ويبدو له سلع والنقا، ويلوح له الأثل والبان، ويناله اللطف وتحل عليه الرحمة والرضوان والغفران.

يا رب يا رب يا رب ارحم من ضاقت عليه الأكوان، ولم تؤنسه الثقلان،

وقد أصبح مولعا حيران وأمسى غريبا ولو كان بين الأهل والأوطان، مزعجا لا يؤويه مكان، ولا يلهيه عن بثه وحزنه تغير الأزمان، متوحش لا يؤنس قلبه إنس ولا جان، يا من لا يسكن قلب إلا بقربه وأنواره، إلا بلطفه واعتزازه، ولا يبقى وجوده إلا بإمداده وإظهاره، يا من أنس عباده الأبرار وأولياءه المقربين الأخيار بمناجاته وأسراره. يا من أمات وأحيا، وأقصى وأدنى وأسعد وأشقى، وأضل وأهدى، وأفقر وأغنى وعافى وأبلى، وقدر وقضى، كل بعظيم تدبيره وسابق تقديره، رب أى باب يقصد غير بابك، وأى جناب يتوجه إليه غير جنابك؟ أنت العليم العظيم الذى لا حول ولا قوة إلا بك، رب لمن أقصد وأنت المقصود وإلى من أتوجه وأنت الحق الموجود؟ ومن ذا الذى يعطى وأنت صاحب الجود، ومن ذا الذى أسأله وأنت الرب المعبود، وهل فى الوجود رب سواك فيدعى؟ أم فى المملكة إله غيرك فيرجى؟ أم هل كريم غيرك فيطلب منه العطاء؟ أم هل ثَمَّ جواد سواك فيسأل منه الفضل والنعماء؟ أم هل سواك رب تبسط الأكف وترفع الحاجات إليه، فليس إلا كرمك وجودك يا من لا ملجأ منه إلا إليه، يا من يجير ولا يجار عليه، ألهمتنا فعرفنا. أغيرك ها هنا رب فيرجى، أو جواد فيسأل منه العطاء؟ قد جفانى القريب، وملنى الطبيب وشمت بى العدو والرقيب، واشتد بى الكرب والنحيب، وأنت الودود القريب الرءوف المجيد. رب إلى من أشتكى وأنت العليم القادر؟ أم بمن استنصر وأنت الولى الناصر أو بمن أستغيث به وأنت القوى القاهر؟ أم إلى من ألتجئ وأنت الكريم الساتر؟ أم من ذا الذى يجبر كسرى وأنت للقلوب جابر؟ أم من ذا الذى يغفر عظيم ذنبى وأنت الرحيم الغافر؟ يا عالم بما فى السرائر. يا من هو فوق عباده قاهر، يا من هو الأول والآخر والباطن والظاهر، دل حيرة هذا العبد المكابر، وجد باللطف والهداية والتوفيق والعناية على عبد ليس له منك يد وهو إليك صائر. يا إله العباد يا صاحب الجود، ويا ممرضى وأنت طبيبى فلمن اشتكى وأنت عليم يا إلهى بغلتى؟ والذى بى حقيق على أن لا أشتكى إلا إليك ولا عزم لى أن لا أتوكل إلا عليك، يا من عليه يتوكل المتوكلون، يا من إليه يلجأ الخائفون يا من بكرمه وجميل عوائده يتعلق الراجون، يا من بسلطان قهره

وعظيم رحمته يستغيث المضطرون، يا من أوسع عطائه وجميل فضله ونعمائه تبسط الأيدى ويسأل السائلون، رب فاجعلني ممن يتوكل عليك، وآمن خوفى إذا وصلت إليك ولا تخيب رجائى إذا صرت بين يديك، واجعلنى ممن تسوقه الضرورات إليك واجعلنى دائما بين يديك، وارحم بجودك عبدا ما له سبب يرجو سواك ولا علم ولا عمل. يا من به ثقتى يا من به فرجى، يا من عليه ذوو الفاقات يتكلون أدرك بقية من ذابت حشاشته قبل الفوات، فقد ضاقت به الحيل. يا مفرج الكربات، يا مجلى العظيمات، يا مجيب الدعوات، يا غافر الزلات، يا ساتر العورات يا رفيع الدرجات، يا رب الأرضين والسموات، يا رب ارحم من ضاقت به الحيل، وتشابهت لديه السبل، ولم يجد لقلبه قرارا لا علم ولا عمل، يا من عليه المتكل، يا من إذا شاء فعل، يا من لا يبرمه سؤال من سأل، رب فأجب دعائى واسمع ندائى، ولا تخيب بلائى. يا رب يا مولاى. رب إنى قَلَّ اصطبارى، وطال انتظارى، واشتدت بى فاقتى واضطرارى، وعظمت على همومى وأوزارى وأحزانى وأكدارى، وتطاول على سواد ليلى، وبعد عنى طلوع بياض نهارى، وأنت القادر على دفع إعسارى، وإذهاب إصارى، وتفريج كربى. وإصلاح قلبى، رب إنى قد لاح لى بارقة من سحائب رحمتك وتعلقت أطماعى بعوائد إحسانك، وصنائع الفضل، وانبسطت آمالى فى واسع كرمك ووعد ربوبيتك، فلا تردنى بكَرَّة الخائب الخاسر، ولا ترجعنى بحسرة النادم الخاسر، ولا تجعلنى ممن حجب عن الوصول، وبقى بين الرد والقبول، مترددا حائرا، يا من هو على من يشاء قادر، يا قوى يا عزيز يا ناصر، رب خذ بيدى وارحم قلة صبرى وضعف جلدى، رب إنى أشكو إليك بثى وحزنى وكمدى، يا من هو غوثى وملجئى، ومولاى وسندى، رب فأطلقنى من سجن الحجاب، ومُنَّ على بما مننت به على الأولياء والأحباب، وطهر قلبى من الشرك والشك والارتياب، وثبتنى أبدا قائما فى الحياة وعند الممات على السنة والكتاب، وفهمنى وعلمنى وذكرنى ووفقنى، واجعلنى من أولى الفهم فى الخطاب، وكن لى بلطفك ورحمتك وحنانك ورأفتك فيما بقى من عمرى، وعند حضور أجلى، ويوم يقوم الأشهاد للحساب، وآمن خوفى واجعلنى من الطيبين

الطاهرين، وممن يتلقى بسلام إذا فتحت الأبواب. رب أنت الذى بقدرتك خلقتنى، وبرحمتك هديتنى، وبنعمتك ربيتنى، وبلطفك هديتنى، وبجميل سترك سترتنى، وفى أحسن صورة ركبتنى، وفى عوالم إبداعك ابتدأتنى وفى خير أمة أخرجتنى، وسبيل النجدين ألهمتنى، فأتمم على نعمتك التى لا تحصى، وكمل لدى أياديك التى لا تنسى، واجعلنى ممن هدى واهتدى، وسمع ووعى، وقرب وأدنى، ومن سبقت له منك الحسنى، وممن نال أفضل ما يتمنى، واجعلنى من أهل القرب واللقا، والرتبة العليا فى دار البقا، ولا تجعلنى ممن ضل وغوى، ولا ممن قسم له نصيب من الشقا، ولا ممن اشتغل بما يفنى، ولا ممن ضل سعيه فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما وقد علمت ما كان وما يكون منا، وتقدس علمك الأعلى، وجرى القلم بما شئت من القضاء، فليس لنا إلا ما إليه وفقتنا، ولا مفر لنا إلا عما به رددتنا، فتداركنا بفضلك ورحمتك، وحفنا بعفوك ومغفرتك. رب فكما وسعت كل ما كان فى علمك الأعلى، وأحطت بما كان وما يكون منى، وبكل شىء حكما وعلما، فجد على فى كل ذلك برحمتك الواسعة العظمى، واغمسنى فى بحار كرمك وعفوك وحلمك أبدا، يا من وسع كل شىء رحمة وعلما، إلهى طلبتك الخلق إليك، فأعنى على الوصول. والتوصل إليك واجمعنى واجمع بى من تشاء عليك.

اللهم إنا نسألك حسن الأدب عند إرخاء الحجاب برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

وهذا حزب الفلاح

بسم الله الرحمن الرحيم (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) إلى آخر السورة (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا ﷺ أفضل ما هو

أهله ثلاثا (ربنا لا تزغ قلوبنا، إلى الوهاب) ثلاثا «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» ثلاثا «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم» ثلاثا، سبحان ربى العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثلاثا، أستغفر الله العظيم ثلاثا، استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمى وظلمى وما جنيته على نفسى وأتوب إليه ثلاثا، لا إله إلا الله محمد رسول الله عشرا، ثبتنا يا رب بقولها، وانفعنا يا مولاى بفضلها، واجعلنا من خير أهلها واحشرنا فى زمرة محمد ﷺ آمين ثلاثا، ترحم بها الوالدين آمين ببركة الصالحين. بجودك تب علينا يا عالما بحالنا، يارب أقبل صرفنا، يارب اغفر ذنبنا، نسألك ربنا بخاتم النبيين والشكر لله على فضل الله. والحمد لله رب العالمين.

وهذا حزب الدائرة

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بك منك إليك أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لى وتب على (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحد) إلى آخرها (الٓمٓ ذلك الكتاب، إلى المفلحون - وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم - الله لا إله إلا هو الحى القيوم إلى العظيم - آمن الرسول) إلى آخر السورة (قل اللهم مالك الملك إلى حساب) بسم الله الرحمن الرحيم (سلام قولا من رب رحيم - قوله الحق وله الملك - مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) الر كهيعص طس ق ن جبريل ميكائيل إسرافيل عزرائيل عليهم السلام، وأبو بكر عمر عثمان على أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهم، الله أكبر سبعا (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين).

حكمت على أنفس أعدائى الطاء طهورا سبعا، لا إله إلا الله باء (سلام قولا من رب رحيم) قلقلت عقولهم بالقاف بدعق سبعا، سبحان الله سبعا،

أول الحديد إلى بصير، حاء فتحت بها الاستمطار من الفتاح العليم محببة سبعا، يا سلام سبعا، سلبت بالسين على نفسى وأهلى ومالى وولدى وجميع المضار صورة سبعا، الحمد لله سبعا، عين ملأت قلبى عزة ونورا محببة سبعا، يا سلام سبعا، سين.

أسألك بالسناء الأعظم أن تعطينى مفتاح قلبى، سقفا طيس سبعا، الله سبعا (رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) أسألك حولا من حولك وقوة من قوتك، وتأييدا من تأييدك حتى لا أرى غيرك ولا أشهد سواك، سقاطيم سبعا، «أحون قاف ادم حم ها . آمين» (محمد رسول الله) إلى آخر السورة، اللهم بحق محمد وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح عليهم الصلاة والسلام، وبحق أبى بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم، أسألك أن تقضى حاجتى وتكفينى مهماتى. اللهم يا عظيم عظمتك وقايتى من القوم الظالمين وجمالى على العالمين، فعضدنى بالملائكة أجمعين، واستجب لى إنك أنت السميع العليم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

هذا الحزب صح نسبة كلماته إلى الشيخ فى الكتب المعتبرة، وأما كونه حزبا مجموعا هكذا فنسبته إلى الشيخ فى بعض المجاميع التى لم يعلم مؤلفها كالأحزاب التى قبله وهى سبعة، والله أعلم، وقد رواه صاحب درة الأسرار فى الأذكار.

هذا حزب التوسل

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنى أتوسل بك إليك، اللهم إنى أقسم بك عليك، اللهم كما كنت دليلى عليك فكن شفيعى إليك، اللهم إن حسناتى من عطائك، وسيئاتى من قضائك، فجد اللهم بما أعطيت على ما قضيت حتى تمحو ذلك بذلك، لا لمن أطاعك فيما أطاعك له الشكر، ولا لمن

عصاك فيما عصاك فيه له العذر، لأنك قلت وقولك الحق (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) اللهم لولا عطاؤك لكنت من الهالكين، ولولا قضاؤك لكنت من الفائزين وأنت أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك أو أن تعصى إلا بحلمك وقضائك، إلهى ما أطعتك حتى رضيت، ولا عصيتك حتى قضيت، أطعت بإرادتك والمنة لك على، وعصيتك بتقديرك والحجة لك علىّ فبوجوب حجتك وانقطاع حجتى إلا ما رحمتنى، وبفقرى إليك وغناك عنى إلا ما كفيتنى، يا أرحم الراحمين. اللهم إنى لم آت الذنوب جرأة منى عليك ولا استخفافا بحقك، ولكن جرى بذلك قلمك، ونفذ به حكمك، وأحاط به علمك وأحصاه كتابك، ولا حول ولا قوة إلا بك والعذر إليك، أنت أرحم الراحمين. اللهم إن سمعى وبصرى ولسانى وقلبى وعقلى بيدك لم تملكنى من ذلك شيئا فإذا قضيت علىَّ بشىء فكن أنت وليى، واهدنى إلى أقوم سبيل، يا خير من سُئل وأكرم من أعطى، يا أرحم الراحمين ويا رحمن الدنيا والآخرة ارحم عبدا لا يملك دنيا ولا أخرى، إنك على كل شىء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا ما تيسر جمعه من الأحزاب المنسوبة للأستاذ رضى الله عنه، وهذا ما له من الأدعية والأذكار.

الأدعية والأذكار

فمن ذلك دعوة قوله تعالى (فلما رأينه أكبرنه) الآية، ذكر الشيخ السنوسى صاحب العقائد فى مجرباته أنها للشيخ أبى الحسن الشاذلى قال: من أراد إقبال الناس عليه والمحبة والهيبة والتعظيم له فى قلوبهم فعليه بهذه الدعوة.

وهى: بسم الله الرحمن الرحيم، يا الله ثلاثا، يا رب ثلاثا، يا رحمن ثلاثا، يا رحيم ثلاثا، لا تكلنى إلى نفسى فى حفظ ما ملكتنى لما أنت أملك به منى، وامددنى بدقيقة من دقائق اسمك الحفيظ، الذى حفظت به نظام الموجودات، واكسنى بدرع من كفايتك، وقلدنى بسيف نصرك وحمايتك، وتوجنى بتاج عزك وكرامتك، وردنى برداء منك، وركبنى مركب النجاة فى

المحيا وبعد الممات «فجش» امددني بدقائق اسمك القهار تدفع به عنى من أرادني بسوء من جميع المؤذيات وتولني بولاية العز يخضع بها كل جبار عنيد وشيطان مريد، يا عزيز يا جبار ثلاثا.

اللهم الق على من زينتك ومن محبتك ومن شرف ربوبيتك، ما تشهد به القلوب، وتذل به النفوس، وتخضع له الرقاب. وتبرق له الأبصار، وتعدو له الأفكار، ويصغر له كل متكبر جبار، ويسخر له كل مالك قهار، يا الله يا مالك يا عزيز يا جبار ثلاثا، يا الله يا أحد يا قهار. اللهم سخر لى جميع خلقك كما سخرت البحر لموسى عليه السلام، ولين لى قلوبهم كما لينت الحديد لداود عليه السلام، فإنهم لا ينطقون إلا بإذنك، نواصيهم فى قبضتك وقلوبهم فى يدك، تصرفهم حيث شئت. يا مقلب القلوب ثلاثا، يا علام الغيوب ثلاثا، أطفأت غضب الناس بلا إله إلا الله، واستجلبت رضاهم بسيدنا ومولانا محمد ﷺ (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن إلى كريم) وهى عجيبة جدا فيما ذكروا فى الحفظ من كل سوء، وفى النصر على الأعداء وغير ذلك. اهـ ما ذكره السنوسى رحمه الله. قلت وعدد هذه الآية الشريفة عدد ٣٩٦٩ وله مثلث عدد ١٣٢٣ يسقط منه أربعة وينزل مفتاح المثلث وهذه صورته:

١٣٢٠	١٣٢٧	١٢٢٢
١٣٢٥	١٤٢٣	١٢٢١
١٣٢٣	١٣١٩	١٣٢٦

إذا كتبت هذا الوفق وحوله الآية الشريفة من كل جهة على طهارة واجتمع فى ساعة سعيدة كأول ساعة من يوم الجمعة أو الخميس أو الاثنين ويبخر بطيب الرائحة كالجاوى والعود، وتتلى الآية الشريفة عدد حروفها وهو ستون مرة، ثم تتلو الدعوة ثلاثا أو سبعا أو تسعا، ويحمل ذلك الوفق ويواجه من شاء فإنه يرى العجب من ميل النفوس إليه بالمحبة الشديدة، وبهجته فى أعين الناظرين، وإكرامه واحترامه وتعظيمه، وكف أيدى الجبارين عنه.

وهذه دعوة قوله تعالى (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) وهى لتفريج الكروب، والخلاص من كل غم، والنجاة من كل مكروه. وقال

رضى الله عنه : بت ليلة فى غم عظيم فألهمت أن أقول : إلهى مننت على بالإيمان والمحبة والطاعة والتوحيد، وأحاطت بى الغفلة والشهوة والمعصية، وطرحتنى النفس فى بحر الهوى فهى مظلمة، وعبدك محزون مهموم مغموم، قد التقمه نون الهوى وهو يناديك نداء المحبوب المعصوم، نبيك وعبدك يونس بن متى وبقول (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) فاستجب لى كما استجبت له، وأيدنى بالمحبة فى محل التفريد والوحدة، وأنبت على أشجار اللطف والحنان، فإنك أنت الله الملك المنان، وليس لى إلا أنت وحدك لا شريك لك، ولست بمخلف وعدك لمن آمن بك، إذ قلت وقولك الحق (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) وقال : اللهم إنك لم تشهدنا على خلقنا ولا خلق أنفسنا، ولم تتخذ أحدا من المضلين عضدا، ولم يكن لك شريك فى الملك، ولم يكن لك وَلِىٌّ من الذل، كبرت نفسك قبل أن يكبرك المكبرون، وعظمت وجودك قبل أن يعظمك المعظمون، نسألك بالتعظيم الذى ليس له سبب ولا نسب، أن تعزنا عزا لا ذل بعده، وغنى لا فقر معه، وآنسا لا كدر فيه، وأمنا لا خوف بعده، وأسعدنا بإجابة التوحيد فى طاعتك، حسب ما كنا يوم الميثاق الأول فى قبضتك، إنك على كل شيء قدير.

ومن أدعيته : اللهم آتنى عقلا لا يحجبنى عنك وعن فهم كلام رسولك، وهب لى من العقل الذى خصصت به أولياءك ورسلك وأنبياءك والصديقين من عبادك، واهدنى بنورك هداية المخصصين بمشيئتك، ووسع لى فى النور توسعة كاملة تخصنى بها برحمتك، فإن الهدى هداك وإن الفضل بيدك تؤتيه من تشاء وأنت الواسع العليم، تخص برحمتك من تشاء، وأنت ذو الفضل العظيم. وقال : يا عزيز يا حليم يا غنى يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم، اجعلنى عندك دائما، وبك قائما، ومن غيرك سالما، وفى حبك هائما، وبعظمتك عالما وأسقط البين بينى وبينك حتى لا يكون شيء أقرب إلىَّ منك، ولا تحجبنى بك عنك إنك على كل شيء قدير.

وقال : اللهم هب لى من النور الذى رأى به رسولك ﷺ تسليما ما كان وما يكون ليكون العبد بوصف سيده لا بوصف نفسه غنيا بك عن تحديد النظر لشىء من المعلومات، ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات، ومحيطا بأنواع السر بجميع أنوار الدعوات، ومربيا للبدن مع النفس، والقلب مع العقل، والروح مع السر والأمر مع البصيرة، والصفات مع الذات، والعقل الأول الممتد عن الروح الأكبر المنفصل عن السر الأعلى، إنك على كل شىء قدير.

ومن أدعيته : اللهم ارزقنى من كنز لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة، واصرفنى بها صرفا تمحق به من قلبى كل قوة منى وأغننى بذلك الرزق عن ملاحظة النفس والخلق وأخرجنى به عن ذل الخلق والتدبير والاختيار، وعن الغفلة والشهوة، ومشيئة النفس والقهر والاضطراب، إنك على كل شىء قدير.

ومن أدعيته : اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بينى وبين طاعتك على بساط مشاهدتك. وفرق بينى وبين هم الدنيا وهم الآخرة، ونب عنى فى أمرهما، واجعل همى أنت، واملأ قلبى بمحبتك، ونوره بأنوارك، وخشّع قلبى بسلطان عظمتك، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأصلح لى شأنى كله إنك على كل شيد قدير.

ومن أدعيته : اللهم يا من خلق الخلق من غير حاجة إليهم وكلهم إليه له الحاجة لا تبتلينا بالحاجة، يا جليل، يا جميل كن لى باللطف الذى كنت به لأوليائك، وانصرنى بالرعب الشديد، على أعدائك. اللهم بحق اسمك المجيد اطو لنا البعيد، وسهل علينا كل صعب شديد، يا الله ثلاثا، يا رباه ثلاثا، يا مغيث من عصاه أغثنا يا كريم، وارحمنا يا بر يا رحيم. وقال : يا موجود قبل كل موجود، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، ضاقت على نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت ولا ملجأ ولا منجا إلا إليك، فاغفر لى وارحمنى وتب على لأتوب لا تواب غيرك، إنك أنت التواب الرحيم. وقال : يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت. كن لى بحياتك كما كنت لأحبابك، وامحق عنى بصفاتك كما فعلت

بأصفيائك، واجعلني قيوما بتلك العصمة من غيرك كما فعلت بمحمد نبيك ﷺ، إنك على كل شيء قدير. إلهي إذا طلبت منك الغوث فقد طلبت غيرك، وإن سألتك ما ضمنت لي فقد اتهمتك، وإن سكن قلبي إلى غيرك فقد أشركت بك، جلت أوصافك عن الحدوث فكيف أكون معك، وتنزهت عن العلل فكيف أكون قريبا منك؟ وتعاليت عن الأغيار فكيف يكون قوامي عن غيرك؟

ومن أدعيته: اللهم إني أسألك توحيدا لا يشوبه ضد، ويقينا لا يخالطه شك يا من فضل أنعامه أنعام المنعمين، وعجز عن شكره شكر الشاكرين، قد جربت غيرك من المؤمنين بي ولغيري من السائلين، فإذا كل قاصد إلى غيرك مردود، وعن سواك معدوم مفقود، يا من به إليه توسلت، وعليه في السراء والضراء توكلت، حاجتي مصروفة إليك، وآمالي موقوفة عليك، فكلما وفقتني إليه من خير أحمله وأطيقه، فأنت الهادي إليه، ومعينني ومسبب أسبابي لديه يا كريم لا تئوده المطالب، ويا سيدا يلجأ إليه كل قاصد وراغب، ما زلت محفوفا منك بالنعم، جاريا على عادة الإحسان والكرم، يا من جعل الصبر عونا على بلائه، وجعل الشكر سببا للمزيد من آلائه، أسألك حسن الصبر على المحن، وتوفيقا للشكر على المنن، جلت نعمتك عن شكري إياها، وعظمتك عن أن يحاط بأدناها، فتفضل على إقراري بعجزي بعفو أنت به أوسع، وأمرك به أسرع، وكرمك به أجدر، وأنت عليه أقدر: فإن لم يكن لذنبي منك عذر تقبله، وكرمك به أجدر، وأنت عليه أقدر: يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

ومن أذكاره عند الصلاة إذا قام إليها يقول: لا إله إلا الله السميع القريب المجيب، يجيب دعوة الداعي، ويجيب المضطر، ويكشف السوء، ويجعل من يشاء خليفة، إن ربي لسميع الدعاء (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أسألك بصلاتك على سيدنا محمد عبدك ورسولك أن تصلي عليه وعلى ملائكتك،

وعليَّ صلاة تخرجنى بها من الظلمات إلى النور، واجعلنى من المؤمنين، فإنك بالمؤمنين رءوف رحيم.

اللهم اجعل هذه الصلاة صلة بيني وبينك، ولا تجعلها معاملة لى عندك، واجعلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وذكرنى فيها منك بالذكر الأكبر وأرنيه في نفسي وعملي واصحبنيه صحبة الكرامة إلى غاية أجلى إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

ومن أدعيته: يا الله يا فتاح يا عليم يا كريم، افتح قلبى بنورك، وارحمنى بطاعتك، واحجبنى عن معصيتك، وامتن على بمغفرتك، وأغننى بقدرتك عن قدرتى، وبعلمك عن علمي، وبإرادتك عن إرادتي، وبحياتك عن حياتى وبصفاتك عن صفاتي، وبجودك عن جودى، وبدنوك عن دنوى، وبقربك عن قربى، وبحبك عن حبى، وبصدقك عن صدقي، وبحفظك عن حفظى، وبنظرك عن نظرى، وبتدبيرك عن تدبيرى، وباختيارك عن اختيارى، وبحولك وقوتك عن حولي وقوتى، وبجودك وكرمك وحلمك عن علمى وعملى إنك على كل شيء قدير.

ومن أدعيته: يا الله يا عليم يا مريد يا قدير، ربطت كل العالم بعلمك، وميزته بإرادتك وصرفته بقدرتك؟ فالشقى حقا من رأى الإحسان من غيرك مع الدعاوى العرفية، فإن الكل فى قبضتك، فأحينى بصفاتك حتى أكون بغير تكوين كما كنت فى علمك، وميزنى بإرادتى عن وصف الحدوث إذ لا حادث يحدث لك، وهب لى من نور قدرتك ما يطمئن به قلبى كإبراهيم خليلك، وأنت إلهى بك أكون لك، فأسألك بذلك سعادة لا أشقى معها بمطالعة غيرك، إنك على كل شيء قدير.

ومن أدعيته: يا سميع يا عليم يا قريب، يا مجيب يا محيط يا دائم، أنت الله الذى أسمعتنى لذيذ خطابك، وتقربت إلى بكشف حجابك، وأحببتنى

من حيث أنت بما أردت بإجابتك، فوجدتك محيطا دائما، فما بقى المحاط به مع دوامك، وإن نظرت إلى نفسى خاب نظرى عن ملاحظتك، وإن نظرت إليك لم يكن لى قرار مع قرارك، فعقلى ينزهك، وقلبى يصدقك، ونفسى تخدمك وروحى تحبك، وسرى يشهدك. إلهى أنت أقرب إلىّ من تنزيه عقلى، ومن تصديق قلبى، ومن حديث نفسى ومن محبة روحى، ومن شهادة سرى، فأعوذ بك من حجابى بصفاتى، إلهى قربك أشتاق من حيث أنت فلا تحجبنى عنه من حيث أنا لا إله إلا أنت تقوى من شئت لما شئت بما شئت إنك على كل شىء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ومن أدعيته: يا باعث يا وارث، يا جامع يا مقسط أنت تجمع الخير لمن شئت كيف شئت، وأنت الجامع المقسط، فكل محبوب يكون لى ولا يكون لك فاصرفه عنى حيث لا يثبت لى إلا مايكون لك، وأعذنى بلطائف من عندك كما أعذت محمدا نبيك ورسولك ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، إنك على كل شىء قدير.

ومن أدعيته: اللهم إن الدنيا حقيرة حقير ما فيها، وإن الآخرة كريمة كريم ما فيها، وأنت الذى حقرت الحقير وكرمت الكريم، فأنّى يكون كريما من طلب غيرك، أم كيف يكون زاهدا من اختار الدنيا معك، فحققنى بحقائق الزهد حتى أستغنى عن طلب غيرك بمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلبك. كيف يصل إليك من طلبك أم كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبنى برحمتك، ولا تطلبنى بنقمتك يا رحيم يا منتقم، إنك على كل شىء قدير «ق ح» سران من سرك، وكلاهما دالان عليك، فبالسر الجامع الدال عليك لا تكلنى إلى نفسى ولا إلى غيرك، إنك على كل شىء قدير

ومن كلامه تحميد البارى: اللهم لك الحمد ولك المجد، حمدا لا نهاية له ولا حد، ولا يدرك له قبل ولا بعد، لا أستطيع حمدك كما أنت أهله، ولا يصل لسان أحد حقيقة حمدك ولا عقله، فأحمدك كما أطيقه وألحقه إذ كنت عاجزا مما أنت وليه ومستحقه، والحمد لرب العالمين حمدا يستغرق الألفاظ الشارحة

معناه، ويسبق الألفاظ الطامحة أدناه، لا يرد وجهه نكوص، ولا يحد كنهه تخصيص، ولا يجوزه بقبض ولا ببسط مثال نطق ولا تخمين، ولا يحصره بفعل ولا بخط شمال ولا يمين، ولا يجمعه عدد يحصيه ولا يسعه الحمد أبدا ولا يحويه ولا يدعه أمد يستوفيه، إذا سبقت هواديه لحقت تواليه، وأشكرك على نعمتك التى لا أحصيها شكرا يقتضى زيادتها ويستدعى، مع أنى عاجز عن شكرك والقيام بواجب ذكرك، لأنى إن أنفذت الشكر فبالعقل الذى أعطيته، وإن تكلمت فباللطف الذى أتيت وإن تعبدت لك فبالقوة التى أوليت، فأين الشكر الذى أصفه لنفسى، فإن جميع ذلك هو لك ومنك، ملكت اعتقادك بقلبى من دون هدايتك، وإظهاره بلسانى دون معونتك، ما كان فقدان ذلك حتى ينهض الحمل أيسر ما أسبغت من نعمك، وصرفت من نقمك ولو تعبدت لك مدة حياتى لا أتنعمن إلا فى عبادتك، أين كان يبلغ ذلك مما تستحقه بجلال عظمتك، ولو قطعت عنى مادة الرزق يوما لم أستطع القيام بشىء من أمرك، ولو لم تحفظنى من جميع الآفات لشغلنى أضعف دبيب من خلقك عن قضاء فرضك، بل النعمة من فواضل جودك، والعبد من ضعفاء عبيدك، وما تيسر من الشكر فبتوفيقك وتسديدك، أسألك أن تصلىَ على سيدنا محمد الذى جعلته نور الرشاد، ودليل العباد. إلى يوم المعاد، صلاة تتضاعف إلى الأبد وتشتمل بالمزيد والمدد، وتبلغه بالرحمة والبركات وتؤده عليه بالتحية والسلام إلى حشر الأنام، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته الكرام، وسلم تسليما كثيرا بدوام ملك الله.

ومن أوراده هذا قال رضى الله عنه: كنت كثيرا أداوم على قراءة آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة من قوله (آمن الرسول) وأول سورة آل عمران إلى قوله (العزيز الحكيم) مع الآيتين (قل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب) اللهم إنى أسألك صحة الخوف، وغلبة الشوق، وثبات العلم، ودوام الذكر، ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار حتى لا يكون لنا مع الذنب قرار، فاجتبينا واهدينا إلى العلم بهذه الكلمات التى بسطتها على لسان

رسولك، وابتليت بهن إبراهيم خليلك فأتمهن (قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) واجعلنا من المحسنين من ذريته، ومن ذرية آدم ونوح، واسلك بنا سبيل أئمة المتقين. اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى وارحمنى وتب على (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) وهذا الاستغفار له شأن عظيم وضياء كريم، فبتناوله ترى عجبا ثم تقول: يا ألله يا عظيم يا حليم يا سميع يا بصير يا مريد يا قدير يا قيوم يا رحمن يا رحيم، يامن هو هو يا هو يا ظاهر يا باطن (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام).

ومن أذكاره: اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم، وهب لى منه سرا لا تضر معه الذنوب شيئا، واجعل لى منه وجها تقضى به الحوائج عن القلب والعقل والروح والسر والنفس والبدن، وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك وأفعالى تحت أفعالك درج السلامة، وإسقاط الملامة، وتنزل الكرامة وظهور الأمانة، وأحينى حتى تحيى بى من شئت وما شئت من عبادك، واجعلنى خزانة الأربعين، ومن خلاصة المتقين، واغفر لى فإنه لا ينال عهدك الظالمون طس حم (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) ثم تقرأ الفاتحة مرة و(قل هو الله أحد) ثلاثا.

ومن كلامه : يا ألله يا نور يا حق يا مبين، افتح قلبى بنورك، وعلمنى من علمك، واحفظنى بحفظك وأسمعنى منك، وفهمنى عنك وبصرنى بك، وسبب لى سببا من فضلك، تغننى به من الفقر، وتعزنى به من الذل. وتصلح لى به الدنيا والآخرة، وتوصلنى به إلى النظر إلى وجهك الكريم فى جنة الفردوس إنك على كل شيء قدير، يا نعم المولى ويا نعم النصير.

ومن كلامه : إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء: الامتثال للأمر، والاجتناب للنهى، وتطهير السر، وجمع الهمة، والاضطرار، وخذ ذلك من قوله (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) الآية

فالمحروم من يدعوه وقلبه مشغول بغيره، فاحذر هذا الباب جدا، فإن لم تستطع أن تتصف بالخمسة أشياء، فعليك بالخلوة عن الناس، واذكر ما شاء الله من قبائحك وأفعالك، واحتقر جميع أعمالك، وقدم إليه ما علمته من جميل ستره عليك، وقلَ: يا ألله يا منان يا كريم يا ذا الفضل، من لهذا العبد العاصى غيرك، وقد عجز عن النهوض إلى مرضاتك، وقطعته الشهوة عن الدخول فى طاعتك، لم يبق له حبل يتمسك به سوى توحيدك، وكيف يجترئ على السؤال من هو معرض عنك أم كيف لا يسأل من هو محتاج إليك، وقد مننت على الآن بالسؤال منك وجعلت حسبى الرجاء فيك، فلا تردنى خائبا من رحمتك يا كريم، وقد جعلت لأسمائك حرمة، فمن دعاك بها لا يشرك بك شيئا أجبته، فبحرمة أسمائك : يا ألله يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصور، قنى من الهم والحزن، والعجز والكسل والجبن والبخل، والشك وسوء الظن وضلع الدين وغلبته، وقهر الرجال، فإن لك الأسماء الحسنى، وقد سبح لك ما فى السموات والأرض، وأنت العزيز الحكيم. اللهم إنى أسألك خيرات الدنيا وخيرات الدين، خيرات الدنيا: بالأمن، والرفق، والصحة، والعافية وخيرات الدين، بالطاعة لك والتوكل عليك، والرضا بقضائك، والشكر على آلائك ونعمك، إنك على كل شىء قدير.

ومن أذكاره: يا ألله يا حميد يا مجيد يا ألله يا كريم، يا بر يا رحيم: يا ألله يا قوى يامتين، هب لى من رحمتك ما أحمدك به، فأكون من المؤمنين، وارزقنى من لطائف العز ما أكون به برا تقيا من الصالحين، يا لطيف الطف بى لطفا لا يدركه وهم الواهمين. إلهى وجدتك رحيما كيف لا أرجوك، وكيف لا أجدك ناصرا وأنا أرجوك، من لى إذا قطعتنى؟ ومن ليس لى إذا رحمتنى، فصلنى من حيث تعلم ولا أعلم، إنك على كل شىء قدير.

ومن كلامه: من أراد أن لا يضره ذنب فليقل: أعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك، وأعوذ بك من عاجل العذاب ومن سوء الحساب، فإنك لسريع

العقاب، وإنك لغفور رحيم رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا فاغفر لى وتب على، (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين).

ومن كلامه: إذا أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قولك سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم لا إله إلا الله. اللهم ثبت علمها فى قلبى، واغفر لى ذنبى، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، (وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى).

ومن كلامه: إذا أردت أن تغلب الشر كله، وتلحق الخير كله، ولا يسبقك سابق وإن عمل ما عمل فقل يا من له الأمر كله، أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت الغنى الغفور الرحيم، أسألك بالهادى محمد ﷺ إلى صراط مستقيم (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض إلا إلى الله تصير الأمور) وأسألك مغفرة تشرح بها صدرى، وترفع بها ذكرى، وتيسر بها أمرى، وتنزه بها فكرى، وتقدس بها سرى، وتكشف بها ضرى، وترفع بها قدرى، إنك على كل شىء قدير.

ومن كلامه: فى بعض مناجاته: يا ألله يا ولى يا نصير، يا غنى يا حميد، أعوذ بك من دنيا لا يكون فيها نصيب لوجهك، ومن عمل آخره يكون فيه حظ لغيرك، وأعوذ بك من حركة تعرى عن الاقتداء بسنة رسولك، وعن بصيرة لا تؤدى إلى حقيقة معرفتك، واعطف بقلبى فى حضرتك، وأغننى عن رعايتى برعايتك، إنك على كل شىء قدير.

ومن كلامه هذا التعوذ قال: مما يصلح أن يقال فى أول الليل وفى أول النهار وفى أثنائهما: نعوذ بعزة الله وقدرته وبكلماته التامات، من شر ما كان وما هو كائن فى هذا اليوم وفيما بعده إلى يوم القيامة، وفى الدنيا والآخرة، وفى الأزل والأبد وأبد الأبد الذى لا غاية له، ومن شر ما يكون لو كان كيف كان يكون، ونعوذ بجمالك وجلالك، وعظمتك وكبريائك وبهائك وسنائك وسلطانك وقدرتك وإرادتك. ونعوذ بمشيئتك وبجميع أسمائك وصفاتك

ونعوتك وأخلاقك وأنوارك، وبذاتك القائمة بجلالك من شر ما أجده وأحاذره ومن شر كل معلوم هو لك، أنت ربى وعلمك حسبى، فنعم الرب ربى، ونعم الحسب حسبى، فأعطنى من سعة رحمتك على سعة علمك، وهى التى لم تدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا. آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر وبالقدر كله. وبالكلمات المتفرقات عن الكلمة القائمة بذاتك (غفرانك ربنا وإليك المصير) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون.

ومن كلامه ما كان يعلمه لأصحابه لضيق الحال: يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم، إن تمسسنى بضر فلا كاشف له إلا أنت، وإن تردنى بخير فلا راد لفضلك تصيب به من تشاء من عبادك، وأنت الغفور الرحيم.

ومن كلامه وما كان يعلمه لأصحابه لدافع الوسواس والخواطر الرديئة: من أحس بذلك فليضع يده اليمنى على صدره ويقول: سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات، ثم يقول (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز).

ومن ذلك ما ذكره اليافعى فى الدر النظيم: من كلام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه: إن مما تبين نفعه ووقف على بركاته. لمن كان عليه خوف من سلطان جائر، أو طلبه أحد بغير حق، أو روعه ظالم أو هاجه فزع، أو ضلت به طريق أن يقرأ سورة يس ثم يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، بسم الله الذى لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم» اللهم إنى أعوذ بك من شر فلان وفلانة فإنه يكفى ذلك.

واعلم أنه لو طبقت السماء طبقا واشتعلت الدنيا بالفتن ثم أطاع العبد ربه فى نفس واحد يصدق اللجأ نجاه الله نجاة بقدر ما أخلص.

وكان يقول: إذا أردت الصدق فى القول فأكثر من قراءة (إنا أنزلناه فى

ليلة القدر) وإن أردت الإخلاص فى جميع أحوالك فأعن على نفسك بقراءة (قل هو الله أحد) وإن أردت السلامة فأكثر من قراءة (قل أعوذ برب الناس) قال بعضهم: وأقل الإكثار سبعون كل يوم إلى سبعمائة.

وكان يقول: إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل (حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون).

وكان يقول: إذا استحسنت شيئا من أحوالك الظاهرة والباطنة وخفت زواله فقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وكان يقول: من أراد أن يسلم من أهوال الدنيا والآخرة فليقرأ (إذا الشمس كورت).

وكان يقول: إذا خوفك أحد من الجن والإنس فقل (حسبنا الله ونعم الوكيل).

وكان رضى الله عنه يقرأ للعين: (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) الآية.

وكان يقول: من قرأ (اقرأ باسم ربك) كفى هم الظاهر. ومن قرأ (إنا أنزلناه) كفى هم الباطن.

ومن أذكاره رضى الله عنه: لا إله إلا الله الأول والآخر الظاهر الباطن (محمد رسول الله) السيد الفاتح الخاتم.

ومنها أيضا: يا ألله يا نور يا حق يا مبين، أحى قلبى بنورك، وأقمنى لشهودك وعرفنى الطريق إليك.

ومنها أيضا: رب اغفر لى واجعلنى لك عبدا دائب التميز بأنوارك مطموس الحسن بجلالك، واغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات.

ومنها: اللهم اغفر لى واسترنى، ولا تفضحنى فى الدنيا والآخرة،

وعلمني وذكرني، وفهمني وارحمني، وفرحني وبرني، وفرغني من كل شيء إلا من ذكرك وطاعة رسولك ومحابك ومحاب رسولك ﷺ.

وكان يقول عقب كلامه: اللهم كن بنا رءوفا وعلينا عطوفا، وخذ بأيدينا إليك أخذ الكرام، قومنا إذا اعوججنا وأعنا إذا استقمنا، وخذ بأيدينا إذا عثرنا، وكن لنا حيث ما كنا.

وقال رضي الله عنه: إذا قلت على مصيبة نزلت (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها، فألقى إلى أن أقول: واغفر لي سببها، وما كان من توابعها، وما اتصل بها، وما هو محشو فيها، وكل شيء كان قبلها وما يكون بعدها، فقلتها فهانت على، فلو أن الدنيا كلها كانت لي وأُصبت فيها لهانت على ولكان ما وجدت من برد الرضا والتسليم أحب إليّ من ذلك كله.

وقال رضي الله عنه: رأيت كأن رجلا جاء إليّ وقال السلطان يأتي إليك فقل اللهم ألق على من زينتك ومحبتك إلى قوله : يا ألله يا أحد يا واحد يا قهار كما تقدم في دعوة (فلما رأينه أكبرنه) الآية.

قل رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ قال لي قل لفلان ابن فلان يقول هذه الكلمات، فمن قالها تنصب عليه الرحمة صبا كالمطر: الحمد لله الذي منه بدئ الحمد وإليه يعود، وكل شيء كذلك، لا إله إلا الله. اللهم اغفر لي شركي وظلمي وتقصيري، واغفر للمؤمنين والمؤمنات.

وقال رضي الله عنه: خرجت من منزلي لصلاة الصبح فقلت: بسم الله رب جبريل، بسم الله رب ميكائيل، بسم الله رب إسرافيل، بسم الله رب عزرائيل، بسم الله رب محمد، بسم الله رب إبراهيم، بسم الله رب موسى، بسم الله رب عيسى، بسم الله رب كل شيء وهو على كل شيء وكيل (له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو بكل شيء عليم).

وقال رضى الله عنه: مما يصلح أن يقال فى أول الليل وفى أول النهار وفى أثنائهما: أعوذ بعزة الله، أعوذ بقدرة الله إلى آخر التعويذ المتقدم.

وقال رضى الله عنه وقد أراد أن يمشى لبعض الظلمة فى الدفع لرجل من الصالحين:

اللهم اجعل مشيتى إليه تواضعا لوجهك، وابتغاء لفضلك ورضوانك، ونصرة لك ولرسولك، وزينى بزينة الفقراء والمهاجرين (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وخصنى بالمحبة والإيثار ودفع الحاجة من الصدور فى الليل والنهار، وقنى شح نفسى، واجعلنى من المفلحين واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان إلى رحيم.

وقال وقد سمع شكوى الناس مما هم فيه من الظلم: اللهم إنا براء من جور الجائرين وظلم الظالمين، وإنا محبون لعدلك فلا تجرِ علينا سخطك، إنك على كل شيء قدير.

وقال رضى الله عنه: اللهم إنى أسألك الطاعة والحب لها، وكراهة المعصية والبغض لها، والزهد فى الدنيا، والحفظ بأمانة الشرع لها، والثقة بما فى يدك، والرضا بما قسمت منها، وهيئنا للشكر مع الوجد، والرضا مع الفقد، والبذل مع الفضل، واجعل ثواب ما يذهب عنا أحب إلينا من منفعة ما بقى لنا، وهب لنا إخلاصها ذاتيا، وعملا زاكيا، وعلما صافيا، ونورا هاديا، فإنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم.

وقال رضى الله عنه: اللهم إنا نسألك انتباها ونظرا لك ومعرفة لك، ومحبة وعملا بطاعتك وشوقا إلى لقائك، وخوفا منك، ورجاء فيك، وتوكلا عليك ورضاءك. وبرسولك وبما جاء به من عندك. وأسألك وصلة به، وتحققا بنوره، ونظرا بنظره، وإشرافا على علمه إنك على كل شيء قدير.

فصل

في ذكر الدائرة والخاتم والحرز والسيف وكلها أسماء بمسمى واحد

وفي كيفية وضعها وما فيها من الخواص قراءة وحملا وضبط أسمائها المعجمة وغير ذلك.

اعلم أن الرواية في هذه الدائرة من طريقين: إحداهما عن أبي العباس المرسي والثانية عن سيدنا شهاب الدين ولد الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه.

أما خواصها: فمنها ما رواه سيدي الشيخ شهاب الدين عن والده أنه قال: هذه الدائرة ورثتها عن آبائي وأجدادي الكرام يريد آباءه في الطريق، قال وكان الشيخ يكتب هذه الدائرة بالسند وقال: من كانت هذه الدائرة على رأسه لا يموت. قال بعض المشايخ: مراد الشيخ بذلك أنه لا يزال في حفظ الله وحرزه ببركتها من طارق الموت مادامت على رأسه بما يريد من الأسباب. قال: ويشهد لذلك أن الشيخ لما كتبها للملك المعز وقال له ما دامت هذه الدائرة على رأسك لا تموت، فلما أراد الله أن ينزل به قضاءه المحتوم هيأه لدخول الحمام فنزعها لما تجرد لدخول الحمام فقتل داخل الحمام.

فإن قلت إذا قررت أنه لابد من الموت عند نهاية الأجل وأنه إذا انتهى لا دافع ولا مانع من الموت فما الفائدة في حملها وما الفائدة في تخصيص الشيخ لها بهذه المنقبة إذا علم بأن كل أحد يموت عند انتهاء أجله، سواء الحامل لهذه الدائرة وغير الحامل.

فالجواب عن ذلك أن في التنبيه على ذكر هذه المنقبة فائدة جليلة، وهي أن حاملها ما دامت على رأسه فهو مطمئن الفكرة من كيد الأعداء، ومن مكر كل ماكر وغدر كل غادر ممن يصول عليه ويغتاله من سارق وغيره، فتكون له كالجيش الصريع، والحصن المنيع، قال: ويشهد لذلك أن الشارع قرر لنا أن

لا مانع لمراد الله، ولا دافع لقضائه، ومع ذلك سن لنا تعاويذ وتحاصين، ووعد قائلها بأن الله تعالى يعيذه ويحرسه بها، وقد أمرنا أيضا بالتحصن من أعداء الله، باتخاذ الحصون والجيوش والدروع على أنه إذا أتى أمر الله فلا مانع له، فيكون ما أشار إليه الشيخ بمثابة ذلك، قال سيدى شهاب الدين عن والده: إن هذه الدائرة فيها شعبة من اسم الله الأعظم، وفى رواية عن الشيخ أن فيها الاسم الأعظم وسيأتى بيان ذلك.

قال بعض المشايخ: وأما ما شوهد من عظيم بركتها فكثير: فمن ذلك أنه لما صودر الصاحب ابن يوحنا فنهب العامة جميع ما فى بيته من الرخام والشبابيك التى كانت بالبيت فلما فرج عن الصاحب المذكور وجاء إلى البيت فوجد طبقة فى البيت بابها مفتوح لم يؤخذ شىء مما فيها بالكلية، وأن من جملة ذلك صينى بيع بألف دينار فضلا عما سواه، فتعجب الناس من ذلك، فنظروا فإذا بهذه الدائرة موضوعة على أسكفة باب الطبقة فعلم الناس أن الطبقة إنما حرست من أيدى الناس ببركة الدائرة. قال ولم تكشف للصاحب رأس ولم تحصل له إهانة بضرب ولا غيره لكونها كانت على رأسه، ومنها أن بعض المشايخ كان إذا ضاع له شىء من حيوان أو غيره خط بيده خطا كالدائرة فى الهوى وكتبها بأصبعه إلى آخرها ويتعقل ذلك الضائع ويشكله بالعقل فى وسط الدائرة ويكتبها خارجه، فيرى ذلك الضائع فعل ذلك مرارا ولم يخطئ معه قط.

قال: ومما شاهدته أنه كان لى أخ أدركته الوفاة وكانت الدائرة بخط والدى على رأسه فاشتد عليه النزع وطال عليه من بعد الظهر إلى قرب الفجر فأدركه الشيخ فأمر بنزع الدائرة عن رأسه فطلعت روحه لوقته.

قال: ومما أفادنيه الوالد مما أودع الله فيها من القبول والوجاهة والمهابة والجلالة لحاملها وقائلها كما ستعرفه بعد فشاهدناه وجربناه مرارا عديدة فلا يكاد يوجد فى غيرها، فسبحان من أودع سره فيما شاء كما يشاء، وبالجملة فمنافع هذه الدائرة وخواصها أجل من أن تنكر وأكثر من أن تحصر.

وأما ما أودعه الله تعالى فى كل اسم من أسمائها المعجمة من الأسرار المصونة الشريفة المنيفة إذا ذكر لفظها فى الشدائد والمخاوف وقضاء الحوائج وما يخص كل اسم منها فيذكر قبل النطق به من رواية أبى عبد الله اليافعى، كما ذكر أنه رآه بخط الشيخ شهاب الدين يرويه عن والده رضى الله عنه ما مثاله أملانى والدى أطال الله بقاه: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بك منك إليك، أستغفرك وأتوب إليك، فاغفر لى وتب على (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) اعلم يا بنى أنه لا يحيط بعظم هذه الدائرة إلا من هداه الله بعونه وهداه بتوفيقه، وأبان له من نوره وسأبين لك ما فيها، فصن ذلك عن غير أهله، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(طهور) الاسم الأول الكامل فى ذاته المنور لصفاته: للدخول على الملوك كبر الله سبعا، ثم قل طاء، ثم اقرأ (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) ثم قل حكمت على أنفسهم الطاء، واذكر الاسم سبعا.

(بدعق) الاسم الثانى : بمعنى باقى الذى كل شىء به باق، ذات الأقسام، للدخول على العلماء والقضاة هلل لله سبعا ثم قل باء ثم اقرأ (سلام قولا من رب رحيم) ثم قل: قلقلت عقولهم بالقاف، ثم اذكر الاسم سبعا.

(محبة) الاسم الثالث مبين الحكم وملقن المنن، لاستجلاب الرزق، سبح الله سبعا ثم اقرأ (سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) إلى قوله (والله بما تعملون بصير) ثم قل حاء، فتحت بها باب الاستمطار من الفتاح العليم، ثم اذكر الاسم سبعا.

(صورة) الاسم الرابع، الذى لهيبته يأتى كل جبار خاضع، لدفع المضار. تقول: يا سلام سبعا، ثم تقول: سلبت عن نفسى وعن فلان من كان من عباد الله المؤمنين جميع المضار، ثم اذكر الاسم سبعا.

الخامس هو اسم العزة.

(محبة) نظير ما تقدم، تقول هنا: الحمد لله سبعا، ثم تقول: عين ملأت قلبي عزة ونورا، ومن شئت من إخوانك المؤمنين، ثم تذكر الاسم سبعا.

الاسم السادس، وهو المعروف بمفتاح الغيب.

سقفاطيس: للفتح على القلب، تقول: يا سلام سبعا ثم تقول: سين، أسألك بالسناء الأعظم أن تعطيني مفتاح قلبي، وتذكر الاسم سبعا،

الاسم السابع، وهو اسم الجلالة الموصل إلى مفتاح الكنوز ولرتبة الكمال.

سقاطيم: وهو أن تقول يا ألله بألف الوصل وهاء الرفع والمد سبعا، ثم تقول (رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) رب أسألك حولا من حولك، وقوة من قوتك. وتأييدا من تأييدك حتى لا أرى غيرك ولا أشهد سواك، ثم اذكر الاسم سبعا، ثم قال رضي الله عنه أدغمت الكلام في أوله صيانة له عن غير أهله. انتهى الكلام على الأسماء. ومن قوله «أحن قاف أدم حم هاء آمين» اختلفت الرواية فيه عن الشيخ ففي رواية أنها شعبة من الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

وفي رواية اليافعي هذه ما يقتضي أنها هي الاسم الأعظم حيث ذكر تمام الرواية المتقدمة أن الشيخ قال بعد فراغه من إملاء ما تقدم على الأسماء ما نصه: ثم كمال الأمور، وتمام السرور، في جميع الأمور، أن تقرأ سورة (يس) عشر مرات بعد صلاة الفجر قبل صلاة الصبح، واتل الاسم الأعظم «أحون قاف أدم حم هاء آمين» سبعين مرة وسل ما تريد. وصفة السؤال أن تقول بعد تلاوتك في الوقت المخصوص: أسألك اللهم يا من هو «أحون قاف أدم حم هاء أمين» سبعين مرة وسل ما تريد. وصفة السؤال أن تقول بعد تلاوتك في الوقت المخصوص: أسألك اللهم يا من هو «أحون قاف أدم حم هاء آمين» افعل لي كذا وكذا، وهذا صريح بأن هذا هو الاسم الأعظم لقول الشيخ: واتل الاسم الأعظم اهـ. وقال بعضهم: ثم تختم بالصلاة على النبي ﷺ فإنك ترى من العز والجاه، وعلو المنزلة، وفي المقامات العالية، والتيسير في بلوغ مقاصدك، ودفع

الأعداء المعاندين عنك من ألطاف اللطيف ما يشرح الخاطر ويبهج الناظر بإذن الله تعالى.

وصفة اتخاذها وردا فى جوف الليل وعقب الصلوات وفى وقت الحاجة إليها أما فى جوف الليل فتقرأ كل اسم عدد حروفه بالجمل، وذلك أن تجلس على طهارة كاملة بعد صلاة ما تيسر حاضر القلب مستقبل القبلة وتبدأ بقراءة الإخلاص ثلاثا، والمعوذتين والفاتحة. وأول البقرة، وآية الكرسى، وخواتيم البقرة، و(قل اللهم مالك الملك إلى بغير حساب) (قوله الحق وله الملك)، ثم تقول كهيعص طس (سلام قولا من رب رحيم) محمد ﷺ، جبرائيل ﷺ، ميكائيل ﷺ، إسرافيل ﷺ، عزرائيل ﷺ، أبو بكر رضى الله عنه، عمر رضى الله عنه، عثمان رضى الله عنه، على رضى الله عنه، سيدى على أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، ثم تقرأ (محمد رسول الله) إلى آخر السورة ثم تكبر سبعا، ثم تقول (إن نشأ ننزل عليهم من السماء) الآية. ثم تقول: حكمت على نفس كل ملك وسلطان وأمير وحاكم بالطاء، وقهرته بها، ثم تذكر الاسم «طهور» سبعا وتعيد التكبير والآية والتحكيم والاسم على الترتيب الأول ٣١ مرة، والمرة الأخيرة تكبر عشرا، وتذكر الاسم عشرا، لأن عدده ٢٢٠ مرة فإذا كررته ٣١ مرة فى ٧ كانت ٢١٧ فإذا زدت فى المرة الأخيرة ثلاثا بأن كبرت وذكرت عشرا تم لك عدد الاسم، ونتيجة الذكر بعد الاسم هو أن أئمة هذا الشأن قالوا إن الزيادة على العدد إسراف والنقص إخلال، وموافقة العدد كمال. الاسم الثانى «بدعق هل» سبعا، ثم قل (سلام قولا من رب رحيم) باء، قلقلت عقل كف فقيه وعالم وقاض بالقاف. وغلبته بها، ثم تذكر سبعا، ثم تعيد التهليل والآية والحرف والاسم ٢٥ مرة، وفى المرة الأخيرة تهلل وتذكره ثمانية ليتم عدد الاسم كما تقدم. الاسم الثالث (محببه) سبح سبعا، ثم اقرأ أول الحديد إلى (بصير) ثم قل: حاء فتحت باب الاستمطار من الفتاح العليم، اذكر الاسم سبعا، ثم تعيد التسبيح والآية والحرف والاستفتاح ثمان مرات، وفى المرة الأخيرة تسبح وتذكر الاسم ثمانية ليتم عدده. الاسم الرابع

(صورة) تقول: يا سلام، سبعا، ثم تقول: سلبت بالسين عن نفسى جميع المضار أو عمن شئت من إخوانك المؤمنين، ثم تذكر الاسم سبعا، وتعيد الفعل ٤٣ مرة. الاسم الخامس (محببه) تحمد الله سبعا، ثم تقول: عين ملأت قلبى عزة ونورا ومن شئت من إخوانك المؤمنين ثم تذكر الاسم سبعا، ثم تكرر العمل ٨ مرات كما تقدم. الاسم السادس (سقفاطيس) تقول سلام سبعا، ثم تقول سين، أسألك بالثناء الأعظم أن تعطينى مفتاح قلبى، ثم تذكر الاسم سبعا، ثم تكرر العمل ٤٣ مرة، وفى المرة الأخيرة خمس مرات ليتم العدد. الاسم السابع (سقاطيم) تقول الله بألف الوصل وهاء الرفع سبعا، ثم تقول (رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربى أن يحضرون) إلى ولا أشهد سواك كما تقدم، ثم تذكر الاسم سبعا، ثم تعيد هذا الفعل عدد ٣١ مرة والمرة الأخيرة عدد ١٠ مرات ليكمل العدد، والاسم الأعظم الكلام عليه كثير جدا، فإن أراد إنسان أمرا يقرأ سورة (يس) كما تقدم، ثم تقول: «اللهم يا من هو أحون قاف أدم هاء آمين» يا من هو هكذا ولا يكون هكذا غيره افعل لى كذا وكذا، فإنه يكون ذلك مع ملازمة ذلك كل يوم إلى أن تظهر الإجابة، فإن حصل للداعى حالة الدعاء خشوع وبكاء كان أبلغ فى سرعة الإجابة. هذا ما يتعلق بمن يلازم التوجه فى الأسحار. والسؤال بأسماء الدائرة الشريفة، والترقى بها إلى أعلى المراتب الدينية والدنيوية.

وأما اتخاذها وردا فى أعقاب الصلوات الخمس فهو أن يذكر الأسماء بعدد الجمل الصغيرة. وصورته أن يسقط عدد الاسم ستة فما بقى يكرر الاسم مع ذكره قدره، مثاله (طهور) فاضله أربعة فتكبر سبعا، ثم تقول (طاء) ثم تقرأ الآية وتحكم وتقرأ الاسم سبعا، ثم تعيد الفعل أربع مرات. الاسم الثانى تقرأ بذكره القائم به عدد مرات (محببه) تذكره ثلاث مرات، ثم تقرأ (محمد رسول الله) إلى آخر السورة، ثم تقرأ الاسم الأعظم عدد ٧ مرات ثم تقول بعده: يا من هو هكذا ولا يكون هكذا أحد غيره افعل لى كذا وكذا كما تقدم.

وأما اتخاذها وردا فى الأوقات المهمة مثل الدخول على الملوك والقضاء، فتكرر الأذكار فى أماكنها اللائقة بها بلا عدد، وكلما زدت منها زيد بك هيبة وجلالا واحتراما ووقارا، حتى تشهد نفسك قوة تلقى بها العالم بأسره، وتقاومه وحدك، وترى من هيبتك كأن الجلال على كاهلك، فافهم سر ما وصل إليك واكتمه عن غير أهله تظفر بسره. وقال بعضهم: إذا أردت أن تقرأ (محمد رسول الله) إلى آخرها فلتقل أولا لا إله إلا الله اثنتا عشرة مرة محمد اثنتا عشرة مرة، أبو بكر الصديق ١٣ عمر بن الخطاب ١٢ عثمان بن عفان ١٢ على بن أبى طالب ١٢ (محمد رسول الله) إلى آخر السورة ١٢ وفى كل مرة من قراءة الآية تقول: اللهم يا عظيم عظمتك وقايتى من القوم الظالمين وحمالى على العالمين، فاعضدنى بالملائكة أجمعين، واستجب دعائى إنك أنت السميع العليم.

ومن منافع هذه الدائرة إذهاب الهم والغم والأوجاع والنصر، وهى للنمو والبركة والقوة والحراسة من كل آفة للرجال والنساء والأطفال. وإن علقت على أى وجع كان من حمى أو برد أو رمد أو رياح أو وجع قلب أو صداع أو وجع ضرس أو خوف عدو من الجن والإنس وإن كان جبارا عنيدا أو شيطانا مريدا كفيه وكفى جميع الأوجاع، وهى حرز للأطفال والنساء الحوامل، وقوة لمن طعن فى السن وضعفت قوته، وفيها من النفع ما لا يحصى، وما حملها أحد وصعب مطلب يرومه، ولو ألقيت على دابة خضعت وذلت، هذا إن كان جموحا. وخلص بها خلق كثير من الحمى الباردة. ومن أكثر قراءة الآية التى فيها وهى (محمد رسول الله) إلخ وجبت له إجابة الدعوة والخروج من الضيق إلى السعة، ويكون له أعوان ينصرونه ويعينونه، ويرزق خير الدنيا والآخرة. ومن كتبها فى إناء ومحاها بزيت طيب ودهن به الأمراض الظاهرة من الدمامل والجراحات والخنازير والأورام والقرح برئت بإذن الله من يومها فى الغالب أو إلى ثلاثة أيام أو سبعة، وكذلك تشرب للأمراض الباطنة.

ومن عجيب أمرها لسائر الأمراض أن تكتب في إناء مع الفاتحة والبسملة تقدمها على الآية، ثم تمحوها بقليل ماء وتجعل عليه زيتا طيبا، ويتلو الآية بعد الفاتحة مع البسملة تقدمها عليها في كل مرة عدد ٢٨ مرة، وتجعل نفسك يهف الزيت ويكون على نار لينة ثم تدهن منه الأمراض إن كانت ظاهرة أو يشرب إن كانت باطنة، نفسانية كانت أو جسمانية، عامة كانت أو خاصة، فإنك تجد الشفاء سريعا بإذن الله تعالى، فاحتفظ بها، وهي دواء من كل داء مطلقا، فإنها من المجربات السريعة التأثير.

واعلم أنها جمعت كلما ما تضمنه علم الحرف برمته، فإن فيها الآية الشريفة تتضمن حروف المعجم والأسماء الشريفة السبعة والاسم الأعظم، واسم النبي ﷺ، والذين معه والخلفاء الأربعة، وأسماء الملائكة الأربعة، واسم الشيخ الشاذلي، والأحرف النورانية و(قوله الحق وله الملك) و(سلام قولا من رب رحيم) قلب القرآن، ومنقطع الإشارات. وقيل إن الشيخ كان يخلي بها بعض التلاميذ وأذن بالخلوة بها لمن أرادها، فينبغي أن يستحضر في خلوته صورة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فإنه يحضر له روحه، وتجيبه خدام الأسماء، وتقضي حوائجه.

وللتوجه بها في قضاء الحوائج شروط: منها أن يكون مستحضرا لعظمة الله تعالى وعظمة أسمائه، وأن أسراره في أسمائه يطلع عليها من اختصه من عباده، ويحضر قلبه، ويكون متطيبا إن أمكن، متوجها للقبلة، ويحضر في سره التوسل بالله وكتابه ورسوله وملائكته الأربعة والخلفاء الأربعة، ويمثل أنه في حضرتهم، وأنه يلتمس منه الإعانة على الإجابة، ويستحضر الشيخ أبا الحسن الشاذلي في قلبه، وأنه دليل على ذلك. فإذا أراد دفع الضرر يكرر الذكر فرداً سبعا فما فوقها. وإذا أراد جلب منفعة مثل جلب رزق أو الفتح على القلب أو ما شاكل ذلك فليقرأ الذكر زوجا ستا فما فوقها، وكلما زدت زادت زادك الله فالله لا يمل حتى تملوا.

فإذا عرفت قدر ما صار إليك وخدمته خدمتك عوالمه، وبخدمتها تسخر

لك جميع العوالم علوا وسفلا بشرا وملكا وجنا، فاعلم ذلك واعمل به ترى عجبا، من خرق العوائد، وتسخير القلوب.

واعلم أن الأسماء التى فيها ليست بلسان عوالم الملك والملكوت، ولا بلغة من لغات العالمين، وإنما هى لغة جبروتية يذكر الله بها فى روضة من رياض جبروته، وأنه قد جمع فيها علم الأولين والآخرين.

ومن أراد الدعاء وحملها فلا يحملها إلا على طهارة كاملة إن أمكن، فإن حملها الجنب أورثته حمى الدق.

ومن خواص أسمائها إذا تطهرت ثوبا وبدنا ومكانا وقرأتها ثلاثا ونمت معتدلا نظرت أسرارها.

وإذا أردت أن ترى أسرارها، فاجلس فى مكان معتدل، واتل الجلالة ألفا وبعد كل مائة تقرأ الأسماء عشرا فإنك ترى أسرارها، فإن كنت فى هم أو غم أو كرب تراه ينجلى وقت القراءة، وإن كان الضيق من قوم ونويت عليهم بالوبال نظرت تأثير الفعل بسرعة، وتخرج من الضيق إلى السعة، ولأى حاجة شئت تقرأ (سلام قولا من رب رحيم) ١٧٨١ وتقول بعده «أحون قاف أدم حم هاء آمين» سبعين مرة وتدعو بما شئت تقول: يا من هو «أحون قاف أدم حم هاء آمين» افعل لى كذا وكذا، وتكتب هذه الدائرة بشروطها للبركة والحفظ فى الطعام، أو النفقة أو الخزين، ويكتب معها كل ما يتلى عند وضعها كما سيأتى، وما وفق البركة والحفظ كقوله تعالى (إن هذا لرزقنا ما له من نفاد - وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

وأما كيفية وضعها فله شروط يختل الحكم باختلالها، وآداب هى متممات للمحاسن تفخيما لشأنها وكمال أمرها. فشروطها: أن تكون خطاطها من جوانبها الأربع على السواء بحيث لا يخرج خط عن خط وكذلك خطاط زواياها الأربع وكذلك الدائرة اللطيفة التى فى وسطها فى تدوريها

وبيكرتها، وإنما يأتى ذلك بوضعها بالبيكار، وأن توضع النقطة السوداء وهى التى يعبر عنها بقطب الدائرة اللطيفة على التحرير بحيث لا تميل إلى أحد الجوانب ميلا يظهر فى الخارج.

وروى عن الشيخ أن هذه الدائرة اللطيفة أن أريد بحملها سعة الرزق فإنها توسع، وإن أريد بها قضاء الحوائج فإنها تقضى. ويجب أن يقدم الخط الأعلى ثم الأيمن وهو ما قابل يسارك، ثم الأيسر وهو ما قابل يمينك ثم الأسفل ثم الزاوية اليمنى من الجهة العليا، ثم اليسرى فيها، ثم اليمنى من السفلى، ثم اليسرى منها، وأن يكتب الاسم الأول الذى هو «ظهور» بين الزاويتين العلياوتين، ثم تكتب بقية الأسماء إلى أن تنتهى إلى آمين، وتجعلها سطرا واحدا مبيكرا بحيث يحيط ذلك السطر بجميع الدائرة من داخل ثم يبتدئ (محمد رسول الله) إلى قوله (عظيما) ويجب أن يكون عدد سطورها فردا، وأن تكون جميع حروفها مجوفة ليس فيها حرف مطموس، وأن يكون الكاتب لها يؤدى النطق بها بأسمائها على كيفيتها وموضوعها من غير تحريف ولا تبديل، فإن اختل شرط من ذلك اختل جميعها. ورأيت حاشية على قوله وأن تكون سطورها فردا، قال: والنقطة تلى السطر الأخير الصغير ولو كبرها جدا، خلافا لمن يجعل سطرا أبيض خاليا يليها فهذا خطأ. وكلام اليافعى فى وضعها أن تكون فى التربيع سواء طولا وعرضا، وتكون كتابة الكلمات سطورا دائرة من غير طمس لشىء من الأحرف، ويكون فى وسطها نقطة لطيفة، ولا يمكن التصريح بأكثر من ذلك، فاحتفظ بما وصل إليك.

وأما الآداب فى كتابتها، وهى التى لا تختل باختلال شىء وإنما هو تكميل كما تقدم، وأن يكون كاتبها صائما، وأن يكون على طهارة كاملة وتقوى من الله تعالى بحيث يكون طاهر الباطن والظاهر، وأن يكون مستقبل القبلة إلى حين الفراغ منها، وأن يتلو قبل وضعها سورة الإخلاص ثلاثا ثم المعوذتين والفاتحة وفواتح البقرة وخواتيمها، ثم يكتب باستحضار وخشوع ذاكرا عظمة الله وعظمة أسمائه وآياته معترفا بقدرته ومشيئته وعظمة سلطانه، وأن سره

المكنون يودعه من يشاء من أوليائه، وأن يذكر عند كل اسم ما قدمناه من الذكر المختص به عند ذكره، فإذا انتهت كتابتها على هذا النحو فيفرق حروف اسم الشيخ بزواياها، فتكتب في الزاوية التي تقابل يمينك من العليا ألف ولام، وفي التي تقابل يسارك شين وألف. وفي الأولى من الزاويتين السفلى ذال ولام، وفي الأخرى حرف ياء، وأحسن من ذلك كتابتها يوم الجمعة في الساعة الثانية منها: أي في ساعة عطارد وأحسنها جميع رمضان، وآكدها الجمعة الأخيرة منه. أو الجمعة التي تأتي في أفراد النصف الأخير منه إذ قيل إنها تكون ليلة القمر. وفي (الدر النظيم) لليافعي في رابع عشر رمضان وفي رواية في الرابع والعشرين منه ليلا كان أو نهارا في حريرة بيضاء أو رق، ويبخر برائحة طيبة كالجاوي والعنبر الخام والكافور والزعفران، وتكتب أيضا: في يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم العيدين. وبالجملة ففي كل يوم فضيل، ويكتب في شرف كل كوكب خصوصا الزهرة والطالع الثور في حريرة بمسك وزعفران وكافور وماء ورد، فإنه يكون أمراً عظيما، وليس في ذلك شرط، بل المضطر يكتبها بما أمكن فيما أمكن: أي وقت واحتياج، غير ملاحظ لما عدا الشروط المتقدمة.

قالوا: ومن الآداب المؤكدة والشروط في كل تميمة مطلقا أن لا يكتب وهو يتكلم وأن لا تنظر إليها الأعين أو يقرأ، وأن لا يقع عليها شعاع الشمس، وأن يستحضر الكاتب معنى ما يكتب عند كتابته أو يقرؤه عليه، والله أعلم.



فصل

في ضبط أسمائها ليعلم كيفية النطق بها

الاسم الأول (طهور) بفتح الطاء المهملة وضم الهاء بعدها واو ساكنة ثم راء مهملة مضمومة منونة.

الثاني (بدعق) اختلفت الرواية فيه عن الشيخ، فرواية أبي العباس المرسي بباء موحدة من أسفل مفتوحة ودال مهملة مجزومة وعين مهملة مفتوحة وقاف.

الثالث (محببه) بميم مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وباءين موحدتين من أسفل مفتوحتين وهاء منونة.

الرابع (صورة) فيه روايتان: إحداهما بصاد مهملة مضمومة وواو مجزومة وراء مهملة مفتوحة وهاء منونة مرفوعة، والرواية الثانية بدل الصاد سين مهملة.

الخامس (محببه) مثل الثالث في ضبطه.

السادس (سقفاطيس) بسين مهملة مفتوحة وقاف مثناة من فوق مجزومة وفاء مفتوحة وألف مهملة وطاء مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة منونة، وفي رواية بدل القاف باء موحدة مجزومة ويليها قاف.

السابع (سقاطيم) اختلفت الرواية فيه عن الشيخ. ففي رواية أنه بسين مهملة مفتوحة وقاف مفتوحة وألف ساكنة وطاء مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وميم منونة. وفي رواية بدل القاف فاء، والله أعلم.

وأما الاسم الأعظم أو الشعبة منه «احون» بألف وصل وحاء مهملة مضمومة وواو ساكنة ونون منونة «قاف» بشنتين من فوق ممدودة منونة «آدم» بألف وصل ودال مهملة مرفوعة وميم مفتوحة مشددة «حم» بحاء مهملة مفتوحة وميم مفتوحة مشددة «هاء» بمد وألف مهموز منون «آمين» بألف وصل وميم مكسورة وياء مثناة من تحتها ساكنة.

واعلم وفقك الله لطاعته أنك ظفرت بالاسم الأعظم والكنز المطلسم الذى لا يعلم قدره إلا الله وهو ستة عشر حرفا، كما ذكره ابن حبوان أنها هي اسم الله الأعظم، الذى ما دعا به أحد وخاب إذا كان بخضوع قلب وخشوع، والله الموفق للصواب، وهذه تحفة لا يسمح بها في معنى «أحون وقاف آدم حم هاء آمين».

اعلم أن هذه الأسماء هي من أسماء الله تعالى ليست بلسان من ألسنة عالم الملك ولا عالم الملكوت. ولا بلغة من لغات العالمين، وإنما هي أسماء

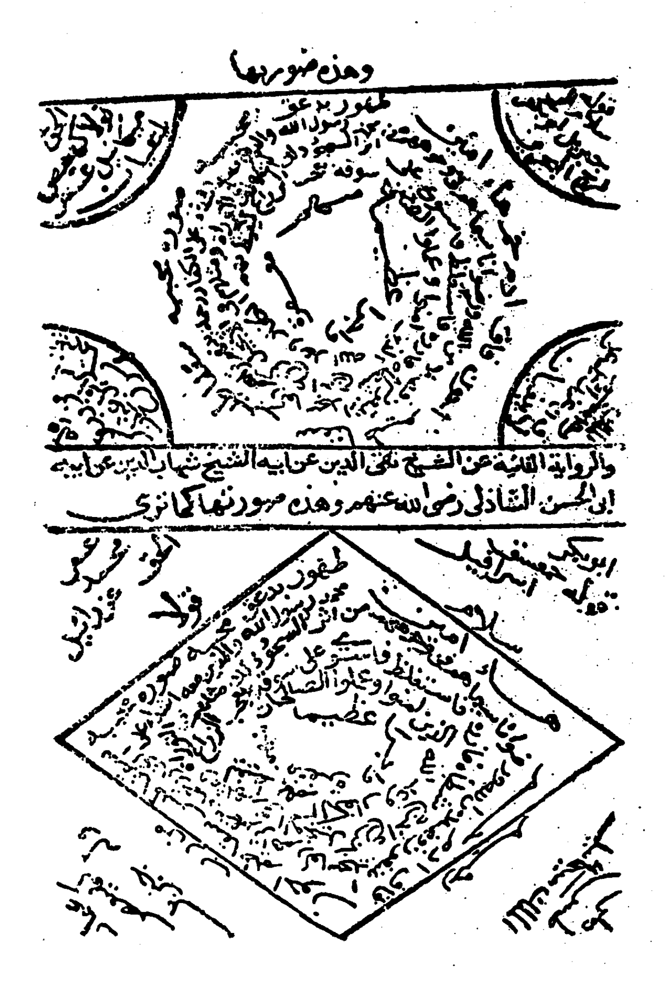
جبروتية فمن ادعى القطبية الفردية فليبين لنا عن هذه اللغة، وعن أهلها وما هذه الأسماء يذكر الله تعالى بها فى روضة من رياض جبروته وما تدل عليه من الصفات المقدسة، وما أثرها ومتى يعرفها الخواص، ومتى يعرفها العوام، وما يتعلق بها من العلوم، وإحدى عشر والحاء منها علوم الفردية ،والواو منها علوم بدء البرية، وماذا فيها من الأسرار الأحدية والمحمدية، ومن أين يأخذ الفرد الغوث، وهل هى من التسعة والتسعين اسما أو غيرها؟ فاعلم أن الله قد جمع فى هذه الأسماء علوم الأولين والآخرين.

فالألف الأولى منها ألف الأحدية، وهى عدد العلوم المحمدية المائة والنون منها علوم الآثار المقدارية، والقاف منها علوم كليات الحركات الفلكية وجزئيات التعلقات الدورية، والألف الثانية منها عدد علوم القطبية الفردية الغوثية، والدال منها عدد علوم الأقدار الملكية، والميم منها عدد علوم المراتب القطبية، والحاء الثانية منها عدد علوم المراحل الآدمية، والميم الثانية منها علوم الدائرة المحمدية، والهاء منها علوم الأسرار العربية، والألف الثالث فيها علوم الإحاطة من حيث الدائرة الغيبية، والهمزة فيها أسرار الدوائر الوجودية «آمين» اسم من أسماء الله تعالى معروف فى الدوائر الثلاثة، والله أعلم.

وأما تلاوتها لما تقدم، فهو أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم (قوله الحق وله الملك - سلام قولا من رب رحيم - مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) (الر كهيعص، طس، حم، ق. ن) جبرائيل ميكائيل إسرافيل عزرائيل عليهم السلام، أبو بكر عمر عثمان على أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهم (طهور، بدعق، محببه، صوره ، محببه، سقفاطيس، سقاطيم، أحون قاف آدم، حم، هاء آمين) (محمد رسول الله) إلى آخر السورة، هذا ما فى بطن الدائرة وما فى أركانها، وربما يسقط من ذلك أسماء الملائكة والخلفاء، و(مرج البحرين) الآية واسم الشيخ، ويقتصر على ما عدا ذلك، وربما اقتصر على نفس الدائرة دون الأركان، وهو من (طهور) إلخ وربما زيد على ما ذكر مع كل اسم ذكره كما تقدم، وقد تقدم حزب الدائرة، وهذه صورتها كما ترى فى الصفحة التالية، والله أعلم:



هذه على وفق العبارة المتقدمة ورأيتها أيضا هكذا
بخط شيخنا حفظه الله تعالى، وقال في الحاشية من نسخته وينبغي
ان تكون الدائرة الكبيرة ملاقية للخطوط الاربعة لا خارجة عنها
ولا داخلة انتهى وقد وضع صورتها الشيخ اليافعي في الدر النظيم على كيفية رواها
من طريق ابن الاوليا عن الشيخ ابي العباس المرسي عن الشيخ القطب الفرد ابي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه ونفعنا به آمين


وهذه صورتها
والرواية الثانية عن الشيخ تقي الدين عن ابيه الشيخ شهاب الدين عن ابيه
ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم وهذه صورتها كما ترى

وقد وضعها على هذه الصورة أيضا الشيخ عبد الرحمن البسطامى نقلا عن اليافعى وقال: من نقشها فى لوح من الفضة والقمر فى الزيادة فى الساعة الأولى من يوم الجمعة بجمع همة وحضور قلب وهو مستقبل القبلة طاهر البدن والثياب، فمن حمله معه، شاهد العجائب من الهيبة والجاه عند جميع العوالم، ونال المحبة والقبول عند سائر الناس، ولا يقع فى ضيق إلا ويجد منه سعة ومخرجا. ومن صحبه معه أذل له به من شاء من خلق الله السباع والبهائم، ولا يحمله ملك إلا أحبته رعيته، ورسخت فى القلوب هيبته، ولا يسأل الله به شيئا إلا ناله. ومن داوم على حمله فرج الله عنه كربه، ويسر عسره، وشرح صدره، وجود فكره، وحسن خلقه، ووسع أسبابه، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه. وذكر أنها أيضا تكتب فى حريرة بيضاء بمسك وزعفران وماء ورد وكافور فى رابع عشر من رمضان، وتلف فى رق غزال ألا وهو سيف الشاذلية، وفيه اسم الله الأعظم، وسره الأفخم فتدبره فهو الكبريت الأحمر، وبعضه من الدرياق الأكبر الذى لا يطلع عليه إلا آحاد أهل القلوب.

قال: ومن فوائده الشافية، وفوائده الصافية، أن من نظر إليه فى كل يوم أربع عشرة مرة وهو يقول (محمد رسول الله) إلى آخر السورة، يسر الله عليه أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة، وأعانه على الطاعة، وأدخله فى دائرة الشهادة والشفاعة، وسلم من شر البليات النفسانية، والآفات الشيطانية، فإن داوم على ذلك فإنه يكون مجاب الدعوة نافذ الكلمة فى العلويات والسفليات، فتدبره فهو من الأسرار المخزونة.

***

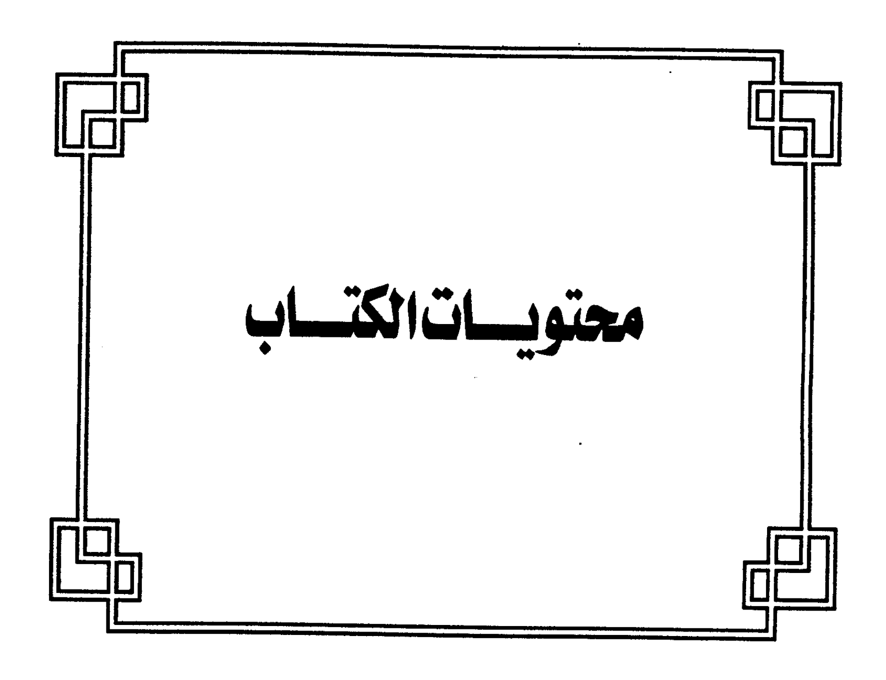
قال الفقير جامع هذا الكتاب، غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه: قد انتهى ما تيسر جمعه فى هذا الكتاب بعون الكريم الوهاب.

وقد اشتمل على فوائد فاخرة، ومنافع الدنيا والآخرة، وفيه كفاية من علوم التحقيق وسلوك الطريق. وفيه من الخواص ما يعين السالك على النفس في مجاهداته بلا مشقة، ويصل الطالب إلى حاجاته من مطالب الدارين، من دفع كل مرهوب، وجلب كل محبوب، كل ذلك من كلام السيد الكبير أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأمدنا من بركاته، لأصحابه من السادة الشاذلية علوم ومعارف، وأسرار كثيرة شهيرة، رزقنا الله محبتهم، وسلك بنا طريقهم، وأعاد علينا من بركاتهم، وحشرنا في زمرتهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

تم الكتاب المبارك

بحمد الله تعالى



محتويات الكتاب

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة